

## الباب الثاني

ملف العدد

## عولمة القيم الغربية



د. عصام عبد الشافي

- الدور الغربي ومشاريع تطوير مناهج التعليم في العالم الإسلامي (مصر نموذجاً)

الهيثم زعفان

- حروب القيم بين الإعلام الغربي والإسلامي

رائدة شبيب

- مسارات الحركة النسوية الأوروبية ومآلاتها الراهنة

د. نهى قاطرجي

- القيم الغربية وأثرها على كيان الأسرة المسلمة

أحمد عمرو

- النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية .. قراءة في المنطلقات الفكرية

# الدور الغربي ومشاريع تطوير مناهج التعليم في العالم الإسلامي (مصر نموذجًا)



د. عصام محمد عبد الشافي

كاتب وباحث - دكتوراه في العلوم السياسية

## ملخص الدراسة

تبنت الولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر استراتيجية جديدة تجاه العالم الإسلامي، بهدف إحداث تغييرات سياسية وثقافية جوهرية، تقود إلى إعادة صياغة الإسلام وقيمه بما يتفق والرؤية والمصالح الأمريكية، وإعادة صياغة الشخصية المسلمة وتطويعها بحيث تقبل النموذج الأمريكي في السياسة والاقتصاد ونمط الحياة، واحتواء المسلمين وتوظيفهم ضمن الدائرة المحكمة لحركة المصالح الأمريكية.

ومن هنا جاءت الدعوات الغربية، وفي القلب منها الدعوات الأمريكية، لتغيير منظومة القيم في العالم الإسلامي، وهو ما لن يتحقق، في جانب كبير منه، إلا بتغيير المناهج التعليمية في العالم الإسلامي، والتي ترى فيها القوى الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، الداعم الأول لفكر الإرهاب والتطرف المعادي للغرب والمضاد للمصالح الغربية.

وركزت دعوات تغيير هذه المناهج على الدول الفاعلة، أو الرئيسة في منظومة العالم الإسلامي، وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية وباكستان، واندونيسيا، وخاصة أمام ما تملكه هذه الدول من تأثير سياسي وفكري وديني واسع في محيطاتها الإقليمية، وفي محيطها الإسلامي الواسع.

تسعى هذه الدراسة إلى بيان طبيعة وأبعاد الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي، وموقع التعليم من هذا الاستهداف، خاصة مع تعدد المبادرات الأمريكية التي تؤكد على أهمية التحرك نحو «تطوير التعليم» وفق النظرة الأمريكية.

وتحاول الدراسة توضيح آثار هذا الاستهداف الغربي على مشاريع تطوير المناهج التعليمية في العالم الإسلامي، مع التركيز على جمهورية مصر العربية، كحالة دراسية.

تقدم الدراسة في النهاية عددًا من السياسات والإجراءات التي يمكن من خلالها مجابهة الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي، مؤكدة على أن مواجهة التحديات التي تفرضها دعوات تغيير، أو تطوير، التعليم في الدول العربية والإسلامية، تفرض أهمية استنهاض الأمة نحو التجديد الذاتي النابع من القيم والمفاهيم والثوابت الدينية والحضارية والثقافية، والتأكيد على أن نظم التعليم في الوطن العربي لن تتخطى أزماتها إلا باعتماد رؤية ذاتية تتخطى المصالح الخارجية من ناحية، وتتجاوز المصالح القطرية من ناحية أخرى، وتتبنى رؤية عربية مشتركة لإصلاح التعليم، بما يتفق والقيم الأصيلة التي تقوم عليها الحضارتان العربية والإسلامية.

# الدور الغربي ومشاريع تطوير مناهج التعليم في العالم الإسلامي (مصر نموذجًا)



د. عصام محمد عبد الشافي

كاتب وباحث - دكتوراه في العلوم السياسية

بعد التعليم أحد أبرز الأدوات الفاعلة في تشكيل العقل الجمعي لقيم وثقافات الأمم والشعوب، ومن ثم فقد أخذ ملف التعليم في الدول الإسلامية بُعدًا جديدًا من اهتمام القوى الكبرى، لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، فقد بدأ القادة السياسيون وواضعو السياسات في الغرب بإصدار بيانات تؤكد قناعتهم بأن الإسلام ليس محل اتهام، وأنه قوة إيجابية في العالم وديانة تدعو للسلام والتسامح. وصدرت عنهم عدة خطابات تؤكد هذه المعاني.

وجاء هذه التحرك، وفق بعض الباحثين والمفكرين الغربيين، في محاولة لتفادي حركة ارتدادية قد تتبع أصولها من أعمال العنف والعداء الموجهة ضد الأقليات المسلمة في الدول المختلفة، ودفع الحكومات المسلمة على تقديم الدعم السياسي للجهود التي تبذلها الدول الغربية فيما أسمته «الحرب الدولية على الإرهاب».

وحاول الزعماء الغربيون والحكومات المساندة لهم الفصل بين أهداف الإرهابيين والإسلام، للحيلولة دون تحويل النزاع إلى «صراع بين الديانات»، وتكذيب تفسير الراديكاليين للإسلام، والعمل على دعم التيارات الأكثر اعتدالاً داخل الإسلام.

وفي هذا السياق تبنت الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية جديدة تجاه العالم الإسلامي، بهدف إحداث تغييرات سياسية وثقافية جوهرية، تقود إلى إعادة صياغة الإسلام وقيمه بما يتفق والرؤية والمصالح الأمريكية، وإعادة صياغة الشخصية المسلمة وتطويعها بحيث تقبل النموذج الأمريكي في السياسة والاقتصاد ونمط الحياة، واحتواء المسلمين وتوظيفهم ضمن الدائرة المحكمة لحركة المصالح الأمريكية.

حيث ترى الولايات المتحدة أن «الإسلام» -بما يحمله من قيم روحية وحضارية تسعى لإعادة صياغة الحياة والإنسان- يمثل منافسًا قويًا للنموذج الحضاري الليبرالي الرأسمالي، ويسود اعتقاد أمريكي بتفوق نموذجهم الحضاري كنمط فريد ومتفوق وقادر على تلبية حاجات الإنسان أينما وُجد، كما أن الأمريكيين يمتلكون شعورًا متضخمًا بالرسالة تجاه العالم، وأن عليهم حمل الآخرين على تبني نموذجهم ونمط حياتهم؛ على اعتبار أنه الأفضل للبشرية.

ويدرك الأمريكيون أن العالم الإسلامي قوة متوقعة بسبب الثورة والموارد الضخمة والنمو السكاني، والانتشار الجغرافي الواسع، وسيطرة المسلمين على أهم طرق المواصلات الاستراتيجية في العالم، وبما أن الصراعات الدولية تقوم على الاعتبارات الاستراتيجية والمصلحية؛ فإن ذلك يعزز التحرك الأمريكي للسيطرة على هذه الثروات. ونتيجة لتفاعل هذين العاملين؛ وضع الأمريكيون أنفسهم في مواجهة مع الإسلام والمسلمين؛ سعيًا للتغلب على النموذج الحضاري، عن طريق «أمركة الإسلام» و«أمركة حياة المسلمين»، استنادًا إلى القوة الأمريكية

يمكن أن يهدد الحضارة الغربية، ومن ناحية ثانية، تصاعد تأثير الخارج في الداخل الإسلامي، بكل ما يحمله هذا الداخل من قيم وقضايا، ظلت بعيدة لعقود، بل لقرون، عن إثارتها والتدخل فيها، كقضايا التعليم والمرأة وحقوق الإنسان والحريات الدينية، وتجديد الخطاب الديني، وغيرها من القضايا التي فرضت نفسها على مسرح العلاقات الدولية، لتشكل قضايا جديدة تدور حولها هذه العلاقات، صراعًا وتعاونًا، وخاصة في مرحلة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وفى إطار هذه الأهمية، تسعى الدراسة إلى

تحقيق عدة أهداف، من بينها بيان طبيعة وأبعاد الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي، وموقع التعليم من هذا الاستهداف، وآثار هذا الاستهداف على مشاريع تطوير المناهج التعليمية في العالم الإسلامي، مع التركيز على

جمهورية مصر العربية، كحالة دراسية، وكذلك بيان السياسات والإجراءات التي يمكن من خلالها مواجهة هذا الاستهداف.

وأمام طبيعة الظاهرة محل الدراسة يمكن القول: إن المنهج الوصفي هو أحد أكثر مناهج البحث ملائمة، باعتباره خطوة أولية نحو تحقيق الفهم الدقيق، والإحاطة بالأبعاد الواقعية لهذه الظاهرة، وذلك **وفقًا للخطوات التالية:**

١- تحديد أبعاد الظاهرة، والقضايا الفرعية التي تتكون منها (طبيعة القيم الإسلامية، طبيعة الاستهداف الغربي لهذه القيم من حيث أهدافه، ووسائله، وتأثيراته).

٢- جمع المعلومات الدقيقة عن هذه الأبعاد وتلك القضايا لتحقيق الفهم الصحيح لها.

بمفهومها الشامل. في ظل استمرار التهديد الفكري والديني القائم للإسلام، والمسيطر على العقلية الأمريكية.

وترى الإدارة الأمريكية، أن عليها العمل على تطوير عقائد المسلمين ومذاهبهم وقناعاتهم؛ ليكونوا أكثر انسجامًا مع الرؤية والمصالح الأمريكية؛ ومن هنا جاءت الدعوات الغربية، وفي القلب منها الدعوات الأمريكية، لتغيير منظومة القيم في العالم الإسلامي، لخلق جيل جديد من المسلمين يتوافق والتوجهات الأمريكية، وهو ما لن يتحقق، في جانب كبير منه، إلا بتغيير المناهج التعليمية في العالم الإسلامي،

والتي ترى فيها القوى الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، الداعم الأول لفكر الإرهاب والتطرف المعادي للغرب والمضاد للمصالح الغربية.

مع التركيز في إطار دعوات تغيير هذه المناهج على الدول الفاعلة، أو الرئيسة في منظومة العالم الإسلامي، وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية وباكستان، واندونيسيا، وخاصة أمام ما تملكه هذه الدول من تأثير سياسي وفكري وديني واسع في محيطاتها الإقليمية، وفي محيطها الإسلامي الواسع.

وفي إطار هذه الاعتبارات تأتي هذه الدراسة حول: «الدور الغربي ومشاريع تطوير مناهج التعليم في العالم الإسلامي... مصر نموذجًا».

وتتبع أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات، يأتي في مقدمتها: تصاعد أهمية الأبعاد الثقافية والحضارية والقيمية في منظومة العلاقات الدولية، في العقود الثلاثة الأخيرة، وخاصة بعد انهيار المنظومة الاشتراكية، والاستهداف الغربي للقيم الإسلامية، وتصويرها على أنها مصدر التهديد الأخطر الذي

وسائل الإعلام الأمريكية، التي تطوعت للإجابة عن هذا السؤال بقولها: «لأنهم حاقدون على ما لدينا من حادثة وحرية»، كما أنهم المسؤولون عن تغذية الإرهاب والعنف والتطرف والتسلط.<sup>(١)</sup>

وللقضاء على هذه النزعات، دعا التيار الحاكم في الإدارة الأمريكية، والمتمثل في «المحافظين الجدد»، إلى شن «حرب أفكار» على العالمين العربي والإسلامي، بهدف تغيير الثقافة السياسية في هذه المنطقة لتصبح أكثر قابلية لتقبل القيم والأفكار الديمقراطية، فالهدف من الحرب اليوم هو هدف سياسي وليس عسكرياً، نفسي وليس مادياً، فهدف الحرب هو التحكم في الطريقة التي يفكر بها العدو.

وتتمثل حرب الأفكار من وجهة نظرهم في «الصراع بشأن التحديث والعلمنة والتعددية والديمقراطية، والتنمية الاقتصادية الحقيقية، فهناك الملايين من المسلمين الذين يتوقون إلى الحداثة والحرية والازدهار، والذين هم أنفسهم في الواقع في طليعة صفوف الصراع ضد الإرهاب».<sup>(٢)</sup>

وقد عبّر فروم وبيبرل، عن جوهر حرب الأفكار والقيم، بأنها «ليست حرب كلمات؛ لأن كلماتنا لا تقنع العالم الإسلامي، ليس فقط لأن شعوب العالم الإسلامي لا يصدقون ما نقوله، ولكن لأننا لا نتفق معهم حول معنى هذه الكلمات التي تحمل وراءها مفاهيم ومصطلحات قيمة .. لذلك، يجب أن تتخلى الولايات المتحدة عن الفكرة الوهمية التي تقوم على إمكانية الانتصار على الشرق الأوسط الإسلامي عن

٢- فحص العوامل المختلفة المحيطة بالظاهرة محل الدراسة، ومحاولة الإحاطة بعدد كبير من الأبعاد والعلاقات للانتقال من مستوى الفهم البسيط إلى المستوى المركب، الذي يمكن أن يساعدنا في صياغة عدد من النتائج والتعميمات والتوصيات حول هذه الظاهرة.

وبجانب المنهج الوصفي التحليلي، سيتم الاعتماد على منهج مساعد هو منهج دراسة الحالة (Case-Study Method)، ومن خلاله سيتم التركيز في إطار الظاهرة محل الدراسة على دراسة حالة الاستهداف الغربي للمناهج التعليمية في جمهورية مصر العربية، لبيان أبعاد وتأثيرات هذا الاستهداف، وكيفية مواجهته.

**وفي إطار هذه الاعتبارات، تم تقسيم الدراسة على النحو التالي:**

**المحور الأول: الدور الغربي واستهداف منظومة القيم في العالم الإسلامي.**

**المحور الثاني: موقع التعليم من الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي.**

**المحور الثالث: آثار التدخل الغربي في مشاريع تطوير المناهج التعليمية في العالم الإسلامي.**

**المحور الرابع: دراسة حالة مشاريع تطوير مناهج التعليم في مصر.**

**المحور الخامس: سياسات مجابهة الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي.**

**المحور الأول: الدور الغربي واستهداف منظومة القيم في العالم الإسلامي:**

في أعقاب أحداث سبتمبر ٢٠٠١م كان السؤال الأهم في الولايات المتحدة، هو «لماذا يكرهوننا؟»، وصدر هذا السؤال عن الإدارة الأمريكية، ثم أصبح شعاراً للمثقفين الأمريكيين، وكان المقصود بهذا الخطاب في مرحلته الأولى الشعوب العربية الإسلامية، ثم أصبح هذا المصطلح العنوان الأبرز للعديد من الدراسات والتحليلات والتصريحات الرسمية في

(١) نبال خماس، إمبراطورية الأكاذيب.. مصطلحات الخداع الأمريكي بعد ١١ أيلول، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، عرض متاح على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/163786AD-A07B-4-CD6-9DF2B6D89C43DB73.html>.

(٢) إبراهيم غرابية، الاستراتيجية الثقافية للولايات المتحدة بعد ١١ سبتمبر، الجزيرة نت، ٢٠٠٢/٩/٩. النص متاح على الرابط:

[http://www.aljazeera.net/in-depth/America\\_Laden/2002/9/9-11-1.htm](http://www.aljazeera.net/in-depth/America_Laden/2002/9/9-11-1.htm)

ويؤكدون أن حل الإشكاليات التي توتر العلاقات بين الولايات المتحدة والإسلاميين؛ يجب أن يتم عن طريق الإصلاح التعليمي والديني لإعادة صياغة المفاهيم التي تغذي «الإرهاب» بما يتوافق مع مصالحها، وبما يحقق لها الأمن، وبما يستجيب مع عملية الإصلاح السياسي المفترض، والمتعثر بفضل الثقافة الدينية السائدة -وخصوصاً «الجهاد»- التي تغذي بذور الكراهية.<sup>(٢)</sup>

وتأكيداً لهذه التوجهات؛ تعددت التصريحات والتحركات الأمريكية الرسمية، المؤيدة لحرب الأفكار، والداعمة لتوجهاتها وآلياتها. **ومن مظاهر ذلك:**

- أطلقت إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش «برنامج الإصلاح العربي» الذي أعدته وزارة الخارجية الأمريكية ضمن سلسلة البرامج والمشاريع التي تهدف إلى «إعادة تأهيل العالمين العربي والإسلامي، وتربيتهما على القيم الديمقراطية وتحسين صورة أمريكا لدى عموم العرب والمسلمين».

- أنشأت وزارة الدفاع الأمريكية جهازاً لتغيير الوعي لدى العرب والمسلمين تحت اسم مكتب «التأثير الاستراتيجي». وتنفيذاً لبرنامج «التأهيل» تمت دعوة ٥٠ سيدة عربية في أربعة عشر بلداً إلى أمريكا ليخضعن لحملة تثقيف في «المعهد الديمقراطي الوطني الأمريكي» و«المعهد الجمهوري» الذي يُشرف على الحملات الانتخابية للحزب الحاكم، ونظمت لهن لقاءات مع كبار المسؤولين في الإدارة الأمريكية.

- في مارس ٢٠٠٣م، بدأت الولايات المتحدة حملتها على المنطقة العربية باحتلال العراق، وأعلنت أن هذا الاحتلال يأتي كمقدمة لتحقيق الأهداف الأمريكية بعيدة المدى، والتي على رأسها تغيير معالم المنطقة العربية، وفرض القيم الثقافية الأمريكية الجديدة،

طريق الاحتكام إلى تعاطفهم مع الحزن والألم الذي عاناه الشعب الأمريكي من جراء هجمات سبتمبر، فتفجير برج التجارة والدفاع يمثل نصراً في أذهان شعوب العالم الإسلامي، وليس نوعاً من الوحشية والتطرف.<sup>(١)</sup>

**وتتمحور حرب الأفكار أو القيم، وفق رؤية المحافظين، حول ثلاث ركائز أساسية:**

**الأولى:** تحويل صورة الولايات المتحدة من نموذج القوة العدوانية المناوئة للمسلمين، إلى صورة القوة المحررة من الطغيان والاستبداد، والساعية لجلب الأمن والسلم والاستقرار للمنطقة.

**الثانية:** تشجيع المسلمين على القيام بإصلاح ديني وثقافي عميق، يستأصل جذور الإرهاب الفكرية والعقدية، ويستبطن قيم التحديث والليبرالية المتصالحة مع القيم الروحية، وإبراز تجربة التحديث الأمريكية نموذجاً للاحتذاء في مقابل التجربة الأوروبية التي ارتبط فيها الإصلاح والتحديث بالعلمانية ومحاربة الدين.

**الثالثة:** التحالف مع قوى التغيير المحلية من حركات إصلاحية ومجتمع مدني وقوى معارضة، لدفع مسار التحول السياسي والاجتماعي، وحمايته من بطش ومصادرة الأنظمة، باعتبار أن الولايات المتحدة هي وحدها القادرة على ممارسة الضغوط اللازمة على الحكومات العربية، لتحسين وتأمين ديناميكية الإصلاح.

ويرى المحافظون الجدد أن الحرب الآن لا توجد على أرض المعركة، ولا ينتصر فيها طرف بالقتال فقط، ولا يتحقق النصر العسكري ولا يُقاس بقتل أكبر عدد من قوات العدو، وإنما توجد في عقول الشعوب، لذلك فهدف الحرب هو السيطرة على عقول شعب العدو، ومن ثم الهيمنة على عقول قادة هذه الشعوب.<sup>(٢)</sup>

(٢) معتر الخطيب، المشروع الأمريكي: تحديث الإسلام، إسلام أون لاين، ٢٠٠٤/٢/٢٣، النص متاح على الرابط:

<http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/2004/02/article02.shtml>

(1) David Frum· Richard Perle, «An End to Evil :How to Win the War on Terror», p.128.

(2) Michael Novak, «How to Defeat the USA in Future Wars», Daily Standard, November 22, 2006.

باتت تقوم على أساس التفاعل مع الجماهير الأجنبية لتعزيز تفهمهم للقيم والسياسات والمبادرات الأمريكية»<sup>(٢)</sup>.

- في ديسمبر ٢٠٠٥م، أطلقت وزارة الدفاع الأمريكية، حملة إعلامية لنشر مواد إخبارية مؤيدة للولايات المتحدة في وسائل إعلام خارج البلاد، دون الإشارة إلى الحكومة الأمريكية كمصدر لها. وذلك ضمن عمليات الحرب النفسية التي تهدف لصد أيديولوجية التنظيمات الإرهابية، بالإضافة إلى محاولة إقناع الشعوب الأخرى لتدعم السياسات الأمريكية<sup>(٣)</sup>.

- في ١٧ فبراير ٢٠٠٦م أعلن وزير الدفاع الأمريكي «دونالد رامسفيلد»، أن الولايات المتحدة «متأخرة بصورة خطيرة» عن تنظيم القاعدة وأعداء آخرين فيما أسماه «الحرب الدعائية»، ويتعين عليها تحديث وسائلها «العتيقة» في المجال الإلكتروني. زاعماً أن «التحديث أمر حيوي

لكسب قلوب وعقول المسلمين في أنحاء العالم الذين تمطرهم صور سلبية عن الغرب». وأكد رامسفيلد أن من أسلحة حرب كسب العقول اليوم «استخدام رسائل البريد الإلكتروني، وأجهزة الهاتف المحمول، والكاميرات الرقمية، والمدونات على شبكة الإنترنت»<sup>(٤)</sup>.

(٢) كلمة باتريشيا هاريسون أمام لجنة الشؤون الدولية في مجلس النواب الأمريكي، يوم ١٩ أغسطس ٢٠٠٤م، نشرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية، عدد ٢١/٨/٢٠٠٤م.

(٣) انظر: مات كلي، البنجابون يرصد ٢٠ مليون دولار لدس أخبار في وسائل إعلام أجنبية، صحيفة الشرق الأوسط السعودية، لندن، عدد ٩٨٧٩، الخميس ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م. النص متاح على الرابط التالي: <http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=3&article=338467&issue=9879>

(٤) محمد عبد الحليم، البنجابون تسعى لسكرة العالم إعلامياً، ٢٠٠٦/٣/٦. النص متاح على الرابط التالي:

<http://www.islamonline.net/Arabic/politics/2006/03/article06.shtml>

وتغيير مناهج تفكير العقل العربي والإسلامي؛ حيث يتم تغيير المناهج التعليمية، وإشاعة القيم الأمريكية في المنطقة، ومحاولة إزالة العداء النفسي العربي لكل ما هو أمريكي، وتوسيع نطاق الإعلام الأمريكي الموجّه للعرب، في محاولة لتثبته جيل جديد ليس لديه ما يربطه بثقافته الأصلية<sup>(١)</sup>.

- في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٣م، قال الرئيس بوش: «إن بلاده تعمل على إضعاف الأيديولوجيات في منطقة الشرق الأوسط التي تصدّر الإرهاب». والخطاب مهم؛ لأنه يأتي من رئيس الدولة، كما أنه ألقى الخطاب في

مناسبة دولية مهمة وأمام محفل عالمي وبشكل علني، ولم يُلقَ في مناسبة محدودة أو محلية.

- في السادس من نوفمبر ٢٠٠٣م، وفي خطابه أمام المعهد الديمقراطي الوطني الأمريكي، شنّ الرئيس بوش هجوماً حاداً على «الديكتاتوريات» في منطقة الشرق الأوسط، مؤكداً سعيه

لنشر الديمقراطية في العالم عمومًا، وفي منطقة الشرق الأوسط على نحو خاص.

- في ١٤ أغسطس ٢٠٠٤م، أعلنت مساعدة وزير الخارجية الأمريكية للشؤون التعليمية والثقافية، أن أحد أبرز أهداف الولايات المتحدة في المنطقة العربية والإسلامية هو تعميق التواصل مع عدد من الفئات والشرائح، يأتي في مقدمتها الشباب، وذلك بهدف إيجاد جيل جديد أقل عداء للسياسات الأمريكية في المنطقة».

وأضافت: أن «استراتيجية الدبلوماسية العامة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر

(١) انظر: مأمون الباقر، أمريكا تفتح معركة تغيير الأيديولوجيات، صحيفة البيان الإماراتية، ملحق الملف السياسي، عدد ٦٥٨، الجمعة ٢ ذو القعدة ١٤٢٤هـ - ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٣م.

الذي يستدعي إشاعة وتطوير الممارسة الديمقراطية والتعددية الحزبية، والعمل على تغيير خريطة المنطقة من خلال الاحتلال العسكري أو شن حرب استباقية ضد بعض الدول في المنطقة بدعوى امتلاكها لأسلحة دمار شامل كما حدث في العراق، ومن ثم اكتساب أرض جديدة تضاف إلى العراق المحتل كنقطة انطلاق إلى بقية دول المنطقة.

وكذلك تقديم الدعم اللا محدود لدولة الكيان الصهيوني والوقوف إلى جانبها ضد الدول العربية كنوع من الضغط لإحداث تغييرات سياسية واقتصادية وثقافية. والترويج لمفهوم الشرق أوسطية الذي تتكامل

فيه الجهود العربية والصهيونية من أجل إقامة منطقة مشتركة للتبادل التجاري، وتشجيع ودعم الأقليات في بعض الدول العربية، بهدف إشعال فتنة عرقية وطائفية يمكن أن تؤدي في نهاية المطاف إلى تمزيق هذه الدول،

وتحويلها إلى كيانات صغيرة، وتعزيز الغزو الثقافي عبر الفضائيات والإذاعات، والاعتماد على الصورة بدلاً عن الموضوع؛ كخطوة لتغيير مفاهيم شعوب المنطقة، خاصة فئة الشباب، هذا بجانب فرض مناهج مدرسية جديدة في دول المنطقة تعمل على تذويب الهوية الثقافية العربية والإسلامية والتراث التاريخي والديني لشعوبها.<sup>(٢)</sup>

### المحور الثاني: موقع التعليم من الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي:

تستند الاستراتيجية الأمريكية الخاصة بتغيير التعليم في المنطقة العربية إلى عدد من الركائز الأساسية، من أهمها: أن الوقت قد حان لتبني استراتيجية جديدة

(٢) مأمون الباقر، أمريكا تفتح معركة تغيير الأيديولوجيات، صحيفة البيان الإماراتية، ملحق الملف السياسي، عدد ٦٥٨، الجمعة ٣ ذو القعدة ١٤٢٤هـ - ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٣م.

- في ٢٤ يونيو ٢٠٠٨م، أعلن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشؤون الدبلوماسية العامة والشؤون العامة «أن الانتصار في الحرب على الإرهاب يعني، على المدى الطويل، الانتصار في معركة الأفكار». فالهزيمة الباردة كانت «حرب أفكار بنفس القدر الذي كانت فيه قوة عسكرية». ومن المؤسف أننا لم نقم بما فيه الكفاية على هذه الجبهة منذ بروز الإرهاب المتمص بالإسلام. ولكن الأمر أخذ الآن في التغير. وتمر حرب الأفكار حالياً، في جميع الوكالات الحكومية والقطاع الخاص، بحقبة نهضة مبكرة. والمتحمسون لها من الحزبين، ولدينا فرصة ترك إرث فعال للحكومة القادمة.

**تمثلت أهم آليات حرب الأفكار أو القيم الأمريكية، في الترويج للديمقراطية، وحقوق الإنسان، والإصلاحات السياسية من خلال اتهام معظم الأنظمة العربية بالشمولية، وعدم احترام حقوق الإنسان**

**وأضاف:** «إن ما نسعى إليه هو عالم لم يعد يعتبر فيه استخدام العنف لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو عسكرية مقبولاً، ولم تعد تتجح فيه محاولات التحويل إلى راديكاليين ثم التجنيد

كأعضاء جدد، ويتم فيه شجب وعزل مقترفي التطرف العنيف. إن النجاح العسكري ضروري، ولكنه ليس كافياً، وذلك لسبب بسيط هو أننا لا نواجه كعدو دولة واحدة أو حتى تحالفاً، وإنما حركة عالمية لا تنتمي إلى أي دولة. وما لم نشن حرب أفكار فعالة، فإن آخرين سيحلون محل هؤلاء الأعداء كلما قتلناهم».<sup>(١)</sup>

وفي إطار هذه التصريحات وتلك الإجراءات، تمثلت أهم آليات حرب الأفكار أو القيم الأمريكية، في الترويج للديمقراطية، وحقوق الإنسان، والإصلاحات السياسية من خلال اتهام معظم الأنظمة العربية بالشمولية، وعدم احترام حقوق الإنسان، الأمر

(١) جيمس جلاسمان، كيف ننتصر في حرب الأفكار؟ نشرة واشنطن العربية، مكتب برامج الإعلام الخارجي، وزارة الخارجية الأمريكية، عدد ٢٤ يونيو ٢٠٠٨م، النص متاح على الرابط التالي:

<http://usinfo.state.gov/xarchives/display.html?p=washfilearabic&y=2008&m=June&x=20080624181816ssissirdile0.0457117>



المسؤولين الأمريكيين لمناهج التعليم التي تدرس في الدول الإسلامية؛ باعتبارها مناهج تحض على العنف والتطرف، وتحرض طلابها ضد الآخرين، وتشجع على التعصب، ومن ذلك:

أ- تصريح ريتشارد هاس -مدير قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية- حول أن مناهج التعليم في الدول العربية متخلفة، ولا تواكب نظم التعليم الحديثة، وتتسم بضيق الأفق، والاعتماد على الأفكار الأحادية مما يخلق عقليات مغلقة، تسمح بمزيد من التعصب والتطرف، كما أنها تزرع مفاهيم خاطئة عن النساء والأقليات.<sup>(٤)</sup>

ب- انتقادات ريتشارد باوتشر الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية، لهذه المناهج: بحجة احتوائها على مفاهيم مثل الجهاد والتكفير ورفض الآخر والتعصب ضد الغرب، وهو ما يخلق عقليات جامدة رافضة للتسامح، ودعا باوتشر الدول العربية، والمملكة العربية السعودية تحديداً، إلى أن تعمل جاهدة مع الولايات المتحدة لإزالة لغة التعصب الموجودة في الكتب المدرسية.<sup>(٥)</sup>

ج- تصريحات إلينا رومانسكي -القائمة بأعمال مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط، والمسئولة عن برامج الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية- والتي أكدت على رغبة الولايات المتحدة في حذف بعض النصوص الدينية من المناهج الدراسية في المنطقة العربية من منطلق «أنه ليس من المفيد لأي مجتمع أن ينشئ أجياله وشبابه على مبادئ التحريض والانحياز وعدم التسامح مع الآخرين، وأنه إذا كان هذا ما يتم تدريسه في العديد من المدارس -إشارة إلى الأفكار الجهادية ورؤية الآخر... إلخ- فليس من الصالح أن ينشأ جيل على هذه الأسس والمبادئ، وإن قراءة بعض النصوص المدرسية في هذه الدول يفيد وجود مثل هذه الاتجاهات الانحيازية، وهذا النوع من التعليم، لم

تسعى إلى اكتساب أراضيات ثقافية معرفية جديدة في المنطقة العربية بعيداً عن ثقافة الحروب فيما سمي «معركة كسب العقول والأفئدة»، ويلعب التعليم دوراً محورياً في هذه الاستراتيجية؛ حيث يجب الضغط على الدول العربية والإسلامية لإعادة صياغة نظمها التعليمية بما يتفق مع التوجهات المعرفية الجديدة بالتركيز على إصلاح مناهج التعليم والقضاء على نظم التعليم الدينية المتشددة.<sup>(١)</sup>

وكذلك طرح قضايا ومفاهيم جديدة على ساحة النظم التعليمية في الدول العربية بما يسمح بفتح مجال للحوار بين الفرق المتعارضة في هذه الدول، والذي قد يؤدي بدوره إلى تسريب بعض الأفكار التغريبية في نظم التعليم العربية، ووضع أسس نظام تعليمي دولي يسمح باعتبار التعليم شأنًا عالميًا، والتخلي عن اعتباره شأنًا داخلياً. وبحيث لا تتعلل الدول العربية بأن الدول الغربية تسعى إلى فرض قيمها ونظمها عليها.<sup>(٢)</sup> مع التركيز على دور القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني، باعتبارهما أحد أهم أسس إصلاح التعليم مع التركيز على مخاطبة الأفراد، وقطاعات المجتمع المختلفة باعتبارهم النقطة المركزية والمحرك الأساسي لمشروع الإصلاحات المنشودة.<sup>(٣)</sup>

**وقد أخذت التحركات الأمريكية الرسمية نحو تغيير التعليم في الدول العربية، عدة مستويات، يمكن في إطارها التمييز بين:**

#### **المستوى الأول: التصريحات الرسمية:**

وتتمثل في الانتقادات التي وجهها عدد من

(١) جهاد البشير، معالم الخطة الأمريكية لإصلاح التعليم الديني في العالم الإسلامي، مجلة الوحدة الإسلامية، بيروت، تجمع العلماء المسلمين في لبنان، السنة الثانية، العدد ١٦، محرم ١٤٢٤هـ. مارس ٢٠٠٢م. النص متاح على الرابط التالي:

<http://www.alwahdaalislamiya.net/14th/makalat/maalem.htm>

(2) <http://www.washingtoninstitute.org/templateC07.php?CID=151>

(٣) رياض قهوجي، مايكل كريغ تحرير، الأطر البديلة لأمن الخليج، دبي، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٤، ص ٧٩-٨٠.

(٤) نص خطاب هاس أمام مجلس العلاقات الخارجية، مصدر سابق.

(5) <http://www.state.gov/r/pa/dph/2003>

### المستوى الثاني: تقارير الكونجرس:

حيث يتم رفع تقارير إلى الكونجرس الأمريكي تهدف إلى الضغط على حكومات الدول العربية من أجل إعادة النظر في مناهجها التعليمية، وفي هذا الإطار جاء التقرير المقدم من ١٩ عضواً من أعضاء الكونجرس لمناقشة خطة تغيير مناهج التعليم في مصر والعالم العربي، ويرى واضعوه أنه لا بد من إعادة النظر في مناهج التربية الدينية التي تدرس في هذه الدول بحيث يتم التركيز على الفروع المتعلقة بالطقوس الدينية والعبادات، والعمل على أن يظل دور الدين محصوراً في العلاقة بين الفرد وربه، كما يضع التقرير تصوراً جديداً لتدريس التربية الدينية لتصبح تحت مسمى «الثقافة الدينية»، بحيث تقدم صورة إيجابية عن الفضائل الأساسية للديانات الثلاث، وهو ما أسماه واضعو التقرير بإفراغ الدين من مضمونه من منطلق أن «عملية تغيير محتوى القرآن غير واردة».

وأن تركز اللغة الدينية التي يخاطب بها التلاميذ على العقل والمنطق لا على النقل والتبعية للكتاب المقدس دون تفكير. وفيما يتعلق بالمواد النظرية الأخرى مثل التاريخ واللغة العربية، يتجه واضعو التقرير إلى إعادة كتابتها بحيث تتضمن موضوعات تتسم بالعلمية مثل الثورات العلمية، وتبعد عن كل ما من شأنه غرز الانتماء وحب الوطن في نفوس التلاميذ وإبعاد المسلمين عن أي دور حضاري وسياسي أو نضالي من أجل تربية التلاميذ تربية سليمة بعيدة عن لغة العداوة والرؤى التاريخية غير الصحيحة لطبيعة العلاقات بين الغرب والعرب المسلمين»<sup>(٥)</sup>.

### المستوى الثالث: التقارير السنوية لوزارة الخارجية

#### الأمريكية:

تلجأ الولايات المتحدة إلى استخدام عدد من التقارير التي تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية

(٥) د. حامد عمار، الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤م، ص ٩٣-١٠٥.

يعد قادراً على أن يخرج أجيالاً قادرة على التعامل مع العالم، ولم يعد هناك وقت للكرهية وعدم التسامح والتحريض، ونحن نحاول أن نعيش معاً، وأي منهاج دراسي لا ييسر على هذا المنوال يجب تغييره»<sup>(١)</sup>.

د- تصريحات إليزابيث تشيني -نائب مساعد وزارة الخارجية الأمريكية-<sup>(٢)</sup>: والتي أكدت أن الولايات المتحدة ملتزمة بزيادة إمكانية الحصول على التعليم الجيد في الشرق الأوسط وجنوب آسيا بهدف القضاء على انجذاب الشباب نحو التطرف، وصرحت بأن ٥٠٪ من سكان المنطقة تقل أعمارهم عن ٢٠ عاماً، وظروف الركود الاقتصادي لا توفر للشباب فرص عمل مرضية، وفي الوقت نفسه، فإن النظم السياسية المغلقة والصارمة لا تمنح المواطنين في دول عديدة فرصة التعبير عن الرأي بالنسبة لتحديد مصيرهم أو اختيار قاداتهم. كما أن هناك نظاماً تعليمية عديدة في جميع أنحاء المنطقة أخفقت في تعليم التسامح، أو في إكساب الطلبة فيها المهارات اللازمة للتنافس بنجاح في أسواق العالم»<sup>(٣)</sup>.

هـ تصريحات وزيرة التعليم الأمريكية: أكدت مارجريت سبيلنجز وزيرة التعليم الأمريكية أن قضية التعليم في المنطقة العربية تشغل حيزاً كبيراً من اهتمام الإدارة الأمريكية، وأن هناك شراكات مختلفة مع العديد من الهيئات والمنظمات الدولية لدعم الملف التعليمي الذي تتبناه الإدارة الأمريكية في المنطقة العربية»<sup>(٤)</sup>.

(١) إلينا رومانسكي، إصلاح الشرق الأوسط جزء من الحرب على الإرهاب، ١٧ يونيو ٢٠٠٤م. النص متاح على الرابط التالي:

<http://www.islah200.org/index.php2/arabic/mor/176>

(٢) جلسة استماع تحت عنوان «القضاء على الإرهاب من خلال التعليم: تجربة الشرق الأدنى وجنوب آسيا، لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي، ١٩ أبريل ٢٠٠٥م.

(٣) إليزابيث تشيني، إصلاح التعليم هو مفتاح محاربة الإرهاب، نشرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية، عدد ٢٠ أبريل ٢٠٠٥م.

(٤) انظر: أشرف شهاب، ومنى مذكور، وزيرة التعليم الأمريكية - واشنطن مهتمة بالتعليم في الدول العربية.. لكنها لا تتدخل في المناهج، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، عدد ٢٨/٥/٢٠٠٦م.

## المحور الثالث: التدخل الغربي ومشاريع تطوير

## المناهج التعليمية في العالم الإسلامي:

تعددت المبادرات الأمريكية، التي تؤكد على أهمية التحرك نحو «تطوير التعليم»، ومن أبرز الوثائق الرسمية التي تتناول هذه السياسات، وخاصة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م:

## ١- مبادرة الشراكة الأمريكية مع دول الشرق الأوسط

ديسمبر ٢٠٠٢م:

استندت المبادرة إلى الإحصائيات الواردة في تقرير

التمتية البشرية العربية، كمبرر

لدعوته لإصلاح وتطوير التعليم

في العالم العربي، فذكرت أن

هناك حوالي ٤٠٪ من العرب

البالغين ٦٥ مليون شخص

أميون، وتشكل النساء ثلثي هذا

العدد، وأنه في إمكان ٦,١٪

فقط من السكان استخدام

الإنترنت، وهو رقم أقل مما

هو عليه في أي منطقة أخرى في العالم، بما في

ذلك بلدان إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وتستند

مبادرة الشراكة على عدد من المبادرات الفرعية، هي

مبادرة التعليم الأساسي، ومبادرة التعليم في الإنترنت،

ومبادرة تدريس إدارة الأعمال.<sup>(٦)</sup>

## ٢- مبادرة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا يونيو ٢٠٠٤م:

كان التعليم أحد المرتكزات الرئيسة الثلاثة التي

نصت عليها المبادرة؛ حيث أكدت على: حق التعليم

للجميع، وحرية التعبير، والمساواة بين الرجال والنساء،

وأهمية الحصول على تقنيات المعلوماتية العالمية،

وعدد من المنظمات غير الحكومية، من أجل توجيه

انتقادات للدول التي تنتهك -من وجهة نظرها-

الحقوق الاجتماعية، وقد حظي موضوع التعليم،

وخاصة التعليم الديني، باهتمام بالغ في هذه

التقارير، وتناولت التقارير باستفاضة مناهج التعليم

التي تُدرّس في الدول العربية، متهمة إياها بتسويق

أفكار عدائية للغرب واليهود، تحض على الكراهية

والتعصب، وطالبت هذه التقارير الدول العربية بتغيير

المناهج بما يسمح بقبول الآخر، وحذف الجهاد ونشر

ثقافة السلام وحقوق الإنسان، وتجاوز مفاهيم العنف

ضد المرأة.

وعرضت هذه التقارير عددًا

من الأدلة للبرهنة على احتواء

مفاهيم التعليم في المنطقة

العربية على قيم ومفاهيم

التطرف منها:<sup>(١)</sup>

أ- أن الكتب الدينية لا تحتوي

إلا على وجهة نظر واحدة فيما

يتعلق بالعقيدة الإسلامية، ولا يسمح بتدريس عقائد

أخرى. كما لا يُسمح بتدريس مناهج تخرج عن التفسير

المذهبي الرسمي للدولة.

ب- تحتوي الكتب المدرسية على تمييز واضح ضد

الفئات الدينية الأخرى، كما أن هذه المقررات بها لغة

تهجمية قائمة على التمييز وتشجع التعصب.

ج- أن بعض الدول العربية تحتوي مناهجها على

تعصب واضح ضد السامية، كما تعضد هذه المناهج

مفاهيم الجهاد والدعوة إلى نشر الإسلام، وهو ما

يخلق عقليات غير متسامحة مع الآخرين.<sup>(٢)</sup>

(١) راجع نصوص تقارير وزارة الخارجية الأمريكية حول الحرية الدينية الدولية، على الرابط التالي:

<http://www.cdhrp.net/text/tt-d/tqareer>

(٢) د. أحلام السعدي فرهود، «التوجهات الغربية وإصلاح التعليم في

الوطن العربي: تنوع الاستجابات في المنطقة العربية»، دراسة مقدمة

إلى المؤتمر السنوي التاسع عشر للبحوث السياسية حول «مشروع=

=الشرق الأوسط الكبير: جدال الداخل والخارج ومستقبل المنطقة

العربية»، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، ٢٦- ٢٩

ديسمبر ٢٠٠٥م.

(٢) راجع نص المبادرة كما نُشر لأول مرة، صحيفة الحياة السعودية، لندن،

عدد ١٣ أبريل ٢٠٠٤م.

الدول العربية، ومن ذلك اهتمامها بقضايا النوع وحقوق الإنسان والأقليات.<sup>(٤)</sup>

كما تهتم بعض هذه البرامج، بتدريب العاملين في مجال تصميم المناهج التعليمية من أجل اكتساب خبرة المنهج الأمريكي عند إعادة صياغة مناهج الدولة، ويسعى البعض الآخر إلى إعادة صياغة العقل الثقافي العربي من خلال استقطاب الفئة المميزة من الطلاب للتعرف على القيم والثقافة الأمريكية بحيث تصبح هذه الفئة هي القاطرة لقيادة مجتمعاتهم على أسس ثقافية جديدة تتفق والمعايير الأمريكية.<sup>(٥)</sup>

وفي أكتوبر ٢٠٠٤م أعلنت مبادرة شراكة الشرق الأوسط عن تقديم منح جديدة إضافية للدعم المالي الاقتصادي، كجزء أساسي من سياستها الشاملة لدعم الإصلاحات المحلية الأصلية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتشمل هذه المنح في مجال تطوير التعليم؛ سبع منح شراكة جامعية في ست دول أو مناطق، ومنحة لبرنامج شراكة المدارس، وبرنامج أساسي لإيجاد وتطبيق برنامج تفاعلي عن طريق الإنترنت في الأردن لتعليم اللغة الإنجليزية كلفة أجنبية، وتعزيز التعليم التمهيدي والابتدائي الشامل.<sup>(٦)</sup>

ومن بين البرامج التي أعلنت المبادرات الأمريكية عن تبنيها: برنامج المعاهد الصيفية، وبرنامج المكتبة

(٤) بيان حقائق، وزارة الخارجية توزع الأموال المرصودة لشراكة الشرق الأوسط على أكثر من ١٠٠ برنامج، نشرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية، عدد ١٠ مارس ٢٠٠٥م.

(٥) انظر: البيت الأبيض، ملاحظات الرئيس بوش أمام طلبة من برنامج شراكات لتحصيّل العلم وتبادل الشباب والدراسة، مكتب السكرتير الصحفي، ١٣/٦/٢٠٠٥م. نشرة واشنطن العربية، عدد ١٤/٦/٢٠٠٥م. وانظر كذلك: Middle East Partnership Initiative Funds 225 Reform Initiatives، State Department، fact Sheet outlines MEPI Programs، U.S. Department of State، Bureau of Public Affairs، June 28، 2005

(٦) آدم إيرلي، بيان حول «مبادرة شراكة الشرق الأوسط تخصص نحو ٢٠ مليون دولار لتمويل برامج الإصلاح الإضافية، ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٤م، وزارة خارجية الولايات المتحدة، مكتب المتحدث الرسمي، نشرة واشنطن العربية، عدد ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٤م.

باعتبارها ذات أهمية حاسمة للتحديث والرخاء. وأكدت المبادرة على أن وجود عمالة بشرية متعلمة يُعد مفتاحًا للمساهمة في عالم يتسم بالعولمة. وأعلنت تركيز الجهود على خفض الأمية وتوسيع فرص التعليم، وخاصة بين الفتيات والنساء.<sup>(١)</sup>

## ٢- الوثيقة الصادرة عن منتدى المستقبل بالرباط:

أصدر المشاركون في أعمال منتدى المستقبل، الذي عُقد في الحادي عشر من ديسمبر ٢٠٠٤م في العاصمة المغربية الرباط بحضور أكثر من عشرين دولة من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ودول مجموعة الثماني وممثلين عن منظمات دولية وإقليمية وثيقة أطلقوا عليها «ملخص الرئاسة». نصت، فيما يتعلق بالتعليم وتطويره في دول المنطقة، على تأكيد المشاركين عزمهم على مواصلة الإصلاحات في مجال التربية، وذلك في إطار مجهود شامل ومنسق يهدف إلى وضع أسس تكوين مؤهل يشجّع على التنوير والحدّاء والتسامح والمواطنة الصالحة.<sup>(٢)</sup>

أما عن الآليات الأمريكية لتطوير التعليم في الدول العربية، فقد تركزت هذه الآليات على تدشين عدد من البرامج المشتركة بين الولايات المتحدة والدول العربية في إطار مبادرة الشرق الأوسط الكبير من أجل تدعيم أسس الثقافة الغربية في العالم الإسلامي، وجعل الأفكار والمبادئ الغربية متاحة ومتوفرة أمام أكبر عدد من طلاب هذه الدول.<sup>(٣)</sup>

وتشمل هذه البرامج، كافة الأقطار العربية، وتغطي مراحل التعليم بدءاً من مرحلة ما قبل المدرسة حتى مرحلة التعليم الجامعي، كما أنها لا تركز فقط على تقديم المهارات اللازمة لتطوير العملية التعليمية، وإنما تتعداها إلى نشر قيم وثقافات المجتمعات الغربية في

(١) نص مسودة خطة الإصلاح المقترحة لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، عدد ٢/٦/٢٠٠٤م.

(٢) مريم النيجي، الوثيقة الصادرة عن منتدى المستقبل بالرباط، إسلام أون لاين. نت ١٢-١٢-٢٠٠٤م.

(3) <http://mebi.state.gov/10172.htm>

## مظاهر النشاط الأمريكي في المجال التعليمي في مصر



التعليمي عددًا من المظاهر:

١- إنشاء الجامعات والمدارس الأمريكية، والاستعانة بها لتحسين صورة الولايات المتحدة في مصر: وتأتي الجامعة الأمريكية في مقدمة هذا النشاط؛ حيث تعددت خطوات الإدارة الأمريكية للاستفادة من الجامعة، ومن بين هذه الخطوات:

- إطلاق برنامج جديد بالتعاون مع الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ومركز الوليد بن طلال لدعم التقارب بين العرب وأمريكا، ويقضي بتقديم منح للطلاب العرب للدراسة بالجامعات الأمريكية وطلاب من أمريكا للدراسة بالقاهرة.

- قيام هيئة المعونة الأمريكية بالقاهرة بعمل برنامج أمريكي جديد يهدف إلى منح مزيد من الطلاب المصريين والعرب منحا للدراسة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، بمعدل اثنين من كل محافظة شريطة أن يكونوا من خريجي المدارس الحكومية، ومن جميع المحافظات المصرية، وذلك من أجل التواصل مع الشعب المصري.

العربية<sup>(١)</sup>، وبرنامج التعليم المدني العربي<sup>(٢)</sup>، وبرنامج إصلاح التعليم باللغة الإنجليزية، وبرنامج إنشاء مدارس للأطفال، وبرنامج الربط بين الجامعات الأمريكية وجامعات الشرق الأوسط<sup>(٣)</sup>، والدورات التدريبية المشتركة، والترجمة، وبرنامج التبادل التعليمي مع الدول العربية<sup>(٤)</sup>.

### المحور الرابع: دراسة حالة مشاريع تطوير مناهج التعليم في مصر:

أخذ النشاط الأمريكي في مصر، في المجال

(١) انظر: إليزابيث تشيني، إصلاح التعليم هو مفتاح محاربة الإرهاب، نشرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية، عدد ٢٠ أبريل ٢٠٠٥م.

(٢) وزارة الخارجية الأمريكية، «مواصفات برنامج الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط للسنة المالية ٢٠٠٢-٢٠٠٣»، نشرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية، أغسطس ٢٠٠٣م.

(٣) وزارة الخارجية الأمريكية، «مواصفات برنامج الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط للسنة المالية ٢٠٠٢-٢٠٠٣»، نشرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية أغسطس ٢٠٠٣م.

(٤) انظر: منى جبالي، أمريكا وبرنامج التبادل التعليمي مع الدول العربية: نوايا حسنة أم مصالح، تقرير واشنطن، عدد ٦٢، ١٠ يونيو ٢٠٠٦م، النص متاح على الرابط التالي:

<http://www.taqrir.org/showarticle.cfm?id=379>

برنامج عالم سمس التعليمي، بمساعدة دعم واشتراك من التعليم المصري والإعلام والتلفزيون والمجتمعات الفنية، بالإضافة إلى تعاون وزارتي التعليم والإعلام، وبمنحة مقدمة من هيئة المعونة الأمريكية.

#### ٦- المؤتمرات التعليمية: عقدت هيئة المعونة

الأمريكية مؤتمراً تعليمياً بمدينة الإسكندرية ٧ و٨ أغسطس ٢٠٠٥م تحت شعار «نحو تجويد التعليم المصري»<sup>(٥)</sup>.

#### ٧- دعم المراكز البحثية وبرامج الدراسات الأمريكية

في الجامعات المصرية: من خلال المساهمة في تمويل وحضور نشاطاتها وفعاليتها، كمركز الدراسات الأمريكية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وبرنامج الدراسات الأمريكية بجامعة أسيوط.

#### ٨- دعم وتمويل برامج المحاكاة: التي تعقدتها أقسام

العلوم السياسية في الجامعات المصرية، للمؤسسات الأمريكية والدولية، كنموذج الكونجرس ونموذج الجامعة العربية، ونموذج الأمم المتحدة.

#### ٩- تجديد اتفاق التعاون العملي والتكنولوجي: وقد تم

التوقيع على تجديد اتفاق التعاون العلمي والتكنولوجي بين البلدين لمدة خمس سنوات أخرى وقع للمرة الأولى عام ١٩٩٥م، وتم التوقيع على تجديد الاتفاق بمكتبة الإسكندرية ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٥م. وتتمثل الأهداف الرئيسية لاتفاق التعاون العلمي، وفق ما تم الإعلان عنه، في تعزيز القدرات العلمية وتوسيع نطاق العلاقات بين العلماء في كل من الولايات المتحدة ومصر، وتشجيع التعاون العلمي والتكنولوجي بينهما، ويتلقى مجلس إدارة الاتفاقية الدعم المالي من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية التي تشرف على تنفيذ الاتفاق، ويدعم الاتفاق عدداً من البرامج، منها:

#### أ- برنامج المنح: ويتم خلاله اختيار الأبحاث المشتركة

ومراجعتها، وتوجيه الدعوة للقطاعين العام والخاص

- توسيع دور الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ووضع خطة لجعلها واحدة من أهم مراكز التفكير والثقافة في العالم العربي من خلال التوسع في مبنى الجامعة، وافتتاح كليات جديدة، واستضافة العديد من رموز الفكر في مصر والعالم لإلقاء محاضرات بها.<sup>(١)</sup>

#### ٢- المشاركة في إنشاء المراكز العلمية: ومن ذلك المركز

الدولي للتعليم عن بُعد بالقاهرة، والذي يُعد نقطة اتصال بالشبكة العالمية للتنمية، والتي أنشأها البنك الدولي للإنشاء والتعمير، بالتعاون بين هيئة المعونة الأمريكية، للربط بين ٥٠ دولة بإفريقيا وأمريكا وأوروبا وآسيا؛ بهدف تبادل الخبرات بين هذه الدول، من خلال ندوات وورش عمل تخاطبية باستخدام الفيديو كونفرانس، وتبادل الخبرات في مختلف قضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وتوفير البنية التكنولوجية اللازمة لتعريف المشاركين بمكونات تكنولوجيا المعلومات الحديثة، ودعم أنشطة نقل المعرفة من الدول المتقدمة إلى المنطقة العربية.<sup>(٢)</sup>

#### ٣- تقديم المنح المالية المباشرة: وفي هذا الإطار تم

تقديم ١٢ مليون دولار أمريكي لتطوير كليات التربية خلال خطة التنمية للسنوات ٢٠٠٣-٢٠٠٧م.<sup>(٣)</sup>

#### ٤- البرامج التدريبية: ومن صورها برنامج إعداد

القادة بالشركة المصرية للاتصالات: والذي يتم بالتعاون بين مركز إعداد القادة بالشركة المصرية للاتصالات، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، والمعهد الدولي للتعليم بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد تم الاحتفال بتخريج أول دفعة من المستفيدين من البرنامج في ٢٧ يونيو ٢٠٠٤م.<sup>(٤)</sup>

#### ٥- البرامج التعليمية الموجهة: ومن أهم هذه البرامج

(١) جمال شاهين، أمريكا تستعين بالجامعة الأمريكية بالقاهرة لتحسين

صورتها في مصر، الشرق الأوسط، لندن، ١٥/١٠/٢٠٠٤م.

(٢) صحيفة الأخبار المصرية، عدد ١٥٩٨١، ١٥/٧/٢٠٠٢م.

(٣) موقع جامعة الزقازيق،

<http://www.zu.edu.eg/upmu/HEEPF.htm>

(4) [http://www.mcit.gov.eg/ar/display\\_press.asp?id=903](http://www.mcit.gov.eg/ar/display_press.asp?id=903)

(٥) صحيفة آفاق عربية، القاهرة، عدد ٧٢١، ١١ أغسطس ٢٠٠٥م.

المؤسسات التعليمية الأزهرية بأكثر من ٢,٥ مليون طالب من جنسيات عدة يدرسون في أكثر من ستة آلاف معهد، إضافة إلى نحو ٣٠٠ ألف طالب يدرسون تخصصات مختلفة، ليست كلها دينية، في ٣١ كلية ٢٠ للبنين و١١ للبنات، ويلتزم طلاب الكليات غير الدينية دراسة نسبة معينة من المقررات الشرعية.

وقد أشارت لجنة الحريات الدينية التابعة

للكونجرس الأمريكي التي زارت

مصر عام ٢٠٠٤ في تقريرها

إلى التعليم الأزهرى باعتباره

«أداة لتكريس مبدأ الانفصال بين

المسلمين والمسيحيين، وتفتيت

المجتمع المصري»، وطالبت بمراجعة

مقرراته الدراسية وحذف «ما يثير

الغالبية الدينية على الأقليات»،

وإضافة مقرر «الحريات الدينية»

الذي يقرب بين الطوائف، فتمط التفكير الإسلامي

النقلي لم يعد صالحاً لمواجهة تحديات العصر، مما

يتوجب معه تطويراً مدروساً لهذه المناهج.<sup>(٢)</sup>

ويرى المحافظون الجدد أن هذه النوعية من التعليم

قد أفرزت العديد من الجماعات الأصولية المتشددة

مثل جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس،

والجماعات المتشددة الأخرى.<sup>(٣)</sup>

وأتت الضغوط الأمريكية على الأزهر أكلها، لتنفيذ

عدد من التعديلات في المناهج الدراسية منها: حذف

مادة الفقه المذهبي من المرحلة الإعدادية، واستبدالها

بمقالات صحفية تحت عنوان: الفقه الميسر، وإلغاء

أبواب الجهاد من المرحلة الإعدادية، وإضافة مادة

الحديث والتفسير في الصف الثالث الإعدادي إلى

(٢) محمد محمود، التعليم الأزهرى بعد المطالبة الأمريكية بتعديله

يخوض معركة الإصلاح بقليل من التطوير وكثير من التجاهل، الحياة،

١٠/٤/٢٠٠٤م.

(3) Joshua Muravchik «Jihad or Ballot -Box ?» wall street journal «December 13, 2005» www.aei.org.

في الدولتين للمشاركة فيها، وعقد مجموعة من ورش العمل سنوياً.

**ب- برنامج تبادل العلماء الجدد** يقوم خلاله العلماء

في كلا البلدين الذين استكملوا دراسة الدكتوراه خلال

السنوات العشر السابقة بإجراء أبحاث في إحدى

المؤسسات العلمية بالبلد الآخر، وخاصة في مجالات

التكنولوجيا الحيوية، والمعايير والمواصفات القياسية،

وعمليات التصنيع غير الضارة

بالبيئة، تكنولوجيا المعلومات

والطاقة النظيفة. وخلال

السنوات العشر الماضية تم

وضع ٣٠٠ برنامج للشراكة

في إطار اتفاقية التعاون

العلمي والتكنولوجي عبر

برنامج المنح، لترتبط بين

٦٠٠ عالم مصري وأمريكي

من الجامعات والمختبرات

الحكومية وشركات القطاع الخاص.

**ج- توسيع نطاق الشراكة في مجال البحث العلمي،**

وخاصة في مجالات التكنولوجيا الحيوية، وهندسة

البيئة، وعوامل الخطر الجينية والبيئية والفيروسية.

**د- تمويل برنامج زيارة لأكثر من ٦٠ عالماً من العلماء**

الجدد لتحديث معلوماتهم.

**هـ- تنظيم أكثر من ٤٠ ورشة عمل، حول أساليب**

النتبؤ بالكوارث العالمية الناجمة عن الأحوال الجوية،

والبنية الأساسية للمعلومات الرقمية بالشرق الأوسط،

وتطورات البحث العلمي والتكنولوجي، والجسيمات

المتناهية الصغر.<sup>(١)</sup>

**١٠- التعليم الديني:** يتمثل التعليم الديني في مصر،

بالدرجة الأولى في التعليم الأزهرى، ويقدر عدد طلاب

(١) شيريل بليرين، تجديد اتفاق التعاون العملي والتكنولوجي بين

الولايات المتحدة ومصر، الاتفاق موقع منذ عام ١٩٩٥م، ويشمل

الأبحاث ونقل التكنولوجيا بين البلدين، نشرة واشنطن العربية، عدد

٣٠ تشرين الثاني- نوفمبر، ٢٠٠٥م.

التطرف التي تفرضها القيم الإسلامية.

- إن التوجهات الغربية نحو تغيير مناهج التعليم تركز بالأساس على المناهج الدينية دون النظر إلى المناهج الخاصة بالعلوم الأخرى، وهو ما يتضح في محاولات الدول الغربية للضغط على الدول العربية لإعادة النظر في قيم ومفاهيم متضمنة في المناهج النظرية دون العملية.

- إن الدول الغربية ماضية قُدماً في محاولتها لتغيير مناهج التعليم في المنطقة العربية، بغض النظر عن موافقة أو رفض الدول العربية لهذا التوجه، وتستخدم في ذلك كافة ما لديها من وسائل أو إمكانيات.

- إن الدول التي تسيطر عليها الولايات المتحدة الآن، كأفغانستان والعراق، تشكّل المرحلة الأولى في محاولات التغيير من منطلق أن هذه الدول ماضية في إعادة صياغة مناهجها بما يتفق مع التوجهات العالمية الجديدة القائمة على أساس نشر ثقافة السلام والتسامح وقيم الديمقراطية والحرية، بحيث تشكّل هذه الدول نقطة البداية للتعامل مع القيم والتقاليد العربية الجامدة، وتكون قاعدة انطلاق لتحرير باقي الدول العربية.

- إن التوجهات الغربية نحو تعديل مناهج التعليم في المنطقة العربية، وإن كانت تمثل جزءاً من منظومة متكاملة هدفها إصلاح التعليم ككل، بما يؤدي إلى إحداث نقلة نوعية في هذا الجزء من العالم الذي لم يصبه بعدُ الدور في التنمية، إلا أن التوجه الأكبر لهذه المنظومة يتعلق بتشويه المفاهيم التربوية والدينية والثقافية التي تزخر بها ثقافتنا الإسلامية، وإعادة صياغة القيم والمفاهيم الدينية والثقافية، بما يؤدي إلى إنتاج أجيال أكثر قدرة على

مادة المطالعة والنصوص، وحذف ١٢ جزءاً من القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية، مع إلغاء السنة الرابعة بالثانوية الأزهرية، وإضافة اللغة الفرنسية لمنهج الصف الثالث الثانوي مع اللغة الإنجليزية، دون تحديد ساعات دراسية لها، بما يعني أنها وُضعت لمزاحمة المواد الشرعية التي تم إبتسارها بالفعل، واختزال مادة التفسير للصف الأول الثانوي، وحذف «تفسير النسفي» للقرآن الكريم، وهو الذي يعتمد المنهج العلمي في تفسير القرآن بالمرحلة الثانوية.<sup>(١)</sup>

### المحور الخامس: سياسات مجابهة الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي:

من تحليل الأفكار التي تضمنتها الدعوات الغربية لتطوير مناهج التعليم العربية، يمكن الوقوف على عدد من الملاحظات:

- إن هناك اتجاهاً داخل الدول الغربية يهدف إلى إعادة صياغة الإسلام بما يسمح بحذف كثير من الأحكام الإسلامية، مثل أحكام الجهاد والقتال، والدعوة إلى نشر دين الإسلام، والموقف من الآخر، كالمسلم من ذوي المذاهب الأخرى، وغير المسلم، وإن هذا الاتجاه يصل إلى حد المطالبة الصريحة بتغيير مفاهيم الدين وتبني مفاهيم جديدة لا تستفز مشاعر الغرب.

- إن الهدف الأساسي للسياسة الغربية من تغيير مناهج التعليم يرتبط بمحاولة إحلال مجموعة من القيم الغربية مثل قيم التسامح، حقوق المرأة، تقدير حرية الأديان وغيرهما، محل القيم الإسلامية، من منطلق أن هذه القيم كفيلة بحماية العالم من مظاهر

(١) انظر: المخطط الأمريكي لتغيير مناهج التعليم في العالم الإسلامي، النص متاح على الرابط التالي:

<http://www.islamicnews.net/Document/ShowDoc05.asp?DocID=62489&TypeID=5&TabIndex=3>



التواؤم مع متطلبات الحضارة العربية، وأكثر اغتراباً عن قيمهم الدينية الإسلامية.

إلا أنه في المقابل، ورغم هذه الاعتبارات يمكن القول: إنه رغم كل الاستلاب الفكري والضياع الثقافي، والتفكك السياسي، والتخلف الاجتماعي، والتهميش الحضاري الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية، فما يزال هناك من يخطط لإبادتها تراثاً وحضارة وفكراً وعقيدة وثقافة، والسبب يكمن في خوفهم من مصدر قوة هذه الأمة وعزتها، ألا وهو الإسلام، الإسلام الحضاري الذي لا ينفي الأديان الأخرى، بل يحتويها كجزء من منظومة الإسلام نفسه.

وهنا تأتي أهمية التأكيد على أن مواجهة التحديات التي تفرضها دعوات تغيير، أو تطوير، التعليم في الدول العربية والإسلامية، تفرض أهمية استنهاض الأمة نحو التجديد الذاتي النابع من القيم والمفاهيم والثوابت الدينية والحضارية والثقافية، والتأكيد على نظم التعليم في الوطن العربي لن تتخطى أزماتها إلا باعتماد رؤية ذاتية تتخطى المصالح الخارجية من ناحية، وتتجاوز المصالح القطرية من ناحية أخرى، وتتبنى رؤية عربية مشتركة لإصلاح التعليم، بما يتفق والقيم الأصيلة التي تقوم عليها الحضارتين العربية والإسلامية.

## معلومات إضافية

### مخاطر المدارس الأجنبية:

في تقرير لروبرت ساتلوف مدير قسم السياسة والتخطيط في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى قال: «المدارس الأمريكية في البلاد العربية والإسلامية ليست مجرد صروح تعليمية رفيعة المستوى، بل هي سلاحنا السري في معركة أمريكا الأيديولوجية لأمركة المجتمعات العربية والإسلامية».

وتخضع المدارس الأمريكية المنتشرة في ١٣٢ دولة، مباشرة لإشراف وزارة الخارجية الأمريكية من خلال مكتب خاص يسمى مكتب المدارس الأمريكية عبر البحار!

ويشير ساتلوف إلى اعتماد المدارس الأمريكية على مبدأ الاختلاط بين الذكور والإناث في جميع المراحل الدراسية، وعلى الدور الذي تقوم به في فرض نمط الحياة الأمريكية على طلابها من العرب والمسلمين من خلال الترويج للثقافة الأمريكية وأسلوب الحياة الأمريكية بين طلابها وطلباتها العرب والمسلمين.

ويعد الخبراء المخاطر الكبيرة للتعليم الأجنبي في البلدان العربية والإسلامية، فيقول د. إبراهيم الرئيس أستاذ مناهج التربية: إن خطورة المناهج الأجنبية التي تدرس في المدارس الأجنبية في البلدان العربية أنها تحمل لنا وسائل وأدوات ومعاني مسمومة ومضامين ذات أبعاد أيديولوجية وسياسية تخالف تقاليدنا ومعلوماتنا ومعارفنا.

هذه المناهج الأجنبية تعمل على تكريس وترسيخ معنى ذهني خطير في عقول الأجيال وهو ضرورة فصل الدين عن الدولة بمعانٍ مختلفة ومتداخلة وخفية، والاتجاه بفكر هذه الأجيال إلى نهج الدولة العلمانية، وغالبية هذه المدارس والجامعات الأجنبية لا تخضع مناهجها للمراقبة من قبل وزارات التعليم في الدول العربية، وقد نتج عن ذلك حالات غريبة لتدريس كتب ومواد تخالف تاريخ وتقاليد وعادات المجتمعات العربية.

يذهب د. محمدي سلامة أستاذ التاريخ إلى أن المدارس الغربية في البلاد العربية والإسلامية مأوى للتبشير والاستعمار معاً، وهي تجعل من نفسها داعية لدين غير دين البلاد، كما تجعل من نفسها حكومة داخل حكومة البلاد، وفي ذلك إهدار للاستقلال، ومدعاة للفساد.

يؤكد الأستاذ الدكتور يونس الحملاوي - الأستاذ في جامعة الأزهر والأمين العام للجمعية المصرية لتعريب العلوم -: أن التعليم باللغات الأجنبية للأطفال دون سن الثانية عشرة يؤدي إلى حدوث التشويش اللغوي لديهم فتختلف عليهم الحروف العربية والحروف الأجنبية، وتوجد دراسات أخرى حول قضية الازدواج اللغوي، وخطورة هذا الازدواج على هوية الطفل وانتائه الحضاري؛ لأن فرنجة اللسان قد يستتبعها فرنجة العقل والسلوك، وهنا مكمّن الخطورة.

### المدارس الأجنبية في مصر:

تشير التقديرات الآن إلى أن في مصر ٥٧ مدرسة أجنبية: منها ٣٢ مدرسة أمريكية، و ١١ مدرسة إنجليزية، و ٩ مدارس فرنسية و ٢ مدارس كندية ومدارس ألمانية.

تقدم هذه المدارس - كنوع من الإغراء للالتحاق بها - قائمة بأكثر من ٥٠ جامعة عالمية يمكن أن يلتحق بها الطالب بجانب الجامعة الأمريكية في مصر، وفي المقابل لا توجد جامعة مصرية واحدة في قائمة جامعات هذه السلسلة الأجنبية من الجامعات التي تفتح أبوابها لخريجي المدارس الأجنبية.

المدارس الأجنبية في مصر عبارة عن مجموعة من الجزر التي لا يعرف أحد عنها شيئاً، حتى وزارة التربية والتعليم - وهي المسؤولة عن التعليم في مصر - لا تستطيع التدخل في شؤون هذه المدارس من حيث المصروفات أو المناهج أو تدريس اللغات، وحتى الجوانب السلوكية التي تروج لها هذه المدارس، كما أن هذه المدارس لا تلتزم بتدريس اللغة العربية وفي أحيان كثيرة لا تقوم بتدريسها على الإطلاق.

تضع المدارس الأجنبية في مصر مادة التاريخ في آخر القائمة، وتقوم بتدريس تاريخ الدولة صاحبة المدرسة، حيث يحتل التاريخ الأمريكي الدرجة الأولى في مناهج ٢٢ مدرسة أمريكية تنتشر في مصر ابتداء بحرب الاستقلال وانتهاء بالحروب الأهلية، والتاريخ الإنجليزي كذلك له الصدارة في المدارس الإنجليزية، حتى أصبح روزفلت وتشرشل هما الرمز أمام التلاميذ المصريين، وفي المدارس الفرنسية أو الألمانية أو الكندية نجد نفس المناهج التي تعوض في تاريخ هذه الدول وتحثي برموزها دون ذكر لرمز مصري أو عربي أو إسلامي باستثناء تاريخ الفراعنة الذي تدرسه كل مناهج الدراسة في العالم.

هيئة التدريس من المدرسين والمشرفين والإداريين في هذه المدارس من الأجانب، ورغم أن هناك قراراً وزارياً مصرياً يقضي بآلا تزيد نسبة الأجانب في المدرسة على ١٠٪ من أعضاء هيئة التدريس إلا أن عدداً كبيراً من هذه المدارس لا يستعين إلا بالمدرسين الأجانب، ويرفض المدرسين المصريين تماماً.

**وكشفت دراسة أجرتها الباحثة «بثينة عبد الرؤوف» بمعهد البحوث التربوية بجامعة القاهرة عن «مخاطر التعليم الأجنبي في مصر على هويتنا الثقافية» عن النتائج التالية:**

- المدارس الأمريكية في مصر لها نشاط تنصيري، وتهدف لنشر المذهب البروتستانتي.

- تعمل تلك المدارس بشكل منفصل تماماً عن المجتمع المصري، ولا تقع تحت طائلة أي قانون مصري، كما أن مرحلة التعليم الأساسي من الصف الأول حضانة حتى الثالث الإعدادي لا تخضع لأي إشراف وزارتي أو إداري، وإن كان هناك إشراف على المرحلة الثانوية فهو إشراف صوري، وإن هذه المدارس تخضع لإشراف هيئات أمريكية تطبق عليها مقاييسها وأهدافها.

- تقييم كتب تلك المدارس في مصر من قبل إدارة المعادلات المصرية هو تقييم ذاتي؛ حيث لا توجد معايير أو مقاييس مكتوبة يمكن الرجوع إليها، بل يعتمد في المقام الأول على «ثقافة وضمير الخبير المراجع للكتب»، وأنه لا تتم أي متابعة من قبل وزارة التربية والتعليم مدى التزام هذه المدارس بما تم حذفه أو ما طلب من تغيير.

وبتحليل محتوى بعض مناهج المدارس الأمريكية في مصر كشفت الدراسة أن هذه المناهج تعمل على تحقير العرب، وتزعم أن الإبل أفضل منهم كما جاء في إحدى القصص المقررة على تلاميذ المرحلة الابتدائية، والتي توضح تفوق الإبل على العرب، وكيف أن قيادة الإبل للعرب أفضل من قيادة العرب لأنفسهم، وأن العرب إذا ساروا خلف الإبل فسيصلون إلى نتائج أفضل من التي يُخططون لها.

كما كشفت الدراسة أن كتاب مادة الاجتماع الذي يدرس على طلاب المرحلة الثانوية يتعرض لقضية الحرية الشخصية والجنسية، واحترام طبيعة كل شخصية ورغبتها في اختياراتها، وفي ضوء ذلك يعرض الكتاب بعض النماذج الأمريكية التي استطاعت أن تحصل على ما وصفه الكتاب التربوي الأمريكي بأنه حقوقها في المجتمع الأمريكي، ومن هذه النماذج (جمعية أنصار نادي العراة)؛ حيث يتناول الكتاب فكر جمعية أنصار العراة هذه وفلسفتهم، ويعرض صورة لهم، كما يتناول الكتاب الشواذ جنسياً؛ حيث يعرض صور وقصة أول زوجين شاذين من الرجال، وهذه المادة وما تحويه من شذوذ جنسي يتم تدريسها في ظل مناخ اختلاطي مراهق ومن قبل مدرسين ومدرسات أجنبي قد يكونوا مؤمنين ومبشرين بالمثلثة الجنسية».

### المصادر:

- د. ليلي بيومي، المدارس الأجنبية في بلادنا.. غزو آن له أن ينتهي، موقع المسلم، بتاريخ ٢٧/٨/١٤٢٧ هـ: انظر الرابط:  
<http://www.almoslim.com/node/83514>

- فاروق جويده، ماذا بعد طوفان المدارس الأجنبية في مصر؟، جريدة الشروق، ٨ أغسطس ٢٠١٠م، انظر الرابط:  
<http://www.shorouknews.com/Columns/Column.aspx?id=279754>

- دراسة علمية تؤكد: المدارس الأمريكية في مصر تدعو إلى التبشير وطمس الهوية الثقافية ومحو التاريخ المصري، جريدة شباب مصر، العدد ١٥٥، ٢٨ أبريل ٢٠٠٩م على الرابط:

<http://www.shbabmisr.net/XPage.asp?browser=View&EgyxpID=13134&xp1=%C7%E1%D1%C7%C8%D A%C9&xp2=155&xp3=%C7%E1%CB%E1%C7%CB%C7%C1&xp4=2&xp5=%CC%E3%C7%CF%EC%20 %C7%E6%E1&xp6=28&xp7=%C7%C8%D1%ED%E1&xp8=20090428>

- الهيثم زعفان، المثلية الجنسية في مناهج المدارس الأجنبية، ٢٧ أبريل ٢٠٠٩م، أنظر الرابط:  
<http://www.myportail.com/actualites-news-web-2-0.php?id=2484>

# حروب القيم بين الإعلام الغربي والإسلامي



الهيثم زعفان

كاتب وباحث اجتماعي - ماجستير في التخطيط الاجتماعي - جامعة الأزهر

## ملخص الدراسة

تعد أزمة تفسخ القيم لدى قطاع عريض من أبناء الأمة الإسلامية من أكثر الأزمات التي توترق علماء الأمة وحاملي همّها، ويلعب الإعلام الغربي والمتغرب دوراً رئيساً في تعظيم هذه الأزمة، وقد حاول الإعلام الإسلامي بحضوره اللافت أن يعظّم سُنّة المدافعة قبالة هذا السيل الانحلالي الذي يستهدف الإعلام الغربي والمتغرب من خلاله قيمّ الأمة وثوابتها، من هنا جاءت هذه الدراسة التي حاولت تلمّس معالم معركة القيم التي يحركها الإعلام الهابط في صفوف المسلمين، فبينت الدراسة أن الغرب يحاول عولمة نموذج التحرير دونما التفات لخصوصيات الأمم في بنائها القيمي ومرجعيتها الشرعية الضابطة لهذا البناء. وقد ساعد على ذلك وجود كوادر بشرية من أوساط المسلمين، تسير على درب الغرب في توجيهها لوسائل الإعلام الخاضعة لإشرافها.

وأوضحت الدراسة الراهنة أن توظيف الغرب لوسائل الإعلام بما يهدم المنظومة القيمية يسير على ثلاثة مسارات: حيث يعبّر المسار الأول عن الواقع الفعلي للمجتمعات الغربية، بما فيها من تفسخ وانحلال، بينما يعبّر المسار الثاني عن الطمع المالي لصنّاع الإعلام، أما المسار الثالث فيعبّر عن الصراع بين الغرب والإسلام، واحتلال الغرب لديار الإسلام وانعكاسات ذلك على القطاع الإعلامي. وقد قدمت الدراسة في ضوء ذلك العديد من الشواهد الإحصائية التي تبين مدى خطورة التأثير الإعلامي الموجّه على وعي الشعوب وقيمتهم.

كما تناولت الدراسة أثر الإعلام الغربي والمتغرب على منظومة القيم في المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال جملة من الدراسات الأكاديمية الموثقة، والتي تطلق صرخات نذير إحصائية حول مسئولية الإعلام الهابط في خلخلة منظومة القيم، وتناولت الدراسة في ضوء ذلك انعكاسات الإعلام الغربي والمتغرب على أطفال الأمة، وخاصة على شبابها ونسائها، وبينت الدراسة واقع الإعلام الإسلامي من الاستهداف الغربي لقيم الأمة وثوابتها؛ حيث وضعت الدراسة يدها على نقاط القوة والضعف في مدافعة الإعلام الإسلامي للإعلام الغربي والتغريبي؛ وذلك على مستوى الأطفال والشباب والمرأة المسلمة.

وقد انتهت الدراسة بجملة من التوصيات والمقترحات بلغت عشرين توصية ومقترحاً يمكن في ضوئها -بإذن الله تعالى- الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية إزاء سيل السماوات المفتوحة وعصر المعلومات، وإحداث نوع من التوازن، وكسب الجولات في معركة القيم بين الإعلام الغربي والمتغرب من ناحية والإعلام الإسلامي من ناحية أخرى.

# حروب القيم بين الإعلام الغربي والإسلامي



الهيثم زعفان

كاتب وباحث اجتماعي - ماجستير في التخطيط الاجتماعي - جامعة الأزهر

## مقدمة:

لا ينكر أحد الآن الدور التآثيري الممتد لوسائل الإعلام في تشكيل وعي الشعوب، ومن ثم توجيه تلك الشعوب صوب قيم بعينها، سواء كانت سلبية أو إيجابية. والغرب بتركيبته المعقدة، وتشكيلاته العقدية المتعددة، وكذلك ليبراليته المتحررة من الضوابط العقدية والشرعية، يقدم منظومة قيمية تميل إلى الأهواء وإشباع الرغبات، ويراهما هو مناسبة لواقعه المجتمعي، لكنه نظراً لاعتبارات عديدة، منها: ما هو مرتبط بقضايا الصراع العقدي بين الغرب والإسلام، ومنها ما هو مرتبط بمحاولات بسط النفوذ الغربي على وجه البسيطة، يحاول الغرب عولمة نمودجه التحريري هذا دونما التفات لخصوصيات الأمم في بنائها القيمي، ومرجعيتها الشرعية الضابطة لهذا البناء.

وفي ضوء ذلك كانت وسائل الإعلام ميداناً خصباً للترويج لمنظومة القيم الغربية التحررية داخل المجتمعات الإسلامية، وقد ساعد على هذا الترويج وجود كوادر بشرية من أوساط المسلمين تأثرت بالغرب وانبهرت به، ورأت في نقل كل ما ينضح به الغرب هو من باب «المدنية الحديثة»، فصبغوا ووجهوا الوسائل الإعلامية التي يملكونها أو يديرونها أو يعملون في قطاعاتها المتعددة وفق ما يطرحه الغرب من قيم تحررية، فكانوا بذلك أحد أدوات الصراع القيمي في المنطقة الإسلامية بما يخدم الأهداف الغربية في إبعاد المسلمين عن قيمهم الإسلامية الراسخة.

تلك القيم الإسلامية التي حملت وسائل الإعلام الإسلامية على عاتقها مسئولية ترسيخها في المجتمعات الإسلامية، وفي ذات الوقت محاولة إحداث عملية التوازن قبالة الهجمة التغريبية في وسائل الإعلام المروجة للقيم الغربية في المجتمعات الإسلامية.

من هذا المنطلق سعت هذه الدراسة لإلقاء الضوء على حروب القيم بين الإعلام الغربي، وكذلك الإعلام العربي المتغرب من ناحية، والإعلام الإسلامي من ناحية أخرى.

ولمعالجة هذه القضية سيتم استخدام المنهج التحليلي، والذي في ضوئه سيتم تفكيك وتحليل آليات ومحتويات معركة الغرب والمتغربين القيمي في الميدان الإعلامي، وطبيعة مدافعة وسائل الإعلام الإسلامية لتلك المعركة التغريبية، وذلك بهدف الخروج بمؤشرات توجيهية تقيّم المكاسب والخسائر في تلك المعركة الساخنة والمعقدة، وتقدم جملة من النصائح البحثية والتوصيات العملية بما يخدم عملية التوازن ومدافعة ما يضرّ بالأمة الإسلامية في هذا الميدان.

## ١- أهمية وسائل الإعلام في تشكيل بنية القيم والمعتقدات في المجتمعات الحديثة، وأثرها في تكوين الرأي العام والعقل الجمعي للأمم والشعوب:

لكل مجتمع معتقده وثقافته، ومن ثم منظومته القيمية المنبثقة من هذا المعتقد وتلك الثقافة، وعلى ذلك فإن هناك خصوصيات تميّز كل مجتمع عن الآخر على وجه الأرض. وفي ضوء ذلك تسعى المجتمعات بكافة أطيافها إلى استثمار وسائل الإعلام المتاحة لديها من أجل تكريس وتثبيت معتقداتها وثقافتها وقيمها في أوساط شعوبها.

وعند الحديث عن القيم بين الإسلام والغرب ينبغي التأكيد على أننا نتحدث عن حق وباطل، عن أوامر إلهية وضوابط شرعية تضبط سياق القيم في المجتمع الإسلامي، وعلى النقيض في الغرب؛ فإن هناك أدياناً محرّفة، وأهواءً تحريرية تحررت من أية ضوابط عقدية تضبط سياق المجتمع، ومن ثمّ قيمه السائدة فيه. فالقيم الإسلامية إذن وكما ذهب علماء الإسلام تضم شمول الدين الإسلامي بأوامره ونواهيه، والتي تربط بين دنيا المسلم وآخرته، وتحقق لديه معنى العبودية لله في كافة تحركاته وسكناته؛ وفقاً لمراد الله سبحانه وتعالى الذي يقول في كتابه العزيز: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَلِيِّنَ ﴿١٣١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. [الأُنعام: ١٦٢-١٦٣].

وحيث إن القيم في الغرب -كما يوضح علماء الغرب أنفسهم- هوائية؛ فإنها تضم الحق والباطل، الإيجابي والسلبي، الشهوات والشبهات، وهي تتصف بالنسبية؛ حيث تمتد وتكتمش بحسب مصالح الشعوب وأهوائها وشهواتها، فكل ما تصطلح الثقافة في الغرب على أنه خير يخضع دائماً في اختياره إلى مبلغ فائدته الاجتماعية لهذه الثقافة بالذات؛ فالقيم تكون صالحة أو فاسدة تبعاً لدرجة قدرتها، أو عدم قدرتها، على إشباع الحاجات الأساسية، البيولوجية والاجتماعية

## للناس في الثقافة المعينة.<sup>(١)</sup>

إذن فإشباع الاحتياجات وتحقيق الغايات، وفق الأهواء، هو المعيار الأساس في تشكيل المنظومة القيمية الغربية، فمعنى المفردة القيمية في الغرب إذن ليس حميداً كما هو في ديار الإسلام، بل هو يضم الخبيث والحسن، والمحزن أن الخبيث يغلب هناك على الحسن؛ بشهادة علماءهم هم، وهذا الخبث ينعكس على كافة القطاعات الغربية، وعلى رأسها الإعلام.

وبنظرنا؛ فإن توظيف الغرب لوسائل الإعلام بما يهدم المنظومة القيمية؛ يسير على ثلاثة مسارات: حيث يعبر المسار الأول عن الواقع الفعلي للمجتمعات الغربية، بما فيها من تفسخ وانحلال، وبالتالي ينعكس هذا الواقع على الإعلام وصناعاته، ومن ثم تخرج المواد الإعلامية لتكون بمثابة مرآة لتفاعلات الحياة الغربية اليومية.

بينما يعبر المسار الثاني عن الطمع المالي لصنّاع الإعلام، فيصنعون مواد إعلامية انحلالية، تحقق لهم الأرباح الخيالية، غير معيّنين في ذلك بانهايار المجتمعات ومنظومتها القيمية بناءً على هذه التجارة الخبيثة.

أما المسار الثالث، والذي يمكننا تسكيته في زاوية الصراع بين الغرب والإسلام، واحتلال الغرب لديار الإسلام؛ حيث يضع قادة الصراع في الغرب هدفاً أساسياً نُصّب أعينهم يتمثل في محاولة خلخلة المنظومة القيمية الإسلامية، ومزاحمتها بقيم هوائية تفسد على المسلمين تقربهم إلى الله بمنظومتهم القيمية المنضبطة بالضوابط الشرعية.

وحالة الحرب القيمية السائدة الآن على مستوى الميدان الإعلامي تسير في مسارين: الأول على مستوى الشبهات، والدفع بما يشكك العوام في منظومتهم الإسلامية الراسخة، بينما يأتي المسار

(١) فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٦٨.

ومن وراء كل ذلك قادة صراع يستثمرون هذا المناخ الفاسد لخلخلة المنظومة القيمية في العالم الإسلامي.

وحتى نستبين حجم تأثير الوسائل الإعلامية على مسار المنظومة القيمية في المجتمع، سنحاول تقديم بعض الصور الإحصائية في المجال الإعلامي، تكشف بجلاء خطورة التأثير الإعلامي الموجه على وعي الشعوب وقيمهم.

### المواقع الإباحية على الإنترنت:

يبلغ عدد المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت حوالي ٤,٢ مليون موقع، بينما يبلغ إجمالي عدد الصفحات الإباحية على الإنترنت حوالي ٤٢٠ مليون صفحة؛ حيث تأتي الولايات المتحدة في مقدمة قائمة أكثر البلدان امتلاكاً لصفحات جنسية بنصيب يتعدى ٢٤٤,٥ مليون صفحة، تليها ألمانيا بنصيب يبلغ أكثر من ١٠ ملايين صفحة، ثم بريطانيا بنصيب ٨,٥ مليون صفحة ثم أستراليا، اليابان، هولندا، روسيا، بولندا وإسبانيا.

### مستخدمو شبكة الإنترنت عبر العالم<sup>(\*)</sup>

المنطقة	عدد السكان ٢٠١٠م	مستخدمو الإنترنت ديسمبر ٢٠٠٠م	مستخدمو الإنترنت يوليو ٢٠١٠م	النسبة
إفريقيا	١.٠١٢.٧٧٩.٠٥٠	٤.٥١٤.٤٠٠	١١.٠٩٣١.٧٠٠	١٠.٩
آسيا	٣.٨٣٤.٧٩٢.٨٥٢	١١٤.٣٠٤.٠٠٠	٨٣٥.٠٩٤.٣٩٦	٢١.٥
أوروبا	٨١٣.٣١٩.٥١١	١٠٥.٠٩٦.٠٩٣	٤٧٥.٠٦٩.٤٤٨	٥٨.٤
الشرق الأوسط	٢١٢.٣٣٦.٩٢٤	٣.٢٨٤.٨٠٠	٦٣.٢٤٠.٩٤٦	٢٩.٨
أمريكا الشمالية	٣٤٤.١٢٤.٤٥٠	١٠٨.٠٩٦.٨٠٠	٣٦٦.٢٣٤.٥٠٠	٧٧.٤
أمريكا اللاتينية- الكاريبي	٥٩٢.٥٥٦.٩٧٢	١٨.٠٦٨.٩١٩	٢٠٤.٦٨٩.٨٣٦	٣٤.٥
أستراليا	٢٤.٧٠٠.٢٠١	٧.٦٣٠.٤٨٠	٢١.٣٦٣.٩٩٠	٦١.٣
المجموع	٦.٨٤٥.٦٠٩.٩٦٠	٣٦٠.٩٨٥.٤٩٢	١.٩٦٦.٥١٤.٨١٦	

(\*) Internet World Stats: Internet Usage Statistics, The Internet Big Picture, World Internet Users and Population

Stats. <http://www.internetworldstats.com/stats.htm>

الثاني على مستوى الشهوات، وبما يغرق الأمة في المذلات، ويصرفها عن تحقيق مراد الله في الأرض.

والإعلام بكافة وسائله وتقنياته يُعد ميداناً خصباً لإدارة هذه الحرب القيمية، وقد زادت أهمية وتأثير وسائل الإعلام بعد ثورات التقنيات والأقمار الصناعية والإنترنت، ونجاح الوسيلة الإعلامية في كسر كافة الحواجز، وبالتالي يزداد تأثير الوسيلة الإعلامية في تشكيل وعي الشعوب وتوجيهها صوب قيم بعينها.

ويكفي للتدليل على جدية هذه الحرب من قبل الغرب ما كشفت عنه مؤسسة راند القريبة من دائرة صنع القرار الأمريكي من أن الميزانية السنوية التي ترصدها الولايات المتحدة الأمريكية لقناة الحرة الأمريكية والناطقة باللغة العربية هي ٦٧١,٩ مليون دولار إضافة إلى ٥٠ مليون دولار أخرى كاحتياطي للأزمات<sup>(١)</sup>. وعلى ذات الدرب يأتي الدعم المالي والمعنوي للإعلام التغريبي في العالم العربي.

وعلى ذلك؛ فإننا أمام إشكالات عدة تواجهها الأمة الإسلامية ومنظومة القيم الإسلامية فيها على مستوى

الميدان الإعلامي؛ حيث المادة الإعلامية المتغربة متفسخة، والمستثمر الإعلامي الغربي هدفه ربحي؛ حيث يدفع كل يوم بعشرات المنتجات الإعلامية الانحلالية، ومتغربون عندنا يسيرون على درب الغرب في الاتجاهين سواء بالتقليد الانحلالي أو الاستثمار الإعلامي الخبيث.

(١) د. باسم خفاجي: استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام، قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧م، سلسلة رؤى معاصرة، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، السنة الأولى، العدد رقم ٤، مايو ٢٠٠٧م، ص ٢٦.



### صناعة السينما الأمريكية:

يوضح تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية عن صناعة السينما في أمريكا أن أكثر من ٥٠٪ من إيرادات هوليوود على شبك التذاكر تأتي عادة من مبيعات التذاكر خارج الولايات المتحدة. وكثيراً ما تكون الإيرادات الإجمالية الأجنبية أكثر من ٧٠٪ في حالة الأفلام الضخمة.

كما كشف التقرير عن أن الإيرادات الإجمالية لشباك تذاكر بلغت ١٦,٩٦ مليار دولار في عام ٢٠٠١م جاء نصفها تقريباً، أي ٨,٤١ مليار دولار من دور السينما داخل الولايات المتحدة، والباقي من دور السينما الأجنبية. بينما بلغت في عام ٢٠٠٦م حوالي ٢٥,٨٢ مليار دولار ثلثها تقريباً من داخل الولايات المتحدة والباقي من الخارج. وتعقيباً على هذه الأرقام يقول تقرير الخارجية الأمريكية:

«وهذا يعني أن الحركات المضحكة للأشخاص المغفلين، وحبكات القصص الغبية، والتفجيرات الضخمة، التي تشكل في أعين المنتقدين الأجانب أسوأ الصادرات من الأفلام الأمريكية، تنجم عن استجابة هوليوود لجمهور عالمي وليس لجمهور محلي»<sup>(٢)</sup>.

### ٢- أثر الإعلام الغربي والمتغرب على منظومة القيم في المجتمعات الإسلامية في إطار حروب الثقافات والهويات وصراع الحضارات:

يلمس كل حلیم حجم المآسي التي يتسبب فيها الإعلام الغربي والإعلام المتغرب في العالم الإسلامي، جراء المسلسلات والأفلام الساقطة، والبرامج الشبابية

(٢) توماس دوهرتي: ما الذي يجعل الأفلام الأمريكية أمريكية؟، تقرير صناعة السينما في الولايات المتحدة الأمريكية، مكتب الإعلام الخارجي، وزارة الخارجية الأمريكية، ٢٠٠٧م.  
الموقع الإلكتروني للمكتب: <http://www.america.gov/ar/>

وتبلغ نسبة زوار المواقع الإباحية من مستخدمي الإنترنت ٤٢,٧٪ من إجمالي زوار الشبكة. بينما تبلغ نسبة تحميل المواد الإباحية عبر الإنترنت ٣٥٪ من إجمالي المواد المحملة، أما عدد المواقع الإباحية التي تحتوي على مواد إباحية لأطفال فتبلغ أكثر من ١٠٠,٠٠٠ موقع.

كما يبلغ عدد مرات البحث عن المواقع الإباحية بمحركات البحث ٦٨ مليون طلب يومياً؛ وعدد الرسائل الإلكترونية الإباحية ٢,٥ مليار رسالة يومياً.

يوضح تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية عن صناعة السينما في أمريكا أن أكثر من ٥٠٪ من إيرادات هوليوود على شبك التذاكر تأتي عادة من مبيعات التذاكر خارج الولايات المتحدة. وكثيراً ما تكون الإيرادات الإجمالية الأجنبية أكثر من ٧٠٪ في حالة الأفلام الضخمة.

كما توضح الإحصائيات أن ٨٩٪ من زوار غرف الدردشة يخوضون في موضوعات جنسية. وأن ٢٠٪ من زوار الإنترنت اعترفوا بدخولهم إلى المواقع الإباحية أثناء وقت العمل.

وعلى ذلك يفوق الدخل السنوي لصناعة الإباحية عبر الإنترنت ١٢ مليار دولار أمريكي.

وعلى مستوى الأطفال والإنترنت الانحلالي؛ توضح الإحصائيات أن متوسط عمر الأطفال الذين يتعرضون للمواد الإباحية لأول مرة على الإنترنت يبلغ ١١ عاماً.

ومتوسط عمر الأطفال الأكثر اعتياداً على الدخول إلى تلك المواقع الانحلالية من سن ١٥ إلى سن ١٧. وأن ما يقرب من ٢٦ شخصية كارتونية محبة إلى الأطفال تُستغل لاصطيادهم إلى المواقع الجنسية.

وعلى ذلك يبلغ الريح السنوي التقديري لاستغلال الأطفال جنسياً عبر الإنترنت ٣ مليارات دولار أمريكي<sup>(١)</sup>.

(١) تقرير نشرته جريدة القبس الكويتية عن المواقع الإباحية على الإنترنت: <http://www.alqabas.com.kw/Article.aspx?id=339286>

خفية عن أسرهم<sup>(٢)</sup>.

في الوقت نفسه أظهر بحث بعنوان «الهوية العربية كما تعكسها أغاني الفيديو كليب وانعكاساتها على قيم الشباب»، أنه بتحليل ٣٦٤ أغنية بثتها بعض القنوات العربية والرسمية بلغت نسبة اللقطات المثيرة ٧٧٪، وأشارت الدراسة أيضاً إلى أن عينة الأغاني تعكس البيئة الغربية بنسبة ٧٠٪، والبيئة العربية بنسبة ٣٠٪. وبلغت نسبة الرسائل بين الجنسين على قناة روتانا ٧٦٪، وغلبت القيم السلبية على القيم الواردة في الأغاني بنسبة ٨٥٪، منها نسبة ٣٣٪ لقيم الخيانة، و٢٥٪ للغدر، و٢٢٪ للتجاهل وعدم التقدير، و٥٪ للكراهية<sup>(٣)</sup>.

وكشف الدكتور محمد مراد عبد الله مدير مركز دعم اتخاذ القرار في شرطة دبي، عن وجود أكثر من ٣٠ محطة فضائية غنائية تبث ما يقارب ١٥ مليون رسالة يومياً، وأن متوسط عدد المكالمات والرسائل النصية لقصيرة «إس إم إس» التي تتلقاها المحطة الواحدة يبلغ ٣٣ ألف مكالمات ورسالة في الساعة الواحدة، وإن المحطة تحقق دخلاً يزيد عن ٢٠ مليون درهم شهرياً<sup>(٤)</sup>.

### انعكاسات الإعلام الغربي والمتغرب على أطفال الأمة:

يعد تشكيل وعي أطفال المسلمين وفق قيم تغريبية معينة هدفاً مباشراً لوسائل الإعلام الغربية والتغريبية،

(٢) الدكتور حسن علي، استخدامات الشباب الجامعي للقنوات الفضائية، أبحاث مؤتمر الإعلام المعاصر والهوية الوطنية، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٣) الدكتور أشرف جلال، الهوية العربية كما تعكسها أغاني الفيديو كليب، وانعكاساتها على قيم الشباب، أبحاث مؤتمر الإعلام المعاصر والهوية الوطنية، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٤) الدكتور محمد مراد عبد الله مدير مركز دعم اتخاذ القرار في شرطة دبي: على هامش الحملة الرابعة لجمعية توعية ورعاية الأحداث في دولة الإمارات للتصدي للقنوات الفضائية الهابطة، الموقع الإلكتروني لجمعية توعية ورعاية الأحداث في دولة الإمارات:

<http://www.jewa.org.ae/>

المختلطة والفارغة، والأغاني والكليبات المقززة، والمقالات والحوارات والصور بالصحف والمجلات الفارغة والفاضحة، والمواقع الإلكترونية الانحلالية، والبرامج والإذاعات الشبابية المغربية، فكل حلیم وكل متمسك بالقيم الإسلامية يحمل الإعلام المنفلت مسؤولية تفشي العديد من الأمراض المجتمعية من قبيل الدياثة، العري، الزنا، الشذوذ، الاغتصاب، الخيانة، الإدمان، الكذب، السرقة، السخرية من الغير، عدم توقير الكبار، التمرد على الوالدين، التمرد على الأرزاق، ثم التمرد على كافة الأحكام الشرعية، وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية المهلكة التي تستوجب غضب الله سبحانه وتعالى.

وهناك عدة مؤشرات من خلالها يمكن معرفة حجم هذا الزخم الإعلامي المنفلت، فعلى سبيل المثال بتحليلنا لمحتوى قنوات القمر الصناعي النابلسات تبين وجود ٨٨ قناة للأغاني، و٦٠ قناة للأفلام والمسلسلات، فضلاً عن ٥٠ قناة رياضية، والأعداد تزداد يوماً بعد يوم، وهذه القنوات وخاصة قنوات الأغاني والأفلام تجذب قطاعاً عريضاً من المشاهدين العرب، وتتنافس فيما بينها على تقديم أحدث ما يتم إنتاجه من أفلام وكليبات، وتحرص على ترويج هذه المنتجات بمساحات ممتدة من المقطعات الانحلالية.

كما كشف مؤتمر عقده كلية الإعلام جامعة القاهرة<sup>(١)</sup> عن وجود علاقة كبيرة بين أغاني الفيديو كليب ومحاولات العولمة التي تروج لنمط الحياة الغربية بشكل متعمد، وأظهر المؤتمر ارتفاع معدلات مشاهدة الشباب لأغاني الفيديو كليب؛ حيث كشفت إحدى الدراسات المقدمة للمؤتمر أن ١٠٠٪ من الشباب الذين شملتهم عينة الدراسة يشاهدون مطربات مشهورات بالتعري، في الوقت الذي كشفت فيه الدراسة عن أن ٤٠٪ ممن شملتهم العينة يتابعون أغاني الفيديو كليب

(١) مؤتمر «الإعلام المعاصر والهوية الوطنية»: مؤتمر نظّمته كلية الإعلام جامعة القاهرة في الفترة من ٤-٦ مايو ٢٠٠٤م.

وذلك بتكثيف مشاهد الإعجاب بين الفتى والفتاة، وضرورة أن يكون للبننت صديق تحبه ويحبها، وجميعها علاقات تعرضها القناة في أحيان كثيرة مصحوبة بقبلات وأحضان وتجريد من معظم الملابس- إحاطة الطفل بمناخ انحلالي مثل الرقص الخليع، القبلات، شرب الخمر، لعب القمار، الكذب، القتل، السرقة، واحتراف المكائد، وكلها أخلاقيات فاسدة يخشى من ورائها فساد أخلاق الطفل المتلقي لتلك المحتويات- ترسيخ الكذب، التزييف، الغدر، الخيانة، الانتقام، السخرية من الآخرين، وغير ذلك من الصفات غير الشرعية وذلك وفقاً لما تقدمه سيناريوهات مواد الأطفال الإعلامية من محتويات تعزز تلك الصفات، وأبرز مثال على ذلك كرتون « توم وجيري » القائم في مجمله على السخرية والانتقام والكيده للآخرين.

#### انعكاسات الإعلام الغربي والمتغرب على شباب الأمة:

وسائل الإعلام ساهمت مساهمة فعالة في إثارة غرائز الشباب عن طريق المواقع الإلكترونية الانحلالية، الأفلام، المسلسلات، الأغاني المصورة، الصور الخليعة والمأجنة، وعن طريق القصص الغرامية، وهي أمور تدفع أحياناً بعض الشباب للبحث عن منافذ، وجميعها منافذ تصبّ في دوائر محرمة تغيب معها كافة الاعتبارات القيمة في المجتمع الإسلامي. ولعل الخطورة ندركها من إحدى الدراسات المقدمة لكلية الملك فهد الأمنية؛ حيث كشفت الدراسة التي حللت محتوى الهواتف المحمولة التي ضبطتها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنه من بين ١٤٧٠ ملفاً بذاكرة الهواتف المحمولة كان هناك ٧٠٪ منها عبارة عن ملفات إباحية، كما كشفت الدراسة عن أن ٨٨٪ من البنات في عينة الدراسة يقلن: «إنهن ضحية للتحرش باستخدام البلوتوث»<sup>(١)</sup>.

(٢) الدكتور عبد الله بن محمد الرشيد: الاحتساب على جرائم تقنية البلوتوث، ندوة المجتمع والأمن الجرائم الإلكترونية: الملامح والأبعاد، كلية الملك فهد الأمنية، الدورة الخامسة، الرياض، ١٤٢٧هـ.

ويُعد ذلك استثماراً لجلوس الطفل فترة طويلة أمام الوسيلة الإعلامية، سواء كانت تلفزيوناً أو إنترنت<sup>(١)</sup> لمشاهدة قنوات ومواقع الأطفال الإلكترونية بما تحويه من مواد إعلامية مسلية للطفل.

والخطورة تكمن في أن معظم قنوات الأطفال العربية تعيد عرض منتجات الأطفال الإعلامية الغربية من كارتون، مسلسلات، أغان، مسابقات، ألعاب سحرية، وبرامج أطفال إرشادية، سواء كانت علمية أو تربوية غربية، بدون التحفظ على ما بها من تجاوزات أخلاقية وعقدية، وهذه القنوات تقوم بعملية الدبلجة إلى العربية، وفي أحيان كثيرة يتم عرض المنتج الإعلامي كما هو وبلغته الأصلية.

كما أن هناك قنوات أطفال عربية أخرى تحاول تقديم مواد إعلامية من إنتاجها، لكن إشكالياتها تكمن في أن العقول الصائغة لهذه المواد والمشرقة على عملية إعدادها؛ إما أنها غربية تمت الاستعانة بها كخبرة غربية جاهزة، وبالتالي تخرج المواد الإعلامية بصياغة وروح غربية، أو عقول شرقية، ولكنها تتحرك بمنطلقات علمانية متغربة فتجرد المنتج الإعلامي من أية هوية إسلامية.

والخطورة في ذلك -فضلاً عن المخاطر العقدية- أن هذه المواد الإعلامية الغربية والمتغربة تقوم بنقل الثقافة الغربية بكل ما تحويه من انحلال وفساد عقدي، بصورة تليفزيونية تبهر الطفل المتلقي، وهذه أمور من شأنها تكريس ثقافة الاختلاط بين الفتى والفتاة في وجدان الطفل- نشر ثقافة العري بين الأطفال، خاصة وأن هناك كمية كبيرة من مشاهد الأفلام الكارتونية في قنوات الأطفال تكون البطلات فيها شبه عاريات- إشاعة الفاحشة بين الأطفال،

(١) إذا كان متوسط قضاء الطفل أمام التلفزيون والإنترنت يومياً أربع ساعات، فإن عدد الساعات في الشهر سيكون ١٢٠ ساعة، وفي السنة ١٤٤٠ ساعة، أي شهرين في العام بالتمام والكمال يتلقى الطفل فيهما جملة من الموجهات التربوية المباشرة عبر التليفزيون والإنترنت، بمعنى أنه بعد مرور عشر سنوات من عمر الطفل سيكون قد قضى ما متوسطه عشرون شهراً أمام محتويات قنوات الأطفال، أي ما يقارب العامين.

كما ساهمت أفلام العصابات والإجرام في أكثر من ٧٠ مليون اتصال.<sup>(١)</sup>

وهذه النوعية من البرامج من شأنها تمرير النموذج الغربي في أوساط الشباب، وتدمير قواعد قيمة شرعية مثل الاختلاط السافر، وكسر كافة الحواجز بين الفتى والفتاة.<sup>(٢)</sup>

**ساهمت أفلام العصابات والإجرام في انحراف الكثير من المراهقين وتدريبهم على اقتراف الجريمة، وكل ذلك يعمل على خلخلة المنظومة القيمية لشباب الأمة ومن ثم انسلاخهم عن الضوابط والأحكام الشرعية الضابطة لحركاتهم وسكناتهم في المجتمع الإسلامي**

انحراف الكثير من المراهقين، وتدريبهم على اقتراف الجريمة، وكل ذلك يعمل على خلخلة المنظومة القيمية لشباب الأمة، ومن ثم انسلاخهم عن الضوابط والأحكام الشرعية الضابطة لحركاتهم وسكناتهم في المجتمع الإسلامي؛ الأمر الذي يفقد المجتمع اتزانه.

### انعكاسات الإعلام الغربي والمتغرب على المرأة والأسرة المسلمة:

وسائل الإعلام الغربية والمتغربة، بما تعرضه من أنماط حياة شاذة عن المجتمعات الإسلامية، تُعد من أكثر الوسائل المفسدة لحياة المرأة المسلمة المستترة في المنزل، فهي تحيط المرأة المسلمة بصورة ذهنية عن ملابس المرأة، وآليات تفاعلها مع كافة المحيطين بها، وجميعها آليات مستمدة من نظرة المرأة الغربية للحرية

كما نلاحظ أن هناك تأثيراً فعالاً لما يُعرف بـ«تلفزيون الواقع» Real TV، والتي تزعم أنها تعتمد على الواقعية في التصوير وتسلسل الأحداث، وهي برامج غربية في الأساس، تم تقليدها في منطقتنا العربية مثل برنامج «ستار أكاديمي»، وهو برنامج ترفيهي مهمم باستقطاب روافد شابة جديدة للقطاع الفني؛ حيث يتم اختيار مجموعة من الفتيات والفتيان ويعيشون معاً في مكان واحد، ويراقب الجمهور عبر التلفاز كل حركاتهم وتفاعلاتهم التي تتم في مناخ اختلاطي خالٍ من أية ضوابط عقدية، ويميل بالكلية إلى تقليد الغرب في عمليات التفاعل بين الشباب.

(١) الموقع الإلكتروني لبرنامج ستار أكاديمي

<http://www.staracademy-lbc.net/vb>

(٢) تجدر الإشارة في هذا السياق إلى ظاهرة استثمار التقنية الحديثة في نشر الفضيحة الواقعية حيث يقوم ضعاف النفوس والسذج بنشر الفضيحة الحية الواقعية؛ والهاتكة لستر الأعراض في مختلف المجالات، وخصوصاً للنساء المسلمات، وكثيراً ما تصيب الفضيحة نساءً تواجدن في الفنادق والأعراس أو الحمامات العامة أو غرف تبديل الملابس بالتاجر أو ما شابه، وأحياناً في الطرقات؛ ليصورن خلصة وتكون الفضيحة.

وبعد أن كان البحث الانحلالي بين المراهقين منصباً على الأفلام والصور الانحلالية، ويتم التعامل مع المشكلة باعتبار أن الإشكالية تكمن في محاربة «التلقي»، وأن هذه المواد مصدرية إلينا كعالم إسلامي ضمن روافد الانحلال الغربي؛ فإذا حاولنا منع «التلقي» نجحنا ولو جزئياً في تضييق الخناق على الأبناء، ليتجاوزوا تلك المرحلة الحرجة بسلام، ويدخلوا مرحلة جديدة مصحوبة بالزواج، لكن الأمر الآن مختلف، فقد صار بنو جلدتنا وأبناء جبرتنا وفي أحيان فلدات أكبادنا هم المصدرون، ويصدرون سلعة واقعية نادرة تنافس التمثيل والفيديو كليب، وهذه الظاهرة تأخذ صوراً وأشكالاً عديدة، وهي كما تطلعننا صفحات المشكلات الاجتماعية والحوادث بالصحف والمواقع الإلكترونية تدور جميعها حول نشر صورة واقعية أو مقطعاً مرئياً لامرأة أو فتاة مسلمة، عفيفة أو فاسقة، صُورت عورتها برغبتها أو خلصة منها في مكان ما. لذا فمحاربة «التلقي» ينبغي أن يكون مصاحباً له محاربة «التصدير»؛ وذلك حتى يتم تحجيم تلك الظاهرة والسيطرة عليها.

فعلى سبيل المثال يوجد بمكان التعايش حمام السباحة، مزود بأربع كاميرات تعمل تحت الماء وذلك لمراقبة تحركات الشباب والفتيات داخل الحمام؛ حيث تشترط إدارة البرنامج شرطاً يطلب من الفتيات المتقدمات للاختبار عدم الاعتراض على ارتداء المايوه أثناء عرض البرنامج على الهواء، ويعتبر المراقبون أن هذه الفقرة تهدف إلى زيادة نسبة مشاهدة البرنامج، ومن ثم زيادة حصيلته عبر الاتصالات التلفزيونية، حتى يصل لأكبر شريحة ممكنة من الشباب العربي، الذي يصوّت على اختيار نجمه المفضل.

وهذه النوعية من البرامج تجتذب قطاعاً عريضاً من شباب الأمة؛ حيث تشير التقارير إلى أن برنامج ستار أكاديمي تلقى في موسم واحد

وتحرض عليها، وتشوّه صورتها.

والإعلام الإسلامي، سواء كان صحفًا ومجلات أو مواقع إلكترونية، أو قنوات فضائية، وباختلاف مشاربه وتوجهاته الفكرية؛ نجده قد يختلف في عمليات البناء وتشكيل وعي الأمة، إلا أن الغالب على الإعلام الإسلامي هو اتفاهه في عملية المدافعة، ومن ثم رفضه للقيم الغربية الانحلالية، ومحاولة كشف سلبيات الإعلام الغربي والمتغرب، وأثره على بنيان الأمة ومنظومتها القيمة.

لكن التساؤلات المعقدة التي تفرض نفسها الآن هي: هل تعاطي الإعلام الإسلامي مع الاستهداف الغربي والتغريبي لثوابت الأمة وقيمها يعادل، على الأقل على المستوى الكمي، حجم المكاسب التي يحققها الإعلام الغربي والمتغرب؟

لقد رأينا تفاعلات الأطفال والشباب المسلم مع البرامج التغريبية، والأغاني والأفلام الانحلالية، فهل المقبلون من الأطفال والشباب والنساء على الإعلام الإسلامي يعادل كميًا المقبلين من الطرف الآخر؟

وهل تحذير الإعلام الإسلامي من عواقب التفاعل مع تلك المواد الغربية والتغريبية كافٍ لمدافعة الاستهداف الغربي والمتغرب؟

إن الواقع الإحصائي ابتداءً يحتاج إلى دراسات إحصائية موسعة تعتمد على نسب المشاهدات والتفاعلات، وهذه الدراسات يمكن لمراكز استطلاعات الرأي أن تقوم بها، لكن المؤشرات الملموسة تشير إلى أن حجم التغريب في صفوف الأمة جراء الإعلام الغربي والمتغرب كثيف، وله عوامل كثيرة تدعمه لا يحظى بها الإعلام الإسلامي. والمبشّر في الأمر أنه بنظرة تحليلية سريعة على الإعلام الإسلامي في ذات الميادين التي يكتف فيها الإعلام الغربي والمتغرب حضوره نجد أن هناك نسبية في المدافعة والتعاطي، وسنحاول استكشاف تلك النسبية، وذلك عبر الصورة التالية:

المنفلة، وأن المرأة رئيسة نفسها في كافة تحركاتها وسكناتها، وليس لأحد سلطان عليها حتى ولو كان الدين، كما أن وسائل الإعلام بهذه الصورة تعد من أكثر الوسائل المخيبة للزوجة على زوجها وأسرتها، وتجعلها، بما تبثه من أنماط وسلوكيات حياة كاذبة، تتمرّد على معيشتها مع زوجها ووالديها، ويؤدي ذلك في النهاية لانتشار عقوق الوالدين والانفصال بين الزوجين.

٢- واقع الإعلام الإسلامي من الاستهداف الغربي لقيم الأمة وثوابتها، وكيف تعاطى الإعلام الإسلامي مع ذلك الاستهداف؟

على الرغم من هذا الزخم الإعلامي الغربي والمتغرب بإمكانياته الضخمة وداعميه المؤثرين، مقارنة بإمكانيات الإعلام الإسلامي المتواضعة والصعوبات التي يواجهها، إلا أن الإعلام الإسلامي نجح نسبيًا في وضع سُنّة المدافعة على طاولة المنازلة، ومن ثم محاولة إحداث نوع من التوازن الإعلامي قبالة هذا السيل الانحلالي المستهدف لقيم الأمة وثوابتها.

ويغض النظر عن الدراسات الناقدة للإعلام الإسلامي، وتركيزها على ضعف الخبرات الإعلامية وحاجته إلى مزيد من الاحتراف والتخصّصية والتمكّن؛ فإن صدى الإعلام الإسلامي، سواء كان مقروءًا أو مسموعًا أو مرئيًا، ملموسٌ في صفوف المسلمين، وذلك بعودة مظاهر عديدة للتدين كانت قليلة نسبيًا في العقود المنصرمة على مستوى العامة، فالمساجد صارت أكثر امتلاءً، والنساء صرن أكثر احتشامًا والتزامًا بالزي الشرعي، وتفاعلات الجمهور مع الإعلام الإسلامي بالاتصالات والتساؤلات واستطلاعات الرأي تعبّر عن إقبال فئات مغيّبة من المجتمع على الدين الإسلامي وعلماء الإسلام.

وأحسب أن هذه الأمور قد أزعجت التيارات العلمانية في المجتمعات الإسلامية كثيرًا، فصارت تمارس ضغوطها كي تغلق المنابر الإعلامية الإسلامية،

## أولاً.. على مستوى الأطفال:

غنائية، قد يكون بها نوع من المكونات التربوية المناهضة للمكونات التربوية الهادمة الموجودة في الطرف الغربي والتغريبي الآخر، لكنها تركز معظم الوقت الإعلامي لثقافة الغناء والمرح، وهذا لا ينشئ جيلاً متزناً يحمل همّ الأمة الإسلامية، خاصة وأن هناك قطاعاً عريضاً من الأطفال منجذب إلى هذا النوع من الإعلام المحافظ، ويحفظ أغانيه عن ظهر قلب، وأحسب أن هذه المنابر الإعلامية لو تعاقدت مع مجموعة من العلماء والمستشارين التربويين ذوي الانطلاقات العقديّة المنضبطة، لخرجت ببرامج ومواد إعلامية للأطفال ستثري كثيراً وتؤثر في التشكيل الصحيح لوعي أطفال الأمة الإسلامية.

٢- منابر إعلامية للأطفال ذات توجهات إسلامية سُنّية، لها أهداف تربوية ملموسة للمتابع، وإن كان ينقصها التنوع والحكمة الإعلامية والتربوية في إنتاج مواد الأطفال، ويأخذ عليها البعض أن القطاع التلفزيوني منها مشفّر، ويحتاج إلى اشتراكات مالية شهرية في وقت تبث فيه باقي قنوات الأطفال مجاناً.

يُعد ميدان الأطفال من أكثر الميادين التي يشكّل الإعلام الإسلامي فيها حضوراً متميزاً، ربما لأن توفير البديل الشرعي من كارتون وبرامج أطفال لا يحتاج إلى إمكانيات ضخمة، أو مصحوب بمحاذير شرعية، مثل الدراما وبرامج الشباب التفاعلية، علاوة على تشجيع الأسر لانتقاء مواد إعلامية هادفة لأبنائهم الخاضعين للرقابة النسبية، بخلاف المراهقين والشباب، وبالعوم فإن هناك قائمة طويلة من شركات إنتاج المواد الإعلامية للأطفال وقنوات الأطفال، ومجلات وقصص الأطفال، والتي تتحرك جميعها بالصبغة الإسلامية، ولكن هذا القطاع يُلاحظ عليه ملاحظتان جوهريتان، وهما:

١- هناك منابر إعلامية للأطفال ذات منطلقات يمكن أن يطلق عليها محافظة، ويمكن أيضاً وصف أصحابها بأنهم من ذوي النوايا الطيبة نحسبهم كذلك، لكن الإشكالية تكمن في أن غالب ما يقومون بعرضه عبارة عن أغانٍ إيقاعية وأناشيد وحفلات

تكريس ثقافة الاختلاط بين الفتى والفتاة

نشر ثقافة العري

إشاعة الفاحشة بين الأطفال

إحاطة الطفل بمناخ انحلاطي: رقص خليع، قيلات، شرب الخمر، لعب القمار، الكذب، القتل، السرقة، احتراف المكائد

ترسيخ الكذب، التزييف، الغدر، الخيانة، الانتقام، السخرية من الآخرين

بعض مظاهر الانحلال والفساد العقدي التي تقدمها المواد الإعلامية الغربية والمتغربة للأطفال:



التغريبي والعكس، وليس أيضاً بذات الدرجة المؤثرة الملموسة في ميدان الأطفال.

### ثالثاً .. على مستوى المرأة المسلمة:

أكثر ما يجذب المرأة في الإعلام الغربي والمتغرب هو الدراما، سواء مسلسلات أو أفلام، والإعلام الإسلامي في غالبه له موقف شرعي حازم في قضايا التمثيل، ومن ثم فإن مدافعة الإعلام الإسلامي في هذا الميدان مقتصرة على التحذير من المخالفات الشرعية، مع محاولة جذب أكبر قدر ممكن من النساء إلى نور التدين والالتزام الشرعي.

فميزان الجماهيرية هنا يميل أكثر لصالح الإعلام الغربي والمتغرب بسبب الدراما المتمثلة في المسلسلات والأفلام، وهنا تفرض إشكالية الدراما بين الإعلام الغربي والإعلام

الإسلامي نفسها على طاولة البحث الشرعي والضبط الفقهي للمسألة الدرامية، ومدى القبول الشرعي، والحدود والسقف الشرعي لتلوج الإعلام الإسلامي في الدراما.

### التوصيات والمقترحات

#### ٤- كيف يمكن للأمة الإسلامية الحفاظ على هويتها

##### إزاء سيل السماوات المفتوحة وعصر المعلومات؟

١- ينبغي أولاً الوقوف على حجم الأزمة الإعلامية الانحلالية، وذلك بمحاولة إجراء دراسة إحصائية موسعة، ترسم من خلالها خريطة ممتدة للإعلام الانحلالي المؤثر في صفوف الأمة الإسلامية، ومن خلال هذه الخريطة يمكن تحديد نقاط القوة والضعف في هذا الإعلام، ومن ثم تحديد أنسب الآليات التي بها يتم تحجيم نفوذ هذا الإعلام.

٢- دعم المؤسسات التقنية الرسمية الساعية

لكن بالعموم فإن حضور الإعلام الإسلامي في ميدان الأطفال ممتد ومؤثر، ويعد مدافعاً قوياً لما يقدمه الإعلام المنفلت، وهذه نقطة قوة لدى الإعلام الإسلامي ينبغي رعايتها والاهتمام بها؛ فيميل الميزان فيها لصالح الإعلام الإسلامي بصورة متقدمة.

### ثانياً.. على مستوى الشباب:

هناك إشكالية مهمة في موضوع الشباب، وهي خطورة المرحلة العمرية التي يمرون بها، وتحررهم النسبي من الرقابة الأسرية، ودندنة الإعلام الانحلالي بكتافة على الوتر الجسدي الذي يورق هذه المرحلة العمرية، مع سهولة وصول الشاب لغايته، سواء من خلال الإنترنت أو الفضائيات، وهنا الإعلام الإسلامي يحاول التواجد على عدة أصعدة منها:

١- تحذير الشباب من مخاطر التعاطي مع الإعلام الانحلالي، لكن الإشكالية تكمن في كيفية وصول هذا الخطاب الإعلامي للشباب المنجرف نحو الإعلام الآخر، ولا يكاد يشاهد أو يتابع الإعلام الإسلامي.

٢- تحذير أولياء الأمور من مغبّة، ومخاطر الإعلام الانحلالي على الأبناء، ودفعهم لتفعيل الرقابة عليهم من أجل تعسير سبل الوصول إلى مصادر الإعلام الانحلالي، أو المشاركة في فعالياته، مع مطالبتهم بتيسير سبل الزواج للأبناء.

٣- محاولة تقديم بعض المواد الإعلامية التي تجتذب الشباب، ويتفاعلون معها التفاعل الإيجابي، مثل برامج ضع بصمتك أو الطريق إلى مكة، أو فعاليات مهرجانات الصيف، وهكذا.

لكن الملموس أن درجة تعاطي الإعلام الإسلامي مع ميدان الشباب ليس بذات الدرجة الكمية المكثفة التي نلاحظها في عمليات التفاعل بين الشباب والإعلام

صدى كبير على الساحة الإعلامية.

٨- هناك دعاة وفقهم الله إلى دعوة بعض أهل الفن ونجوم الإعلام التغريبي، ومنهم من تاب وترك هذه المهنة بالكلية، وأحسب أن تكثيف الدعوة في هذا القطاع وبصفة خاصة مع من يتمتع بجاهه وبرهنة شبابية عالية قد يحدث بإذن الله تحولاً في مسار كثير من الشباب، فضلاً عن توقف رافد من روافد التغريب في هذا القطاع.

٩- يُقترح إنشاء منظمة غير حكومية يكون هدفها مدافعة الإعلام الهابط والهادم لقيم الأمة، وهذه المنظمة يمكنها تحقيق كثير من المقترحات السابقة، سواء بكشف حجم المعركة، أو مناصحة أولي الأمر والمسؤولين، أو برفع قضايا في حالات محددة، وعلى كل؛ فإن وجود هذه المنظمة على الساحة الإسلامية، من شأنه جعل القضية حية على الساحة الإسلامية، ومن ثم يتحقق العديد من المكاسب بإذن الله.

١٠- ينبغي الوضع في الحسبان أن هناك شقاً كبيراً من معركة القيم عبر الإعلام، له أهداف تجارية تسعى إلى امتصاص أموال المسلمين من خلال التفاعل مع مواد إعلامية تعتمد على الإثارة والعري، وأغلب هذا التفاعل الربحي يأتي من خلال الاتصالات والرسائل النصية بالقياس بالقنوات، لذلك فإن التركيز على تحجيم تلك الاتصالات من شأنه إحداث ارتباك في أوراق الإعلام المتغرب، فعلى سبيل المثال برامج تليفزيون الواقع، والتي وصل حجم الاتصال بها لأكثر من ٧٠ مليون اتصال في موسم واحد كما بينا من قبل، لو تم إقناع وزارات الاتصالات بإلزام شركات الاتصالات بقطع الاتصالات عن هذه البرامج، ولو في دولة عربية واحدة، لعدلت القنوات من سياستها في مثل هذه البرامج.

وبالعموم فإنني أوصي في هذا الشأن بعقد ورشة عمل تضم خبراء اقتصاد متدينين لتحديد أنسب الآليات لمواجهة هذه الإشكالية.

لحجب المنابر الإعلامية الانحلالية، وتبسيط الضوء إعلامياً على مجهوداتها داخل المجتمعات المطبقة لهذه النظم، مع الترغيب في تعميمها في كافة الدول العربية والإسلامية.

٢- فتح قنوات اتصال مباشرة مع المسؤولين عن الأقمار الصناعية والاتصالات الإلكترونية داخل الدول الإسلامية، وإطلاعهم مباشرة على الحجم الكلي للمفاسد في الوسائل الإعلامية، ودفعهم بالمبررات المنطقية، والشواهد والإحصاءات الموثقة إلى اتخاذ موقف رسمي حازم من هذه الوسائل التغريبية.

٤- تكثيف مخاطبة أولي الأمر من قبل العلماء الثقات بمخاطر ومفاسد الإعلام الغربي والتغريبي على الأمة وقيمها وثوابتها، ومحاولة ترغيبهم في اتخاذ قرارات صارمة حيال هذا الإعلام.

٥- هناك أحكام قضائية صدرت ضد وزارات الاتصالات في بعض البلدان العربية تلزمها بحجب المواقع الإلكترونية الانحلالية، فيمكن تفعيل هذه الأحكام، ووضعها على طاولة التداول الإعلامي، كما يمكن رفع قضايا مماثلة، على القنوات الفضائية التي تعرض برامج ومواد إعلامية فيها خطورة على القيم الإسلامية.

٦- عمل أرشفة لكل منبر إعلامي يقدم مواد إعلامية تؤثر على قيم الأمة وثوابتها، بحيث تكون بمثابة قاعدة معلوماتية للعلماء، والقانونيين الساعين لغلغ هذه المنابر، سواء بمناصحة المسؤولين، أو برفع قضايا على الجهات الحاضنة لهذه المنابر الإعلامية.

٧- محاولة فتح قنوات اتصال مع أصحاب القنوات الفضائية والمنابر الإعلامية الهادمة، وذلك بدعوتهم بالحسن لتعديل مسار منابرهم الإعلامية، فتغيير المنكر من جهة المصدر أخف وطأة، وأكثر تركيزاً من تغييره من ناحية المستقبل، وهناك تجارب مع قنوات فضائية كانت في بدايتها غنائية وهزلية، ثم تحولت إلى إسلامية، ولها الآن



المواد على كافة المنابر الإعلامية الإسلامية بتكلفة أقل من إنتاج المنبر الإعلامي للمواد الإعلامية.

١٥- الإعلام الإسلامي وفي ظل التنافس والتدافع الإعلامي قبالة الإعلام المتغرب بحاجة إلى تسويق جيد، خاصة في مجال الفضائيات الإسلامية، وذلك من أجل تحقيق أعلى نسبة مشاهدة، ويمكن أن تتم العملية التسويقية هذه من خلال إنشاء شركات إسلامية للتسويق الإعلامي، أو التعاقد مع القائم منها- الدعاية المكثفة من خلال المواقع الإلكترونية للقنوات - البث المباشر للقنوات على الإنترنت- الترويج للفضائيات ومحتوياتها في المواقع الإلكترونية الكبرى- الإعلانات في الصحف والمجلات.

١٦- تواجه الإعلام الإسلامي إشكالية الجماهيرية والحضور الميداني، والذي يتميز في الإعلام المتغرب بصورة لافتة، فنجد مثلاً برنامجاً اجتماعياً في إحدى القنوات التلفزيونية يحقق جماهيرية عالية بتواجده في أوساط الجماهير، وحمله لهمومهم، والسعي لحل مشكلاتهم، وفي ذات الحلقة يستضيف مقدم البرنامج أحد نجوم الفن ويتعرض لسيرته الشخصية كفخر وقدوة للجماهير ينبغي الاقتداء بها، وهي شخصية تمتلئ الشاشة بمشاهد البذاءة له.

وفي هذا الصدد يجد الإعلام الإسلامي نفسه مطالباً بالإجابة عن تساؤلات من قبيل أين يقع الجمهور من الفضائيات الإسلامية؟ وما هي ردود أفعاله عليها وملاحظاته وطموحاته منها؟ وهل هناك آلية فنية في مدينة الإنتاج تسمح بقياس أعداد المترددين على البرامج المتنوعة؟ وإن كان فما هي الخريطة الإحصائية لاستجابات الجماهير؟

والهدف من كل ذلك هو تفعيل البرامج الجماهيرية

١١- بالنسبة لبرامج تليفزيون الواقع التلفزيونية، والتي تجتذب قطاعاً عريضاً من شباب المسلمين، فإن لها سقطات مدوية في الآونة الأخيرة تمثلت في الكشف عن وجود كاميرات سرية تراقب الفتيات المشاركات في هذه البرامج، وهن يغيّرن ملابسهن، وكذلك وهن في دورات المياه، وأحسب أن تعظيم هذه السقطات وتبني الإعلام الإسلامي لإطلاق صيحات نذير لنساء المسلمين على دربها، أمرٌ من شأنه أن يخلخل أداء هذه البرامج ويفقدها شعبيتها.

١٢- في الاتحاد قوة، ولو أن هناك عشرة منابر إعلامية إسلامية خصصت أسبوعاً مشتركاً لمداخلة العربي والبذاءة في الإعلام المتغرب، من الممكن أن يكون في مثل هذه الحملة كثير من النتائج الإيجابية، وفي هذا الصدد أيضاً يُقترح إنشاء اتحاد للقنوات الإسلامية، ووضع إطار تسيقي تكاملي يمنع تكرار المواد الإعلامية، مع وضع خريطة هيكلية إعلامية تضع في حساباتها مداخلة الإعلام المستهدف لقيم الأمة، وذلك بصورة تحقق الفاعلية والتركيز في المواجهة والمدافعة.

١٣- الإعلام الغربي والتغربي يهتم كثيراً بإعداد كوادره، وهذه جزئية ضعيفة نسبياً في الإعلام الإسلامي، لذا فإنه يُقترح استحداث معهد تدريبي لإعداد وتدريب الكوادر الإعلامية العاملة في ميدان الإعلام الإسلامي، ويمكن الاستعانة بالخبراء والعلماء لوضع أدبيات الدورات التدريبية التي من شأنها دعم عملية مدافعة الإعلام الإسلامي للإعلام التغربي على مستوى القيم.

١٤- يُقترح إنشاء شركات مستقلة لإنتاج المواد الإعلامية الإسلامية، بحيث تكون مركزة على عملية مدافعة الإعلام الغربي والمتغرب، وتقديم البدائل برؤية خبراء متخصصين في هذا الشأن، ويتم تسويق هذه

الله بتحسين أطفال اليوم شباب الغد ضد أية مواد إعلامية تغريبية.

١٩- على الآباء دور عظيم في مدافعة الإعلام الغربي والمنع، فوجود أجهزة الاستقبال في بيوتهم، سواء كان تليفزيوناً أو كمبيوتر ينبغي أن يكون تحت إشرافهم المباشر، فالغواهم للقنوات وحجبهم للمواقع الإلكترونية باستخدام البرامج الخاصة بالحجب، مع وضع الأجهزة في أماكن مكشوفة داخل المنزل سيخفف كثيراً من وطأة تواجد الإعلام البذيء في المنزل، لكن سياسة المنع هذه ينبغي أن تسير بالتوازي مع التحصين التربوي للأبناء ضد الإعلام الغربي والمنع، والتحصين الجسدي للأبناء، بتيسير الزواج، وتنفيذ الزواج المبكر والوعد به في صفوف الأبناء.

٢٠- هناك ظاهرة مهمة تم المرور عليها سريعاً أثناء الدراسة، وهي متعلقة «بتصدير» شباب الأمة لمواد إعلامية تعتمد على الفضيحة، ووضعها على المواقع الإلكترونية، ليستثمرها الخبثاء شر استخدام، وهذه الظاهرة ينبغي أن تحظى إعلامياً من قبل الإعلام الإسلامي بمزيد من الاهتمام؛ لأن مدافعة «تصدير الانحلال» وترويجه من قبل أبناء الأمة لا يقل أهمية عن مدافعة «تصدير الانحلال» من قبل أعداء الأمة.

وتحسين مسار المرفوض جماهيرياً، مع وضع آليات للتعرف على آراء الجماهير في القنوات، ومن ثم الاقتراب أكثر من الجمهور الذي يفتسه الإعلام الغربي والمنع قيمياً بصورة موحشة.

١٧- على مستوى معركة القيم بين الإعلام الغربي والمنع من جهة والإعلام الإسلامي من جهة أخرى تطراً على الساحة إشكالية شديدة التعقيد، وهي إشكالية الدراما، والتي تجتذب قطاعاً عريضاً من المشاهدين، وتأثير هذه الدراما، وما تحويه من هدم للقيم، ملموس في صفوف المجتمع، والتعقيد في هذه الإشكالية يتطلب حسمه من خلال الضبط الشرعي للمسألة، ومدى إمكانية إنتاج دراما إسلامية متميزة على غرار فيلم عمر المختار، ولكن هذه المسألة المعقدة تحتاج إلى ضبطها شرعاً من قبل علماء الشريعة الثقات.

١٨- تبين من الدراسة تميز الإعلام الإسلامي في قطاع الأطفال، وسحبه للبساط بصورة لافتة من الإعلام الغربي والتغربي في هذا الميدان، لذا فإن تركيز اهتمام الإعلام الإسلامي في قطاع الأطفال، واستحداث شركات متعددة تخضع للإشراف الشرعي والتربوي من قبل علماء الأمة الثقات، سيسمح بإذن

## معلومات إضافية

## نماذج لسلبيات أفلام الكرتون وخطورتها على الأطفال:

خطورة أفلام الرسوم المتحركة وسلبياتها على الأطفال كثيرة، ويمكن أن نذكر أهمها:

١- تقليد الطفل لما يراه أمامه: صورة وفكرة وصوتاً، وكثير من المسلسلات يشتمل على أفكار خطيرة سلبية لا تلائم بيئتنا العربية، مثل مسلسل (توم سوير) الذي يقوي في ذهن الطفل بعض القيم والأفكار الخطأ، ولعل أخطرهما أن (هاك) البطل الثاني يقوي في نفس البطل الأول (توم) كره المدرسة، ويحبب إليه فكرة الهروب منها، ولذلك يبتدع بعض المواقف السيئة مع المدرسين فيها والقائمين عليها، والأخطر من ذلك أنه يحرض على الهروب من المنزل، واللجوء إلى الغابة على الطريقة الأمريكية التي تحرض على فك الروابط بين الأسرة، وإعلاء مفهوم (الاستقلالية).

- وقد تشتمل بعض الأعمال الكرتونية على أفكار من نوع آخر، فبعضها يدور حول الفضاء، والقتال الدائر فيه، والخيال العلمي، وحب الطبيعة.. وبعضها الآخر يعرض للأطفال قصصاً اجتماعية فيها حب وغرام وإثارة للغرائز في سن مبكرة، كما هي الحال في مسلسل (توم وجيري)؛ حيث نرى القطة على أعلى مستوى من الأناقة، تنزّين برموش طويلة، وعيون جذابة جميلة، وكعب عالٍ، تتمايل لتخطف قلب القط.. ثم يركز بعد ذلك على مجموعة من القطط الذكور يقتتلون من أجلها.. كل هذا والأطفال يشاهدون ويتعلمون ويتمثلون.

- وقد نرى في هذه الأفلام قصة بطل نشأ صغيراً، ثم تغلب على ما يواجهه من مصاعب الحياة ومؤامرات الأعداء.. وأعطى من القوى الخارقة ما يجعل الطفل المشاهد يحلم بمثلها، ولا يخفى ما في هذا من آثار سيئة في نفسية الطفل، ومن أهمها: العيش في أحلام اليقظة، والاتكالية التي يحاربها التربويون.

٢- على الصعيد الاجتماعي تكرر هذه الأفلام في الطفل الغلظة في المشاعر، والبلادة في الأحاسيس، وهذا ينعكس على الأسرة كلها سلبياً، فالأم إذا طلبت من ابنها أمراً وهو يشاهد أفلامه المفضلة؛ تعلم أنه سيتلک كثيراً في إجابتها إلى طلبها، وكذلك الحال مع الأب أو الإخوة الكبار.

والمشكلة أن هذه الأفلام صارت تربي الطفل على هواها، وقد تسلمت زمام التربية حتى صار دور الوالدين ثانوياً، وبعضها يغالط في التربية فيصور الكذب والخدع والمراوغة ذكاء ومهارة وخفة، ومثال ذلك الفأر الفضائي (سوسان) الذي يتغلب على القط الشرير (ميغالو) عن طريق الخدع والكذب.

وفي مسلسل (مدينة النخيل) يضرب الابن والده، ثم يهجر المنزل لينام عند صديقه أو صديقه (على الطريقة الأمريكية)، ثم يعرض ذلك على أنه سلوك اجتماعي مقبول.. والأشد من ذلك أن الوالد يسترضي ابنه في نهاية الحلقة، ويقدم له ما يريد، ويرضخ لمطالبه!!

٣- ومن آثارها الاجتماعية السلبية أنها تولد الإهمال واللامبالاة عند الأطفال، مثال ذلك (علاء الدين) في الفيلم الذي أنتجته شركة ديزني، وفيه يصور علاء الدين ابناً لخياط فقير تطلب منه أمه أن يساعدها فيرفض، ويفضل اللعب مع أصدقائه في ساحة الحي، وحين يموت والده لا يبالي بالأمر، فيأتي الساحر ويحتال عليه، ويدعي أنه عمه ويأخذه إلى الكهف ليحضر له المصباح السحري.. وبعد أن يدخل يفاجئه بريق اللآلئ والجواهر فيركع أمامها، ثم يتجه نحوها ليملاً جيوبه، لقد تحول عن مهمته بعد أن بهره منظر الحلبي والذهب، وكأنه قد

خضع إلى سلطة المال الذي أخذ عقله، وملك عليه حواسه.

بعد ذلك يطلب علاء الدين من ماردمصباح أن يطعمه، ويزوجه، ويحضر له المال.. وهذا مما يكس العجز والاتكالية عند الطفل حتى تصيبه أحلام اليقظة، فيتخيل أن ماردمصباح سيكتب له واجباته، وسيحفظ عنه دروسه، ويقدم إليه الإجابة في الامتحان.

٤- ومن آثارها الاجتماعية السلبية أنها تجعل الطفل عدوانياً مهياً لمعالجة أمور حياته بعنف وعداء، كما تجعله منحرفاً عن السلوك الإنساني السوي يقول الطبيب ستيفن بانا: «إذا كان السجن هو جامعة الجريمة؛ فإن التلغاز هو المدرسة الإعدادية لانحراف الأحداث...».

وتأتي العدوانية بسبب المعارك والأسلحة المتطورة التي تُستخدم فيها الأفتعة المخيفة.. مما يشيع جواً من القتل والدماء والصدام والحرائق والموت الذي يخيف الأطفال، ويروّعهم، ويخلق في أنفسهم عدوانية ورغبة في ممارسة العنف.

٥- ومن آثارها السلبية أنها في كثير من الأحيان تثير في النفس الغرائز البهيمية في وقت مبكر.. وفي إحصاء عن الأفلام التي تُعرض على الأطفال عالمياً، وُجد أن:

- ٦, ٢٩٪ منها يتناول موضوعات جنسية بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

- ٤, ٢٧٪ منها يعالج الجريمة والعنف والمعارك والقتال الضاري.

- ١٥, ٠٠٪ منها يدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري المكشوف، ومثال ذلك فيلم (علاء الدين) وفيلم (حورية البحر)؛ حيث تعرض البطلة فيهما شبه عارية تقوم بحركات مختلفة فيها الغنج والدلال والرقص والإثارة الجنسية.

٦- ومن آثارها السلبية أنها تحارب في نفس الطفل الفطرة السليمة؛ إذ تقوم على قطبي الدراما: (الخير والشر)، ومن الأفضل تربوياً أن تكون شخصيات الخير جميلة محببة، وأن تكون شخصيات الشر قبيحة مكروهة؛ لأن الطفل يربط بين الخير والجمال، وبين الشر والقبح، ولكن بطل الخير في كثير من أفلام الرسوم المتحركة مقنع من مثل (سر المقنع - النمر المقنع- الضرية المزدوجة - غريندايزر..) أما بطل الشر فجميل في أفلام ومسلسلات أخرى، وهو قوي صارم ذكي.. وهذا اعتداء على الفطرة السليمة عند الأطفال.

٧- ومن آثارها السلبية أن بعضها يؤثر في مشاعر الأطفال نحو دينهم، ويوجه الطفل إلى التسليم ببعض الأفكار المغلوطة، ففي مقدمة فيلم (علاء الدين) يبدأ الساحر (في النسخة الأجنبية) بالغناء، ويقول: «أنت من أرض بعيدة (الصحراء العربية) التي يقطعون فيها أذنك إذا لم يعجبهم وجهك، إنه مجتمع وحشي، ..»

وفي الفيلم ذاته يعرض الخليفة العربي بصورة تدعو إلى الضحك، فهو مشغول بجمع الجواهر النفيسة، ومستعد لبيع ابنته وتزويجها برجل شرير مقابل خاتم نادر، ثم هو مشغول بجواريه وطعامه.. وقد رُسم بصورة رجل لا يستطيع القيام إذا جلس؛ لأن بطنه ضخمة إلى درجة تمنعه من القيام.. وهذا كله طعن بتاريخنا العربي، وتسفيه لشخصية الخليفة العربي المسلم في أذهان الأطفال.

وفي الفيلم ذاته يهرب علاء الدين من الشرطة، وفي بضع ثوان، وبطريقة جذابة مثيرة يدخل إلى كثير من

البيوت من خلال النوافذ، ويصطدم بنساء عربيات، وهن يجتهدن في تزيين أنفسهن، ويتسابقن لتقبيل هذا الهارب، ثم يقعن في الخيبة والإخفاق، ثم يتشاجرن بعضهن مع بعض؛ لأن إحداهن لم تحظّ بهذا الهارب.. وهذا فيه ما فيه من توجيه الطعنات إلى الأسرة العربية المسلمة المحافظة.

وفي مسلسل أبطال الليزر كانت مساعدة زعيم الأشرار (ليالي) امرأة تستغل جمالها وجاذبيتها وإغراءها في سبيل الشر، وفي إحدى الحلقات يأتي «تاجر أسلحة إرهابي عربي خليجي» ليعقد مع مدير الشركة صفقة، ويجد في استقباله إضافة للمدير السيدة (ليالي) يمدُّ المدير يده ليصافحه فيعرض عنه العربي، ويتحول إلى المرأة، ويقبل يدها مع إحياءات غرائزية، ويقول: أنا سعيد جداً لأنني قبلت يدك سيده (ليالي)، ثم يتوجه بالخطاب إلى مدير الشركة، ويقول: دكتور غضبان أنا عربي، ولا أقبل إلا يد فتاة جميلة مثيرة، أما أنت فقبيح جداً!!

٨- ومن آثارها الفكرية السلبية أن بعضها يمجد اليهود، ويثير الشفقة عليهم، ففي مسلسل (كريستوفر كولومبوس) في النسخة الأصلية يصوّر للأطفال أن الذين عُذبوا في محاكم التفتيش هم اليهود، ويصوّر العرب عملاء للإسبان يتآمرون معهم ضد اليهود.. وهذا تشويه مقصود لحقائق التاريخ.

٩- ومن آثارها السلبية إدمان الأطفال عليها حتى إنهم لا يقدرّون على العيش بدونها.

#### المصادر:

عماد الدين الرشيد، أثر أفلام الكارتون في تربية الطفل، دار "نحو القمة" للطباعة والنشر، سوريا، الطبعة الأولى،..

٢٠٠٧م

د. أحمد نتوف، الغزو الفكري في أفلام الكارتون، دار "نحو القمة" للطباعة والنشر، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

# مسارات الحركة النسوية الأوروبية ومآلاتها الراهنة



رائدة شبيب

باحثة متخصصة في الشؤون الأوروبية

## ملخص الدراسة

ليس سهلاً عرض الواقع الراهن للمرأة الأوروبية، والمرأة المسلمة في أوروبا، عرضاً موضوعياً في بحث موجز، دون الخروج أولاً من مفعول ردود الفعل على الأجواء المثيرة التي تصنعها الأحداث أو يصنعها التعميم في متابعة ما أسفرت عنه حركات «تحرير المرأة» أوروبياً على صعيد تفكيك الأسرة والتي باتت إحدى الأدوات المهمة التي توظفها الاستراتيجيات الغربية لتغيير قيم ومفاهيم الأمة وأبنيتها الاجتماعية والمجتمعية المتعددة.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء أولاً على المسار التاريخي الذي اتخذته الحركات النسوية الأوروبية، وأين وصلت الآن بدءاً من الثورة الفرنسية التي اعتبرت منطلقاً للصراع من أجل حقوق النساء مروراً بالثورات التي ظهرت في دول أوروبية أخرى خلال النصف الأول من القرن الميلادي التاسع عشر، وظهور الحركات النسوية الأولى في أوروبا التي تتبنى بشكل أساسي المساواة بين الجنسين.

وكان من أمثلة ذلك الحركات النسوية التي نشأت في ألمانيا وكانت منقسمة على نفسها، شأنها شأن الانقسام ما بين مجتمع مدني وطبقة عمالية، فنشأت حركتان نسويتان، مدنية وعمالية، واتبعنا في السعي من أجل حقوق المرأة أسلوبين مختلفين، كما ركزنا على نقاط ثقل متباينة.

ولم تتراجع النساء في أوروبا عن مطالبهن ومواقفهن خلال العقود العديدة الماضية، واختلفت الفترة الزمنية اللازمة بين دولة أوروبية وأخرى على حسب الظروف السائدة وما طرحت الحركات النسوية من مبادرات ومطالب، إنَّما أمكن خلال القرن الميلادي العشرين الوصول إلى الهدف النهائي من حيث المساواة القانونية، وتحرير المرأة من ارتباطها بالرجل في مختلف الدول الأوروبية.

وفي الوقت الحاضر تبدو صورة المرأة الأوروبية، أو الغربية عموماً، لكثير من أهل البلدان العربية، صورة جذابة، صورة كائن حر يعتمد على نفسه، بين يديه مختلف الإمكانيات، ولا تعترضه حواجز ما. هل هذا صحيح فعلاً؟!.. وكيف وصلت النساء الغربيات إلى حقوقهن؟ وما أحوالهن في العصر الحاضر مع ما تحقق من حقوق وحریات؟.. وكيف نقوّم وضع النساء في أوروبا على ضوء الظروف الحالية؟

تركز الدراسة على وضع المرأة نفسها، وما أصبح يعنيه «تحريرها» أوروبياً، وهو ما يحدّد معالم خلفية التصرفات والمواقف الرسمية وغير الرسمية إزاء المرأة المسلمة في الدول الأوروبية، كما يمهد لبيان المدخل الأفضل من أجل التعامل إسلامياً مع هذه القضية بمختلف جوانبها.



# مسارات الحركة النسوية الأوروبية ومآلاتها الراهنة



رائدة شبيب

باحثة متخصصة في الشؤون الأوروبية

ليس سهلاً عرض الواقع الراهن للمرأة الأوروبية، والمرأة المسلمة في أوروبا، عرضاً موضوعياً في بحث موجز، دون الخروج أولاً من مفعول ردود الفعل على الأجواء المثيرة التي تصنعها الأحداث، مثل قوانين حظر الحجاب، أو يصنعها التعميم في متابعة ما أسفرت عنه حركات «تحرير المرأة» أوروبياً على صعيد تفكيك الأسرة، والتي باتت إحدى الأدوات المهمة التي توظفها الاستراتيجيات الغربية لتغيير قيم ومفاهيم الأمة وأبنيتها الاجتماعية والمجتمعية المتعددة.

لهذا تعمد الفقرات التالية إلى تسليط الضوء أولاً على المسار التاريخي الذي اتخذته الحركات النسوية الأوروبية، وأين وصلت الآن؛ لاستيعاب ما يظهر بالمنظور الإسلامي من تناقضات راهنة، من الأمثلة عليها تقنين أشكال أخرى للعلاقات بين الجنسين تزيد من تغييب الأسرة بصيغتها المعروفة، وتضاعف ما يترتب على ذلك بالنسبة إلى الجيل القادم.. من أطفال الجيل الحاضر.

وهذه النتائج بالذات غير مطروحة في هذا البحث الذي يركّز على وضع المرأة نفسها، وما أصبح يعنيه «تحريرها» أوروبياً، وهو ما يحدّد معالم خلفية التصرفات والمواقف الرسمية وغير الرسمية إزاء المرأة المسلمة في الدول الأوروبية، كما يمهد لبيان المدخل الأفضل من أجل التعامل إسلامياً مع هذه القضية بمختلف جوانبها.

وفي الوقت الحاضر تبدو صورة المرأة الأوروبية، أو الغربية عموماً، لكثير من أهل البلدان العربية، صورة جذابة، صورة كائن حر يعتمد على نفسه، بين يديه مختلف الإمكانيات، ولا تعترضه حواجز ما. هل هذا صحيح فعلاً؟! وكيف وصلت النساء الغربيات إلى حقوقهن؟ وما أحوالهن في العصر الحاضر مع ما تحقق من حقوق وحرريات؟ وكيف نقوم وضع النساء المسلمات في أوروبا على ضوء الظروف الحالية؟..

لم تكن أوضاع النساء الغربيات سارة لزمن طويل، لم يتمتّعن بالتعليم، أو الملكية، أو الإرث. تعرض الكاتبة الأمريكية دونًا وولفولك كروس في روايتها التاريخية بعنوان «البابا الأنثى» الصادرة عام ١٩٩٦م، الظروف التي سادت في القرن الميلادي التاسع وسط أوروبا عرضاً معبراً، وكيف عاشت النساء ككائنات حيّة دون حقوق ولا كرامة، ويشير المسلمون بسرور إلى ذلك العصر الوسيط الأسود والغني في الوقت نفسه بما ساد فيه من مظاهر، كلما أرادوا إبراز حصول المرأة المسلمة على حقوقها كما وهبها الله تعالى لها دون أن تبذل شيئاً بنفسها من أجل ذلك، فساد في البلدان العربية الاعتقاد عموماً أنّ المرأة الغربية خاضت جولات نضال طويلة لتحصيل حقوقها، بينما نالت النساء المسلمات حقوقهنّ، هكذا دون مقدمات.



## الثورة الفرنسية منطلقاً للصراع من أجل حقوق النساء:

في الواقع لم ينطلق تحصيل حقوق النساء في أوروبا من العودة إلى الدين، إلى الصورة التي اعتمدها المسيحية عن المرأة، بل ارتبط ذلك بحركات التمرد المدنية ضد ما ساد من مظالم، وبالتالي بجولات الصراع في ميادين عديدة من أجل الحريات والعدالة. وصنعت هذه الاحتجاجات الإطار الذي بدأت النساء بالتحرك الهادف داخل نطاقه للسؤال عن أوضاعهنّ والمطالبة بتحرّرهنّ، وما كان بمقدورهنّ الاستناد في ذلك إلى حقوق دينية مسيحية. وكانت الكنيسة الكاثوليكية أو البروتستانتية -على حسب البلد المعني- هي التي تملك سلطة «تعريف» الحقوق والواجبات الدينية للمرأة.

كان تعرّض المرأة للتمييز هو النظرة السائدة لنوعية التعامل مع المرأة سواء في البنية الهيكلية التنظيمية للكنيسة، أو في اللغة الدينية المستخدمة

بما في ذلك لغة الإنجيل<sup>(1)</sup>، وبالتالي كانت المطالب بالمساواة موجّهة ابتداءً إلى المؤسسات الدينية.

وهكذا لم تتلقّ مساعي التحرّر النسوية في وسط أوروبا ما يغذيها من مصادر أو دوافع دينية. ويمكن بالمقابل العودة بالمنابع الأولى للحركة النسوية في أوروبا إلى الثورة الفرنسية في نهاية القرن الميلادي الثامن عشر<sup>(2)</sup>.

كان الصراع ضد التمييز والظلم على حساب المواطنين من جانب السادة الإقطاعيين وسلطة رجال الكنيسة وطبقة النبلاء في فرنسا، يحمل ثلاثة أهداف في الدرجة الأولى: المساواة والحرية وضمّان حقّ التملك. كان الفرد وحقوقه الثابتة في محور بيان

حقوق الإنسان والمواطنة الصادر في فرنسا، وهو ما اعتُبر أهمّ إنجاز للثورة فيها<sup>(3)</sup>. كما في صياغة البيان الأمريكي لحقوق الإنسان عام 1776م، جاء في وثيقة صياغة مبادئ الحقوق الفرنسية أيضاً: كلّ إنسان يولد حرّاً وعلى قدم المساواة مع سواه، وله حق الحياة، والتمكّن، والسعي لتحقيق السعادة لنفسه، وتتطوي مهمة الدولة على أساس عقد اجتماعي على حماية هذا الحق<sup>(4)</sup>.

### حقوق الإنسان.. ولكن دون النساء:

صحيح أنّ النساء شاركن في تحريك التمرد الثوري بدافع من ضغوط المجاعات المنتشرة، ضدّ الاضطهاد والتمييز على حساب الطبقة الثالثة في المجتمع<sup>(5)</sup>، ولكنّ الحقوق التي وُلدت بذلك لم تكن حقوقاً للنساء في الوقت نفسه<sup>(6)</sup>.

**في الواقع لم ينطلق تحصيل حقوق النساء في أوروبا من العودة إلى الدين، إلى الصورة التي اعتمدها المسيحية عن المرأة، بل ارتبط ذلك بحركات التمرد المدنية ضدّ ما ساد من مظالم**

تعود فكرة العقد الاجتماعي إلى الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو، وكان هو نفسه -كسواه من معاصريه- يعتبر تقسيم الوظائف الاجتماعية بين الجنسين والوصاية الحقوقية على الإناث من السكان، أمراً طبيعياً<sup>(7)</sup>.

وأشار جون لوك، أحد الآباء الفكريين لـ«التوير» الأوروبي، منذ 1689م إلى حق حرية الإنسان، ووضع مبدأ التعاقد في مواجهة مبدأ «الأبوية» (المقصود بالتعبير: التسلّط الذكوري)، ولكنّه أضاف بصدد مسألة الجنسين الفصل ما بين المجتمع المدني والأسرة، وقال بسريان مفعول قواعد متبانية فيهما. ورغم أنّ لوك اعتبر الزواج عقداً، تمسّك به واجب كلّ امرأة الخضوع لزوجها»، وبأنّه واجب طبيعي وليس

(3) Herrmann 2007

(4) Helwig 1997

(5) Majer 2008: 22

(6) Zetkin 1976

(7) Helwig 1997

(1) Klein 1995:168; Filip 2005: 2

(2) Zetkin 1976

جميع الحقوق»<sup>(٦)</sup>. تأسست تدريجيًا النوادي النسائية والروابط العمالية النسائية الثورية في المدن الفرنسية<sup>(٧)</sup>، وطرحت مطالبها، وسرعان ما تعرّضت للملاحقة والحظر، بينما تركّزت تلك المطالب على سريان مفعول «الحرية والمساواة والأخوة» على النساء أيضًا<sup>(٨)</sup>، بل من أجل الطرح العلني لتلك المطالب أُعدم عقب نهاية الثورة الفرنسية ١٧٨٩م كثيرٌ من النساء اللاتي تزعمن الحديث عنها.<sup>(٩)</sup>

بالمجموع لم تحقّق الجهود المبذولة عبر الثورة الفرنسية سياسيًا شيئاً من النجاح بصدد حقوق النساء، بل أدّى حق «الشفرة الاجتماعية» الذي سنّه نابليون إلى مزيد من التمييز على حساب النساء في قضايا الطلاق. وبقي النقص في إمكانية التعليم، وافتقاد الحقوق السياسية، وارتباط المرأة بزوجها. وهكذا كان للنساء دور يجد التقدير عمومًا في واقع المجتمع، كزوجات، وعشيقات، وأمّهات، وكذلك في ميادين ثقافية وفنية، أمّا المكانة الاجتماعية فسقطت مع الوصاية القانونية الكاملة على النساء، ووقع الفصام التام بين المجالات العامة والخاصة عبر التناقضات بين المبادئ والوقائع الاجتماعية في فرنسا خلال القرن الميلادي التاسع عشر.<sup>(١٠)</sup>

تشير ناشطات الحركة النسوية الفرنسية إلى تغييب الحقوق عن المرأة، فلا يرينّ فيه ميولاً صادرة عنها، بل تحويلاً للمرأة إلى قطاع الحياة الثقافية؛ حيث لا تتعرّض السلطة السياسية للسيطرة «الأبوية» للخطر، أي تُحال إلى قطاعات، تشارك المرأة فيها، ولكن لا تكون «شريكة».<sup>(١١)</sup>

سياسيًا، ويعطي إدارة الحياة الزوجية للرجل باعتباره «الجزء الأقوى والأقدر وفق مقتضيات الطبيعة».<sup>(١)</sup>

لهذا يُعتبر موقف القيادات من رجال الثورة ومن حملها من مفكري التنوير موقفًا ازدواجيًا تجاه النساء ومطالبهنّ، فمن جهة اعترف للنساء بمزيد من الحقوق، ووجدت مشاركتهنّ في حركات التمرد القبول، ومن جهة أخرى استمرّ إقصاؤهنّ من الحياة السياسية، ولم يُعترف لهنّ بحقوق المواطنة.<sup>(٢)</sup>

استمر إقصاء النساء في المجتمعات الأوروبية عن اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية وحتى الخاصة، رغم الانتشار السريع لحقوق الإنسان وحقوق المواطنة. وكانت إمكانات التعليم أمامهنّ محدودة، ولم يحصلن على حقّ التصرف بما يملكن، ولم يستطعن توقيع العقود، أمّا مزاولة العمل فكانت مشروطة بموافقة الرجل، وتعرّضن للتمييز الشديد بصدد حق رعاية الأطفال في حالة الطلاق، وكانت أجور العاملات منهنّ متدنيّة للغاية، فكنّ بذلك موضع الاستغلال.

### العدالة من أجل النساء:

لهذه الأسباب لم يوصل نجاح الثورات غالبًا إلى نهاية النضال ضدّ ظلم النساء، بل على النقيض من ذلك، فمن هنا انطلقت بدايات الحركة النسوية المنظمة، وارتبطت بتاريخ مطالب المواطنة بالمساواة.<sup>(٣)</sup>

ولتوضيح «محدودية مصطلح المساواة ذكوريًا»<sup>(٤)</sup> ومواجهتها، وضعت الكاتبة الفرنسية أولومب دي جوج عام ١٧٩١م ما سمّي ببيان حقوق النساء.<sup>(٥)</sup> وفي المادة الأولى من هذا البيان الذي استند إلى بيان حقوق الإنسان في عصر التنوير، ورد المبدأ الأساسي القائل: «تولد المرأة حرة، ومتكافئة مع الرجل في

(6) Majer 2008: 51

(7) Majer 2008: 37

(8) Wiggershaus 1979:9 ; Majer 2008: 40ff

(9) Majer 2008:44

(10) Majer 2008:90

(11) Fraisse 1995

(1) Planert 2005: 427

(2) Majer 2008: 60

(3) Gerhard 1988

(4) Gerhard 1988

(5) Gerhard 1988; Zetkin 1976

### الحركات النسوية الأولى في أوروبا:

مع الثورات التي ظهرت في دول أوروبية أخرى خلال النصف الأول من القرن الميلادي التاسع عشر بعد الثورة الفرنسية، ظهر أيضاً رجال ونساء يتبنون بشكل أساسي المساواة بين الجنسين، وتشكّلت مجموعات نسائية عديدة منفصلة بعضها عن البعض الآخر، طرحت هذه المطالب<sup>(1)</sup>.

وتعتبر ماري فولستونكرافت في إنجلترا الرائدة التالية للحركة النسائية، وكانت قد لفت الأنظار إليها في أواخر القرن الميلادي الثامن عشر، عبر ظهورها العلني في الدعوة إلى المساواة لإنهاء التمييز على حساب النساء. صحيح أن هذا البلد لم يتعرّض خلال القرنين الميلاديين الثامن عشر والتاسع عشر لانقلاب دستوري، إلا أن الأحداث الثورية في اليابسة الأوروبية تركت مفعولها في التطور التقني في إنجلترا بقوة<sup>(2)</sup>.

ورغم أن إنجلترا شهدت أيضاً روح التنوير الذي صبغ -نظرياً- مبدأ المساواة، فإن التصور العام عن حق الحرية كان مزدوجاً، للرجال من جهة وللنساء من جهة أخرى. وكانت نساء إنجلترا من الطبقة الوسطى في الدرجة الأولى، وسعين آنذاك بنشاط من أجل تحسين مستوى تعليم المرأة، والعودة إلى فتح الفروع المهنية أمامها، وسبقت ذلك مطالب انفرادية من جانب النساء الإنجليزيات من الطبقة العليا للحصول على المشاركة في الحياة السياسية، ولكن دون جدوى<sup>(3)</sup>.

### الحركات النسوية المدنية والعمالية في ألمانيا:

عانت النساء في ألمانيا خلال القرن الميلادي التاسع عشر معاناة خاصة من التدني الشديد للأجور، وما صنعه من الظروف البائسة للعمال معيشياً وفي نطاق العمل، وكانت عاملات المصانع موضع الاستغلال،

يحصلن على أجور منخفضة، ويعملن يومياً ما بين ٩ ساعات و١٢ ساعة، ولم يجد أطفالهن ما يكفي من الرعاية، فلم تكن توجد حماية للأمومة أو في حالات المرض، وركزت مطالب النساء على تحسين هذه الظروف وكذلك على المساواة الاجتماعية<sup>(4)</sup>.

ولكنّ الحركة النسائية في ألمانيا بقيت منقسمة على نفسها، شأنها شأن الانقسام ما بين مجتمع مدني وطبقة عمالية، فنشأت حركتان نسويتان، مدنية وعمالية، واتبعنا في السعي من أجل حقوق المرأة أسلوبين مختلفين، كما ركّزتا على نقاط ثقل متباينة. وكان على النساء العاملات السعي للمساواة مع زملائهنّ العمال من الرجال داخل نطاق الحزب (العمالي) الواحد، كما كان عليهنّ من جهة أخرى العمل للمساواة في ميادين التعليم والتأهيل مع النساء الأخريات من المجتمع المدني. وكُنّ في الوقت نفسه يحاولنّ تحصيل حقوقهنّ لدى أرباب العمل، ومن أجل الحصول على إمكانات العمل أصلاً. وقد ساد في نطاق المنظمة العمالية الاتفاق على مسألة عمل المرأة؛ لأنّ المؤسّسين الأولين لها، كارل ماركس وفريدريك إنجلس، أكّدا بوضوح أن ذلك شرط أولي من أجل تحرير المرأة<sup>(5)</sup>، وكانت قضية المرأة محوراً أساسياً في الصراع الطبقي لدى كلارا تسيتكين، أهمّ الشخصيات في إطار النساء العاملات.

إلا أن الحركة النسائية المدنية لم تجد حلفاء لها ولا فكراً ثورياً يحركها، وكان عليها أن تناضل ضدّ الصورة العامة القديمة حول المرأة، حيث لا مكان للتعليم أو مزاوله مهنة، وأن تناضل أيضاً ضدّ البنية الهيكلية السياسية، التي رفضت الإصلاحات التقنية وأبقت النساء في نطاق المجالات الاجتماعية والخيرية<sup>(6)</sup>.

(4) (Otto 1976: 25)

(5) Majer 2008: 201

(6) Zetkin; Majer 2008

(1) Zetkin 1976

(2) Majer 2008: 330

(3) Planert 2005: 437

## مطالب الحركات النسوية:

- وختاماً أرادت النساء تخفيف قوانين الزواج والأسرة بما يحسّن أوضاع النساء؛ إذ لم يحقّ للمرأة أن تتعلم، أو تزاوّل عملاً، أو أن تنتزّه أو أن تسافر بمفردها دون إذن الرجل، ولم يكن سهلاً تخفيف تلك القوانين؛ إذ افتقرت الحركة النسائية بجناحيها المدني والعمالي إلى من يتحالف معها.

كانت نواة المطالب الرئيسية للحركة النسائية المدنية -والتي تحقّق مصلحة نساء الطبقة العمالية أيضاً- تتركز على:

- المساواة في قوانين عقد الزواج، وهيكلته، والطلاق.

- شمول حق رعاية الأطفال

للنساء والرجال.

- قيم جنسية واحدة

للجنسين.

- حق حرية تصرّف النساء

بما يملكن وبدخلهنّ وأجورهنّ.

- حرية التعليم والتأهيل المهني ومزاولة العمل.

- الحقوق المتساوية في كافة مجالات الحياة

الاجتماعية.

- المساواة السياسية التامة في الدولة وأجهزتها.<sup>(2)</sup>

بذلك تعتبر فترة النضال النسائية الأولى في مختلف البلدان الأوروبية لتحصيل الحقوق، فترة مقاومة تعرّض النساء فيها لسلبات التمييز في معظم مجالات الحياة في المجتمع (لاسيما التعليم والعمل والأسرة والسياسة). والحل المطروح هو -بالتوافق مع فكر التمرد المدني- المساواة في هذه الميادين مع الفريق الذي يتمتع بالتمييز من السكان، وهو بنظرهنّ فريق الرجال.

في نطاق ما عرفته ثورات التمرد من حركات نسائية متباينة (مثل المدنية والعمالية، ولاحقاً الاشتراكية)

رغم الاختلاف القائم تلاقى قطبا الحركة النسوية الألمانية على نواة مشتركة بشأن قضية المرأة وتحسين أوضاعها:

- مطالب اجتماعية صدرت عن نساء الحركة المدنية في الدرجة الأولى، ولم تقتصر فقط على المطالبة بتحسين ظروف المرأة، بل شملت الفقراء والمحتاجين، ووجدت بذلك قبولاً إيجابياً.

- مطالب التعليم والعمل التي انطوت على معالم ثورية، فالى جانب المطالبة بتحسين ظروف العمل،

طالبت نساء الحركة المدنية بتثبيت الحق العامّ لمزاولته، بحيث لا يقتصر على مهن بمعطيات سيئة تُترك للمرأة، مثل الحياكة، والخدمة، والعمل في المصانع، بل يشمل المهن ذات القيمة الأعلى، التي تحتاج إلى التعليم، وبالتالي كنّ يطالبن بوضوح بتأمين إمكانات التعليم والتأهيل للنساء.

- أما المطالبة بالمشاركة السياسية فلم تكن موضع اتفاق، فقد ساد الخلاف في وجهات النظر بصدها آنذاك داخل نطاق الحركات النسائية. ولهذا اقتصرت المطالبة بحق الانتخاب وسواه من الحقوق السياسية على أقلية من النساء في الحركة المدنية، واعتُبرت أقلية متطرفة في حينه. لذا بقيت الحركة النسائية المدنية بغالبيتها في إطار الصورة التقليدية عن المرأة، وتركزت مطالبها على قطاعات التعليم وتحسين الأوضاع الاجتماعية. أمّا ما وُصف بالحركة النسائية المتطرفة فدعت لذات الحقوق التي كانت للرجال، بما يشمل الحقوق السياسية أيضاً<sup>(1)</sup>، ويكمن السبب في اختلاف التصوّرات ما بين الناشطات في الحركة النسائية عن المرأة نفسها وماهيتها.

(2) Zetkin 1976: 46

(1) Majer 2008



واختلفت الفترة الزمنية اللازمة بين دولة أوروبية وأخرى على حسب الظروف السائدة وما طرحت الحركات النسوية من مبادرات ومطالب، إنَّما أمكن خلال القرن الميلادي العشرين الوصول إلى الهدف النهائي من حيث المساواة القانونية، وتحرير المرأة من ارتباطها بالرجل في مختلف الدول الأوروبية. أما الصيغة التطبيقية لهذا الهدف فتؤخذ هنا من مثال مسار تحرير المرأة في ألمانيا، التي قسّمتها الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية إلى دولتين، سادت فيهما تطوّرات مختلفة عن بعضها البعض فيما يتعلّق بحقوق النساء.

تُبنت المساواة بين الرجل والمرأة في جمهورية ألمانيا الاتحادية (الغربية) وفي الجمهورية الألمانية الديمقراطية (الشرقية) على السواء بعد الحرب العالمية الثانية، كما تُبنت حماية العلاقة الزوجية والأسرة كحقوق دستورية، ولكن اختلاف نظام الحكم بين الدولتين أعطى الصيغ التطبيقية

وُجد أيضًا نساء متديّبات ينوّهن للحرية الممنوحة من الإله للبشر، وبالتالي للنساء أيضًا، ولكن لم يكن يوجد دور يُذكر للأفكار الدينية ولحقوق النساء في نطاق المسيحية داخل إطار المساعي من أجل المساواة.

بهذا انطلقت الحركات النسوية في أنحاء أوروبا خلال القرن الميلادي التاسع عشر، من دعوة التحرّر من غياب الأرضية القانونية ومن الارتباط بالغير، ليتطابق وضع المرأة مع أوضاع الرجال، وتلك هي الفكرة الأساسية التي حدّدت لدى الحركات النسوية مسار مساعي التحرر في القرن الميلادي العشرين.

إنّ التطلع للحرية والاستقلالية والمساواة مع الرجل هو العنصر الموجه الذي أعطى المطالب نوعيتها وكثافتها.

تثبيت حقوق النساء في القرن الميلادي العشرين:  
لم تتراجع النساء عن مطالبهنّ وصلابة مواقفهن،

علنيًا، ولم تكن قيمه السياسية مشابهة لما في ألمانيا الشرقية، بل انطلق من جانب الحركات والمنظمات النسوية، وتلكأت خطوات التطبيق في الأنظمة السياسية والقانونية.<sup>(4)</sup>

ولهذا كانت سجلات التشريعات القانونية المدنية تحتوي حتى عام ١٩٧٧م على قوانين توجب على المرأة طلب الإذن من زوجها إذا أرادت مواصلة مهنة ما. وحتى عام ١٩٥٨م كان باستطاعة الزوج أن ينهي من جانبه علاقة عمل زوجته في مكان ما بصورة فورية، كما كان يملك إلى ذلك الحين حق الكلمة النهائية في مختلف شئون العلاقة الزوجية، ويدير هو ما تجلبه المرأة معها من ثروة تملكها إلى الحياة الزوجية، ويملك حق التصرف بما تحصل عليه من مال عبر مزاولتها عملاً ما.

لم يسر مفعول إصلاح قوانين الزواج والأسرة في ألمانيا الاتحادية إصلاحًا شاملاً إلا عام ١٩٧٧م، بإيعاز من المحكمة الدستورية العليا آنذاك؛ إذ ألغت الانطلاق من صيغة «المرأة ربة البيت في العلاقة الزوجية»، وبدلاً من ذلك تبث القانون الجديد أن إدارة الشئون المنزلية الأسرية تتم بالتوافق بين الطرفين. ومنذ ذلك الحين أصبح لكل من الزوجين «حق ممارسة العمل»، وعليه «عند اختيار مهنته ومزاولتها أن يراعي احتياجات الطرف الآخر في الأسرة بصورة مناسبة».

لم تقترن التعديلات القانونية باتجاه مساواة النساء بتبديل توزيع الأدوار التقليدي في الحياة المعيشية.

ارتبط التغيير في ألمانيا الشرقية بتخفيف عبء تربية الأولاد على الأمهات العاملات بصورة مباشرة هادفة، عن طريق توسيع إنشاء دور الحضانه، ورياض الأطفال، ومنشآت الرعاية المدرسية. هنا كان للعوامل العقائدية والاقتصادية دورها أيضاً، ليكون الأطفال أنفسهم تحت تأثير الرعاية المباشرة على مدار اليوم «بما يتفق مع الرؤى التربوية الشيوعية».<sup>(5)</sup>

لذلك أشكالاً مختلفة تماماً.<sup>(1)</sup>

في الدولة الشرقية ذات التوجه الشيوعي شهدت الخمسينيات والستينيات من القرن الميلادي العشرين عملية دمج عدد كبير من النساء في العالم المهني؛ إذ توافقت الأهداف العقائدية والاقتصادية على المطالبة الماركسية التقليدية بتحرير جنس النساء عبر اندماجهن في عملية الإنتاج، والضرورات الاقتصادية الناجمة عن الحاجة إلى أيدي عاملة غير متوافرة بما يكفي، أمّا تخفيف الأعباء المنزلية عن النساء عبر إيجاد منشآت عامة وتابعة للمصانع من أجل رعاية الأولاد وتوسيع شبكة الخدمات الاجتماعية، فقد استهدف تجنب الاضطرار إلى حلول وسطية غير مرغوب فيها، لا سيما التركيز (الوقتي) على المهام الأسرية.<sup>(2)</sup>

#### تحرير المرأة.. عملية فوقية أم من القاعدة؟:

هذا ما جعل الحديث عن «تحرير المرأة من رأس الهرم» هدفاً للمجتمع الاشتراكي، وبهذا حملت مساواة النساء صبغة عملية توجيهية وقومية علوية؛ لأنها خضعت لتوجيه الرجال، ولم تُطرح للنقاش عبر الرأي العام. كانت دوافع تحرير المرأة بذلك عقائدية وسياسية واقتصادية، فمن الناحية العقائدية اتخذت صورة المساواة بين المرأة والرجل مكانها في الصورة النموذجية للمجتمع الشيوعي، وسياسياً استهدفت عملية إزالة التمييز على حساب النساء اكتساباً تأييداً للنظام القائم، وعلى الصعيد الاقتصادي كانت النساء طاقةً عاملة مهمة.<sup>(3)</sup> لهذا وضع السجل القانوني للأسرة من عام ١٩٦٦م في ألمانيا الشرقية على عاتق الزوجين، أن ينظما علاقاتهما بحيث «تستطيع المرأة الجمع بين نشاطها المهني والاجتماعي وأمومتها».

ويدور الحديث عن «تحرير المرأة من قاعدة المجتمع» بالنسبة إلى ألمانيا الغربية؛ لاتخاذ مسارا ديمقراطياً

(1) Helwig 1997

(2) Helwig 1997

(3) Demnitz 2003

(4) Demnitz 2003: 9

(5) Demnitz 2003:13

من الناحية القانونية أصبح للنساء في أوروبا مع نهاية القرن الميلادي العشرين وضع أفضل مما كان عليه في أي وقت مضى، كما أن المساواة بين الجنسين أصبحت أمرًا مقبولاً اجتماعياً بصفة عامة، ولكن بقيت العرافيل في بعض ميادين التطبيق العملي. وكان هدف الحركة النسائية على الدوام أن تشمل المساواة مع الرجال مركز المرأة، وحقوقها، والفرص المتوافرة لها، ولا يمكن تحقيق ذلك دون تغيير جذري في التصورات السائدة حول توزيع الأدوار بين الجنسين، وحول المرأة منذ القدم، ولا يكفي بلوغ ذلك تعديل الوضع القانوني وحده. لهذا تحوّلت نقاط الثقل في أنشطة الحركات النسائية من مواجهة الخلل في الوضع القانوني، إلى مواجهة افتقاد التوازن بين الجنسين في مختلف الميادين الأخرى.

#### تيار «الجندر/ النوع البشري»:

نتيجة لما سبق فُتح في أوروبا فصلٌ جديد بظهور تيار فكري محوره «الجندر»، ويوصف من جانب الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء فيه على السواء بأنه «استراتيجية» مطروحة للتطبيق «لضمان شمولية تحقيق المساواة باعتبارها مهمة الدولة، لا سيما من خلال العناصر الفاعلة في إدارتها العامة».

يعني ذلك أن «حق» المساواة بين الرجل والمرأة، المثبت في دساتير دول الاتحاد الأوروبي، يُستكمل بإضافة «واجب» تطبيقه، ويكون تنفيذ ذلك عبر هذه «الاستراتيجية»، التي تنطلق من المستويات الإدارية. ويقال بهذا الصدد: إن على فكر «الجندر» المحوري إحداث تغييرات في العلاقة ما بين الجنسين، لمنع وقوع التمييز، كما ذكرت الوزارة الاتحادية الألمانية لشؤون الأسرة.<sup>(٤)</sup>

ويُرد في التفاصيل لشرح هذا المصطلح المركب، أن (الجندر/ النوع البشري) لا يُؤخذ بمعنى نوعية ما، كأن يوصف بالنساء أو بالرجال، بل بمعنى «مراعاة

رغم ذلك ظهر للعيان أن أغراض الدولة من وراء تشغيل النساء بصورة كاملة لم تكن قابلة للتحقيق تمامًا بسبب تناقضها مع إرادة النساء أنفسهن؛ إذ سرعان ما ظهر الميل إلى عمل النساء لفترات محدودة من اليوم، إضافة إلى انخفاض معدلات الولادة.<sup>(١)</sup>

أما هدف مشاركة النساء على قدم المساواة في قطاع التعليم، فأمكن تحقيقه سريعاً، وظهرت في ألمانيا الشرقية في الستينيات الميلادية مؤشرات تحقيق المساواة في المدارس السياسية/ التقنية العليا، التي تؤهل للدراسة الجامعية؛ إذ بلغت نسبة الإناث في العام الدراسي ١٩٦٣-١٩٦٤م ٤٨٪، ووصلت في العام الدراسي ١٩٧٥-١٩٧٦م إلى ٥٣٪، أما في ألمانيا الغربية فلم تلحق نسبة الإناث بالذكور إلا بعد خمسة عشر عاماً، في مطالغ الثمانينيات الميلادية.<sup>(٢)</sup>

ارتفعت نسبة النساء في المعاهد العليا أيضاً، وكانت الدراسة الجامعية عام ١٩٦٥م تعادل ثلاثة أرباع الطلبة بالمجموع في الدولتين الألمانيتين، وارتفعت في ألمانيا الشرقية خلال عقد واحد فرض بلوغ الإناث المرحلة الجامعية إلى ما يعادل فرص الذكور، ممّا يعود إلى إجراءات الدولة لتثبيت نظام الدراسة الجامعية، وإلى إيجاد شروط دراسة ملائمة للنساء. أما في ألمانيا الغربية فارتفعت نسبة الإناث من ٢٧٪ (١٩٦٥م) إلى ٣٦٪ عام ١٩٧٥م وإلى ٤٠٪ في الثمانينيات الميلادية، ولكن ساد التفاوت بين الجنسين على صعيد الإقبال على فروع دراسية بعينها.<sup>(٣)</sup>

#### بعد الصراع القانوني: مساواة النساء:

بهذا تحقّق تحسين الوضع القانوني للنساء خلال النصف الثاني من القرن الميلادي الماضي في ألمانيا بمجموعها كما تحقّق في الدول الأخرى وسط أوروبا، وحصل هدف المساواة على دفعات نحو الأمام.

(1) Helwig 1997

(2) Demnitz 2003:10

(3) Demnitz 2003:10

(٤) انظر في موقع: <www.gender-mainstreaming.net>

«إعادة دراسة المراسيم القانونية الحالية للاتحاد الأوروبي، التي لم يتم تعديلها حتى ٢٠٠٥م، من حيث تحقيقها لهدف تطبيق المساواة، بغرض تطويرها وتحديثها وإعادة صياغتها إذا اقتضت الضرورة».

ويستند هذا المخطط إلى الاستراتيجية العامة السابقة للفترة الزمنية بين ٢٠٠١ و ٢٠٠٥م لتطبيق المساواة بين النساء والرجال.

إنّ استراتيجية الفكر الجندي، كما أرادتھا الناشطات في الحركة النسوية والسلطات السياسية،

تعطي للوهلة الأولى للناظر إليها من المستوى الواسطي

العام في المجتمع، انطباعاً عاماً بأنّ الغرض يقتصر على تحسين العملية التنفيذية لحق المساواة وتطبيقه ما بين الرجل والمرأة، وبالتالي إزالة نقاط الخلل على حساب النساء.. وهنا تتركز الحجج على الحقيقة الثابتة

بالدراسة التحليلية والأدلة بشأن وجود تمييز على حساب المرأة في العمل والأجور.

### مواطن الخلل البنيوية تجاه النساء في أوروبا:

لا تزال مواطن الخلل على حساب النساء قائمة وكبيرة، كما تذكر التقارير الصادرة بصدد تطبيق المساواة، على مستوى الاتحاد الأوروبي وعلى مستوى الدول الأعضاء فيه. وتظهر مواطن الخلل في جميع الميادين الاجتماعية ذات الأهمية مثل: ضعف نسبة وجود النساء في القطاع السياسي، لاسيما في المناصب ذات المكانة الاجتماعية العالية والمرتبطة بصلاحيات السلطة، وتحصل النساء وسطياً على أجور أدنى من متوسط ما يحصل الرجال عليه، وتعيش النساء مع التعرّض لمخاطر أكبر على صعيد احتمالات الفقر والمعاناة الفعلية منه، كما تحمل المرأة العاملة القسط الأكبر من أعباء الأعمال المنزلية، وتربية

البشر على اختلافاتهم وتوّعهم»، بينما تعني كلمة «تيار محوري» أنّه ينبغي في مختلف ميادين القرار، من حيث المنتجات، والعرض، والعاملين، والتنظيم، أن يؤخذ بعين الاعتبار دوماً وجود نساء ورجال في أوضاع معيشية متباينة، وعند مراعاة هذا التباين فقط يمكن تجنّب وقوع التمييز (ليس المقصود: التباين بين نساء ورجال في تلك الأوضاع، بل بين عنصر بشري وآخر، بغض النظر عن الجنس).

### سياسة الاتحاد الأوروبي لتطبيق المساواة:

تستند سياسة الاتحاد الأوروبي لتطبيق مبدأ المساواة

إلى «الخطوط العامة للمعاملة على قدم المساواة» الصادرة عام ١٩٧٦م عن المجلس النيابي الأوروبي و«مجلس تطبيق مبدأ المعاملة المتساوية بين الرجال والنساء». وتستند هذه الخطوط العامة إلى المادة

السادسة من الحقوق الأساسية، التي تم تثبيتها لاحقاً في معاهدة الاتحاد الأوروبي (معاهدة ماستريخت).

وختاماً لهذه المسيرة التزم الاتحاد الأوروبي في أواخر التسعينيات الميلادية عبر معاهدة أمستردام، بأن يسعى في كافة المجالات السياسية للقضاء على مختلف أشكال التمييز بين الجنسين، ولدعم تطبيق المساواة بينهما، أي الأخذ بالتيار الفكري الجندي. وتبعاً للقرارات المعنية في اتفاقية الرابطة الأوروبية (المواد ٢، ٣، ١٤١) وُضع في هذه الأثناء بضعة عشر خطأ من الخطوط العامة لدفع تطبيق المساواة قدماً<sup>(١)</sup>.

من الخطوات المحددة على هذا الصعيد المخطط التنفيذي لأعوام ٢٠٠٦-٢٠١٠م، الذي أخذت به مفوضية الاتحاد الأوروبي في آذار/ مارس ٢٠٠٦م، لتطبيق المساواة بين الرجال والنساء، وجاء بصدده

(1) Holzleithner 2005



- وهذا ما يؤدي إلى معاناة النساء من الفقر الشديد،  
- وإلى ارتفاع نسبة وجود ما يسمى «المهن النسائية» نوعياً، المتميزة بانخفاض الأجور وانخفاض المكانة الاجتماعية.

تري مفوضية الاتحاد الأوروبي ضرورة التصرف في ميدانين، هما التوافق بين الحياة المهنية والحياة الخاصة، ونظام العمل الجزئي للنساء، ففي هذين المجالين لا تتوافر بعد الشروط العامة لإزالة عدم المساواة بين النساء والرجال في البلدان المعنية.<sup>(3)</sup>

بينما تبدو الإرادة الكامنة من وراء إزالة هذه المعطيات الموضوعية التي تُعرض كنواقص، وتبدو بالتالي مكافحة التمييز، هي الدافع الرئيس من وراء تيار الفكر الجندري بوصفه الصيغة الرسمية لسياسة المساواة في الاتحاد الأوروبي، بل سبقت المساعي في مؤتمر بكين الدولي الرابع حول المرأة، ليسري مفعول هذه الصيغة على مستوى عالمي شامل.

#### انتقاد الفكر الجندري: اضمحلال الجنسين:

تتعلق الانتقادات الرئيسة في ألمانيا من جانب الكنيسة الإنجيلية تجاه تيار الفكر الجندري، ولا تجد صدًى عبر وسائل الإعلام إلا نادراً. وترى هذه الانتقادات أن السبعينيات الميلادية شهدت نشوء حركة نسوية متطرفة، فنشأت عقيدة «الرؤية الجندرية»، ومصطلح «الجندر» الجديد هو بذلك المصطلح المركزي الموجه لها.

لم تعد توجد صلة ما بين العلاقة الجنسية و«الجندر»/ الجنس أو النوع البشري، فُصل ما بينهما، بل نشأت علاقة معارضة تجاه بعضهما البعض. ويرى الناقدون أن العلاقة الجنسية بمعنى «الجنس

الأطفال والرعاية في حالة المرض وتقدم السن.<sup>(1)</sup>

تعتمد التقارير الأوروبية الصادرة سنوياً منذ ٢٠٠٣م حول تطبيق المساواة بين النساء والرجال، إلى عرض التطور الحاصل في مختلف المجالات من خلال الأرقام. ويذكر تقرير سنة ٢٠٠٨م مثلاً أن الفارق بين نسب تشغيل الرجال والنساء في أوروبا كان يعادل ١٤,٤٪ عام ٢٠٠٦م، رغم تحسين المستوى العلمي للنساء، وارتفاع نسبة الدراسة الجامعية إلى ٥٩٪.

وتشكو التقارير بانتظام من تفاوت الدخل المالي بين الرجال والنساء، حيث بلغ الفارق في الدولة الألمانية ذات المكانة المحورية أوروبياً نسبة ٢٢٪ سنة ٢٠٠٦م، وهو قريب من أدنى معدلاته على مستوى بلدان الاتحاد، وهو ٢٥٪.

ويشير التقرير إلى أن واقع التصنيف التمييزي في القطاعين العام والمهني تبعاً للجنس، بما يشمل تعداد النساء في المواقع التوجيهية في الاتحاد الأوروبي، «يسبب صداماً للمفوضية الأوروبية». لم يعد يتحقق تقدم ما في هذين القطاعين، بل يمكن رصد انتكاسة في التطور، وبالتالي زيادة هذا التصنيف التمييزي في سوق العمالة في عدد من البلدان الأوروبية.<sup>(2)</sup>

إنّ مختلف التقارير المعنية تشخّص بذلك مرة بعد أخرى وجود التمييز على حساب النساء في دول الاتحاد الأوروبي، لاسيما في الحياة المهنية، على أساس:

- انخفاض معدّل أجور المرأة (وسطيّاً حوالي ١٥ في المائة بالمقارنة مع الرجل)،
- وزيادة تشغيل النساء في القطاعات المهنية ذات الأجور المتدنية (ثلث النساء تقريباً)،
- والظروف الأسوأ في مكان العمل،

(1) Holzleithner 2005

(2) انظر تقرير الاتحاد الأوروبي حول تطبيق المساواة من عام ٢٠٠٨م.

(3) Gleichstellungsbericht 2008

هذا ما يعطي تطبيق المساواة مفهوماً جديداً. ويتضح من خلاله أن الرؤية الجندرية لا تعطي تعريفاً جديداً لكلمة المساواة فقط، بل تعطي ذلك أيضاً لكلمات «الزواج والأسرة»، ومن هنا توجب المساواة ما بين علاقة جنسية مثلية وعلاقة زوجية.

يجري تنفيذ رؤية «قابلية التبادل» هذه بصورة مبرمجة عن طريق تحقيق المساواة بصورة ملزمة من الناحية الإحصائية، أي بنسبة ٥٠ إلى ٥٠٪ (بين الرجال والنساء)، فهذا التساوي الرقمي مطلوب في جميع ميادين الحياة والعمل. لتحقيق ذلك يجب تمكين النساء بعد الإنجاب مباشرة من مزاوله العمل بصورة كاملة، وترك تربية الأطفال للدولة إلى أقصى حدّ ممكن، أو ينبغي أن يوزع الرجل والمرأة الأعمال المهنية والأعمال المنزلية بنسبة ٥٠٪ لكل منهما<sup>(٥)</sup>.

علاوة على هذا النقد الجذري الصادر عن الدوائر المسيحية الإنجيلية، توجد دراسات ناقدة أخرى تجاه موضع الفكر الجندري، تقول: إنّ القطاع السياسي انتزع موضوع السياسة النسوية من الحركات النسوية، وجعلها تابعة له، دون تحقيق نجاح يُذكر. كما أنّ الفكر الجندري ركّز على القطاع الإداري، واستثنى القطاع الاقتصادي الخاص<sup>(٦)</sup>. إلا أنّ مجلس النساء الألماني الذي يجمع معظم الروابط والمنظمات النسائية، ويجري تمويله من الخزينة العامة في الدرجة الأولى، يدعم مبدأ الفكر الجندري<sup>(٧)</sup>.

#### بعد الحركة النسوية: الحرية وحتمياتها المفروضة:

تبنت هذه السياسة بوضوح دعم النساء وتطبيق مساواتهنّ، وحصلت نساء أوروبا على حقوقهنّ إلى حدّ بعيد، وتبدّلت صورة المرأة في المجتمع، ونجم عن ذلك سكون الحركات الاجتماعية النسوية الأوروبية. أصبحت الإمكانيات المفتوحة أمام النساء في أوروبا

(5) Vonholdt 2009

(6) Heister 2007

(٧) انظر موقع مجلس النساء الألماني:

<<http://www.frauenrat.de/deutsch/frauenrat.html>>

العضوي/ البيولوجي» متوافر بالمنظور الطبيعي، ولكن أصبحت الأهمية الأكبر للجندر/ النوع البشري، وليس هذا سوى «دور للجنس البشري جرى تصميمه بصورة اصطناعية للمجتمع»، لا يستند إلى ثوابت عضوية مسبقة، وبالتالي هو قابل للتغيير باستمرار<sup>(١)</sup>.

تبعاً لذلك لم يعد الوصول إلى تحرير المرأة يكتفي بالتخلّص من الميزات الذكورية، بل ينبغي تحرير الإنسان نفسه من حيث الأساس من «طبقة الجنس» أي من التصنيف رجالاً ونساء؛ إذ اعتُبرت الفوارق بين المرأة والرجل هي المصدر لجميع حالات الظلم، لا يمكن وفق نظرية الجندر التوصل إلى هدف المساواة إلا من خلال إزالة جميع الفوارق (لو أمكن ذلك)<sup>(٢)</sup>. لقد تبنت عقيدة الجندر بذلك -كما يقول نقّادها- الصيغة التي وضعها الماركسيون من قبل: وجود فروق يعني انعدام المساواة، وغياب المساواة يعني الظلم<sup>(٣)</sup>.

محور ما تريده الرؤية الجندرية إذن هو تليين «تصنيف الجنس البشري»، لـ«تفريغ الكلمة من أهميتها» بالنسبة إلى جميع الفوارق ما بين المرأة والرجل. فهذا وحده ما يوصل إلى المساواة (المطلقة). يعني هذا تبدل معنى مصطلح المساواة نفسه: «المساواة الآن هي قابلية التبادل المطلقة بين المرأة والرجل»<sup>(٤)</sup>.

بتعبير آخر: بدلاً من وجود جنسين مختلفين تجاه بعضهما البعض، أصبح الموجود عبارة عن عدد كبير من عناصر الجندر/ النوع البشري على قدم المساواة.

(1) Vonholdt 2009

(٢) هذه إشارة إلى مقولة صدرت عن أوكين، التي تُعتبر الفيلسوفة السياسية للحركة النسوية، انظر:

Justice, Gender and the Family, New York 1989, S. 171.

(3) Vonholdt 2009

(٤) Vonholdt ٢٠٠٩: فونهلدت طبيبة أطفال ومؤلفة، معروفة لدى الرأي العام الألماني بصورة خاصة من خلال موقفها تجاه العلاقات الجنسية المثلية المختلف عليها؛ إذ كان من مواقفها معارضة ما صدر عن الجمعية الأمريكية للطب النفساني، وألغت بموجبه تلك العلاقات من قائمة الأمراض النفسانية، وعارضت فونهلدت في جلسة استماع إليها في المجلس النيابي الاتحادي الألماني مشروع قانون لتثبيت مساواة أصحاب العلاقات الجنسية المثلية بسواهم، وتطرح رؤيتها بذلك من زاوية اختصاصها العلمي ومن حيث كونها مسيحية إنجيلية.

وأمومتها<sup>(1)</sup>، وهذا من المواقف المتهمة بالسعي لإعادة الظروف القديمة إلى ما كانت عليه، أي «هبوط» المرأة بنفسها إلى وضع حدود لنفسها في صيغة «كائن أُسْرِيٍّ وأُمَّ». وتعرّضت هيرمان بسبب أطروحاتها إلى النقد الحاد من جانب السياسيين ومشاهير الحركة النسوية، وهُوجمت علناً من جانب دور نشر إعلامية، بل فُصلت من وظيفتها في مؤسسة الإذاعة والتلفزة شمال ألمانيا؛ إذ إنَّها تعرّضت بذلك لهزّما تمّ تشبثه في هذه الأثناء من توافق اجتماعي على التخلّص نهائياً من أدوار نسائية قديمة.

#### ولكن كيف يمكن تفسير الرفض الحاد لمثل هذه المواقف؟

إنّ التوجّه العام حالياً في ألمانيا وفي الدول الأوروبية الحديثة الأخرى يمضي نحو الترخيص بأشكال متعددة لعلاقات المعاشرة الجنسية، واعتبارها نماذج مستقرة اجتماعياً. يعني ذلك أنّ الأسرة القائمة على علاقة زوجية بين المرأة والرجل مع إنجاب الأطفال لم تعد موضع الترويج كحالة نموذجية. فالمطلوب هو أن تتخذ إلى جانب صيغة «الأسرة التقليدية»، وعلى قدم المساواة معها صيغ أخرى للمعاشرة دون زواج بين المرأة والرجل، وللمعاشرة فيما يسمّى العلاقة الجنسية المثلية، مع اعتبار ذلك زواجاً أو دون ذلك، بالإضافة إلى «أسر فردية» بمعنى وجود أمّ تنفرد بتربية أطفالها أو أب ينفرد بتربية أطفاله.

لا يُطرح ذلك في المدارس باعتباره «واقعاً اجتماعياً قائماً» فحسب، بل يجري تلقين الأطفال أنّ هذا وضع طبيعي، بحيث تتقبّل الفتيات ويتقبّل الفتیان جميع أشكال المعيشة المشتركة، ويتدرّبون على التسامح إزاءها، ويتمّ إعدادهم من أجل اختيار شكل من هذه الأشكال لأنفسهم، فلا ينبغي أن يقتصر استعدادهم على صيغة الزواج التقليدي.

خلال سنوات معدودة أصبح الترخيص بكافة أشكال

هي ذات الإمكانيات المفتوحة أمام الرجال. أصبحن يملكن حريتهنّ وتقرير مصيرهنّ بأنفسهنّ.

بذلك يكون قد تمّ تحرير النساء، بمعنى تحريرهنّ من الارتباط بالرجل، وتحقيق هدف الحركة النسوية، من حيث تمكين النساء على الصعيد الاجتماعي وعلى الصعيد القانوني-السياسي من تحقيق وجودهنّ ذاتياً، وبلوغ ما يتطلّعن إليه دون حواجز. لا غرابة إذن في ألاّ تجد النساء ما يدفع إلى التجمّع المنظم بهدف تحسين أوضاعهنّ. وما يسمعه المرء اليوم في فرنسا أو ألمانيا من مواقف علنية تمثّل الحركة النسوية، إنّما هي أصوات نساء من الحركة النسوية في السبعينيات الميلادية، أي من جيل الأمّهات والجّدات بالنسبة إلى جيل النساء من ذوات الأعمار المتوسطة حالياً. السؤال المطروح حالياً هو ما إذا استطعن بمواقفهنّ القديمة أن يستجبن لاحتياجات جيل النساء الحالي.

تجدّد النقاش في المجتمع حالياً حول دور المرأة، وظهرت مواقف مختلفة يواجه بعضها بعضاً، منها دعم المرأة في الحياة المهنية وتمكينها من التألّق المهني، مثلها في ذلك مثل الرجل، وهو ما يتبنّاه بوضوح السياسيون والإعلاميون. أمّا عندما يدور الأمر حول المرأة كأمّ، فيحتدّ النقاش العام بصدد إمكانية الجمع بين ذلك وبين مزاوله المهنة. استقرت وسط المجتمع عموماً صورة المرأة النموذجية كسيّدة ناجحة مهنيّاً وكائن جّداب، تقرّر أمورها بنفسها. وتُطرح الأسئلة أحياناً من جهة أخرى تجاه هذه الصورة النموذجية، فتظهر في النقاش الدائر مواقف تضع الأمومة في مكانة مركزية، وتضع إشارة استفهام أمام مساعي النجاح المهني على حساب الأسرة وعلى حساب النساء أنفسهنّ، ولكن وسائل الإعلام تتعامل مع هذا الطرح بوصفه رجعيّاً متخلّفاً، لا يتفق مع المواقف الاجتماعية العامة، ويوصم بمعارضة الحداثة.

إيفا هيرمان المشهورة كمذيعة أخبار ومقدمة برامج تلفازية اتخذت موقف التشكيك تجاه الصورة النموذجية المفروضة، ودعت المرأة للعودة إلى أنوثتها

(1) Hermann 2006

الأسر المتعددة الأفراد، تعتمد على عمل المرأة وحدها، وكان هذه الرقم في حدود ١٥٪ عام ١٩٩١م، وأن ثلاثة أرباع النساء القائمات على هذه المسئولية المالية يصنعن ذلك مكرهات، والنصف لا يشعر بالسعادة لهذا الدور، لاسيما وأن الغالبية تعمل في قطاعات مهنية ذات أجور متدنية، وفي الوقت نفسه يتحملن عبء العمل الأسري والمنزلي، ممّا يصل إلى أقصى درجات الإرهاق<sup>(١)</sup>.

بدأ إدراك هذه الإشكالية وبدأ النقاش حولها، ولكن ليس في اتجاه يؤدي إلى التشكيك في تطوّر المجتمع باتجاه القبول بذلك التنوع في الأشكال المعيشية الاجتماعية، أو إلى معالجة ناقدة للصبغ النموذجية الحالية حول المرأة. إنّما يدور

النقاش العام والسياسي حول مسائل من قبيل كيفية تخفيف عبء رعاية الأطفال عن النساء العاملات، وكيفية تخفيف الأعباء المالية الواقعة على الأسر عبر إنجاب الأطفال، وكيفية تمكين النساء من الوصول إلى مهن أفضل. بهذا لا تجري معالجة الأوضاع السيئة من جذورها، بل عن طريق مزيد من إجراءات انتزاع المرأة من إطار الأسرة بدعوى الحرية، وهذا ما تراه الحركة النسوية تحريراً مزعوماً للمرأة.

لقد أدركت المرأة الأوروبية، بعد طول جهد وعناء، أنها لم تتحرر حقيقة بل ازدادت أوضاعها سوءاً وتعاسةً، فبدأت أصوات نسوية أوروبية عدة تعيد النظر في ادعاءات وهم الحرية، مطالبةً بضرورة التوائم مع فطرة المرأة الأنثى الزوجة والأم وليس المرأة الجندر مشوشة النوع والوظيفة. ولكن ما يثير العجب

المعاشرة المعيشية هذه، وبنموذج الجنس البشري على هذا النحو، أمرًا مقبولاً على وجه التعميم في المجتمع. لم تعد الأسرة من زوجين، رجل وامرأة، ومواليد شرعيين، هي الوضع الطبيعي كوحدة أساسية في المجتمع، بل حل مكانها التنوّع في «النماذج الأسرية» التي يُراد أن تكون جميعاً متساوية من حيث قيمتها، وقابلة للممارسة في الحياة الفعلية.

بهذا المعنى تكون المرأة على استعداد لجميع النماذج

□ **لقد أدركت المرأة الأوروبية، بعد طول جهد وعناء، أنها لم تتحرر حقيقة بل ازدادت أوضاعها سوءاً وتعاسةً، فبدأت أصوات نسوية أوروبية عدة تعيد النظر في ادعاءات وهم الحرية، مطالبةً بضرورة التوائم مع فطرة المرأة الأنثى الزوجة والأم وليس المرأة الجندر مشوشة النوع والوظيفة**

عن طريق تحقيق هدف تأمين متطلباتها المعيشية المادية بنفسها، فهذا ما يمكنها من أن تعيش دون شريك حياة أو «شريكة» حياة، أو أن تتخرط في علاقة خارج إطار الحياة الزوجية، وجميع ذلك ممّا أصبح واسع الانتشار، ومن وراء ذلك كله صار أمرًا ممكنًا من الناحية الاقتصادية.

### آلام حرية الاختيار:

أصبحت المرأة في الدول الأوروبية قادرة على الاختيار اليوم، نموذج المعاشرة في حياتها، وطريق تعليمها، ومهنة تزاولها، وهو ما لا ييسر الحياة عليها، ولا يسهّل قطعاً اتخاذ قرار بشأن إنجاب الأطفال. وتُظهر التطوّرات في السنوات الماضية أن تعدد الفرص أمام النساء بدعوى التحرر والحرية أصبح عبئاً ثقيلاً عليهنّ. أصبحن مرغّمات على مزاولته العمل في معظم الحالات، ليس في مهن تحقّق التآلق والنجاح، وبالتالي المكانة الاجتماعية، بل لمجرد تأمين المتطلبات الأساسية للمعيشة، أي في مهن عسيرة الأداء متدنية الأجر تحقيقاً للتحرر «الزائف» عن قيد الأسرة والرجل.

في نطاق دراسة بعنوان «المرأة المسئولة عن طعام أسرتها» جرت بتكليف الاتحاد الألماني للنقابات، أسفر استطلاع أجري عام ٢٠١٠م في ألمانيا، أنّ ٢١٪ من

(١) انظر: نساء منفردات في تحصيل الدخل، تحرير المرأة القهري، ٢٠١٠، في الموقع الشبكي لصحيفة دي نسايت الأسبوعية:

Frauen als Alleinverdienerinnen. Unfreiwillige Emanzipation, 2010 in: Die Zeit online: <<http://www.zeit.de/gesellschaft/familie/2010-07/ernaehrerinnen>>

حقاً أن يبقى النموذج الغربي للمرأة المتحررة -مع ما يعتره من نواقص وعورات- ملهماً لبعض الحركات النسوية في عالمنا الإسلامي، وكأنه قد أصبح لزاماً على أمتنا أن تجتر نفايات الأفكار والمفاهيم التي لفظها أهلها وباتت عندهم جزءاً من الماضي وحقبة من حقب التاريخ في حين يراد بها أن تظل حاضرننا الواقع ومستقبلنا المأمول.

## معلومات إضافية

## الأوضاع المتردية للمرأة في الغرب:

يتحدث الدكتور (سايمونز مور) عن وضع المرأة في الغرب فيؤكد على أن العلاقة الشائنة مع المرأة لم يتولد معها غير الخراب الاجتماعي.

ويقول: تؤكد آخر الإحصائيات عن أحوال المرأة في العالم الغربي بأنها تعيش أتعس فترات حياتها المعنوية، رغم البهرجة المحاطة بحياة المرأة الغربية التي يعتقد البعض أنها نالت حريتها، والمقصود من ذلك هو النجاح الذي حققه الرجل في دفعها إلى مهاوي ممارسة الجنس معه دون عقد زواج يتوج مشاعرها ببناء أسرة فاضلة.

ويضيف أن هناك اعترافاً اجتماعياً عاماً بأن المرأة الغربية ليست هي المرأة النموذجية ولا تصلح أن تكون كذلك، وهي تعيش حالة انفلات مع الرجال.

## والحقائق والأرقام تكشف الواقع المؤلم لحال المرأة الغربية المظلومة:

## وفي بريطانيا :

- أكثر من ٥٠٪ من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك.

- ٥٠ ألف باحثة بريطانية تقدمت باحتجاجات شديدة على التمييز ضد المرأة في بريطانيا.

## وفي إسبانيا :

- سجلت الشرطة في إسبانيا أكثر من ٥٠٠ ألف بلاغ اعتداء جسدي على المرأة في عام واحد، وأكثر من حالة قتل واحدة كل يوم.

## وفي أمريكا :

- يُغتصب يومياً في أمريكا ١٩٠٠ فتاة ، ٢٠٪ منهن يغتصبن من قبل آبائهن.

- ٨٠٪ من المتزوجات منذ ١٥ عشرة سنة أصبحن مطلقات في سنة ١٩٨٢م.

- ٨ ملايين امرأة في أمريكا يعيشن وحيدات مع أطفالهن دون أي مساعدات خارجية في سنة ١٩٨٤م.

## بعض مظاهر استغلال المرأة في الغرب:

## ١- استخدام المرأة في الدعاية والإعلان:

المرأة تبتز بشكل بشع في المجتمعات الغربية تقول الباحثة جيهان البيطار «حول أخلاقيات الإعلان»: إن ٩٣٪ من الاعلانات التجارية تستخدم السيدات. و ٧٣٪ منها يتم تقديمها من خلال حركة المرأة. وأكثر من النصف يحتوي إثارة في المضمون.

## ٢- فتح مجالات عمل لا تتناسب مع طبيعة المرأة:

فبناء على نظرية المساواة المزعومة في العالم الغربي؛ فإن المرأة تعمل كما يعمل الرجل، في المناجم وصناعة المواد الثقيلة، وتطهير الشوارع، وقيادة الشاحنات، وغيرها من الأعمال التي لا تتناسب مع طبيعتها الجسمية.

## ٣- العنف والاعتداء على المرأة:

صور الاعتداء على المرأة بالضرب أو التحرشات الجنسية أو الاغتصاب والقتل ليست في الواقع أقل سوءاً مما هي عليه في كل مكان آخر. فقد كشف مسح استطلاعي أعدته وزارة الداخلية البريطانية أن ٨٠٪ من ضابطات الشرطة، أي بنسبة أربعة إلى خمسة، يتعرضن للمضايقات الجنسية خلال نوبات العمل الرسمية. شارك في الاستطلاع ١٨٠٠ ضابطة في عشر مديريات أمن في إنكلترا وويلز، وأشرفت عليه الدكتور جينيفر بروان وهي باحثة اجتماعية في الوحدة الملحقة في مديرية أمن «نيوهامبشاير».

ويقول مركز الضحايا الوطني الذي يناصر حقوق ضحايا جرائم العنف: إن معدل الاغتصاب في الولايات المتحدة أصبح يبلغ ١,٣ امرأة بالغة في الدقيقة الواحدة؛ أي ٦٨٠٠٠ امرأة في العام.

وأضاف المركز أن واحدة من كل ثماني بالغات في الولايات المتحدة تعرضت للاغتصاب ليكون إجمالي من اغتصبن اثني عشر مليوناً ومائة ألف امرأة على الأقل.

ويشير المسح إلى أن ٦١٪ من حالات الاغتصاب تمت لفتيات تقل أعمارهن عن ١٨ عاماً، وأن ٢٩٪ من كل حالات الاغتصاب تمت ضد أطفال تقل أعمارهم عن ١١ عاماً. وأظهرت الأرقام زيادة معدل الاغتصاب عن العام الذي سبقه بنسبة ٥٩٪.

وتبين بعض الإحصاءات الأوروبية أن هناك امرأتين تعيشان دون زواج؛ مقابل كل رجل أعزب، وهذا يعني أن جيلاً من النساء يتعرضن لخطر العنوسة. وتذكر الإحصائيات العلمية أن المرأة التي يتراوح عمرها ما بين ٣٥-٣٩ عاماً لا تتوفر لها فرص الزواج إلا بنسبة ٣٨٪ فقط.

## المرأة وتجارة الرقيق الأبيض:

يؤكد تقرير لمنظمة الهجرة الدولية أنه يجري سنوياً بيع نصف مليون امرأة إلى شبكات الدعارة في العالم، وأن النساء من دول أوروبا الشرقية يشكلن ثلثي هذا العدد، أما أعمارهن فتتراوح بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين.

وتعترف منظمة الشرطة الأوروبية «أوروبول» بأن تجارة الرقيق الأبيض منظمة بشكل جيد، أما المنظمات غير الحكومية المهتمة بهذه المسألة وبعض الأجهزة الأمنية في أوروبا الشرقية فتؤكد أن الكثير من النساء يقعن في فخ الاستدراج الذي يجري عادة عن طريق نشر إعلانات مكثفة في مختلف الصحف في دول أوروبا الشرقية عن الحاجة إلى مربيات أو نادلات في المطاعم، أو مغنيات أو راقصات، أو عارضات أزياء للعمل في الغرب أو في بعض الدول البلقانية بعروض مغرية.

وتؤكد العديد من المصادر المتابعة لتجارة الرقيق الأبيض في أوروبا أن العديد من الدول والمناطق في البلقان غدت مفترق طرق بالنسبة للكثير من النساء، ولاسيما اللاتي يُستدرجن من جمهوريات رابطة الدول المستقلة كأوكرانيا أو ملدوفيا وروسيا البيضاء.

وفي دليل على الحجم الخطير الذي وصلت إليه هذه التجارة، يقول تقرير للمجلس الأوروبي: إن أرباح القوادين ومجموعات المافيا التي تعمل في هذا المجال في دول الاتحاد الأوروبي ارتفعت في الأعوام العشرة الماضية بنسبة ٤٠٪، وإن شبكات الدعارة هذه تعرض الآن نصف مليون امرأة للبيع، يبلغ الدخل الذي تحققه النساء فيها للقوادين ومزوري الوثائق ومهربي البشر وغيرهم ١٣ مليار يورو سنوياً.

وتقول إحصائية صادرة عن وزارة الداخلية الأوكرانية: إن حوالي ٤٠٠ ألف امرأة وفتاة دون سن الثلاثين غادرن أوكرانيا خلال السنوات العشر الماضية عن طريق عصابات المافيا. ومن وسائل العصابات المنظمة استخدام الفتيات أنفسهن في استدراج بنات جنسهن لمستمتع الدعارة من خلال تزيين ذلك العمل وإظهار محاسنه المادية، مقابل حياة الضنك الاقتصادي والاجتماعي في البلد الأصلي للضحايا.

### الحدائث «الغربية» تهدد الأسرة:

يوماً بعد آخر، تتوالى التقارير والدراسات التي تؤكد أن (مؤسسة الزواج في أوروبا تنهار)، وأن انهيار هذه المؤسسة يهدد شعوب عدة دول بالانقراض.

ففي تقرير نشره البرلمان الأوروبي (١١/٢٤/١٩٩٩م)، يؤكد أن مؤسسة الزواج في أوروبا تتجه نحو مزيد من التراجع، لم تشهده أوروبا من قبل؛ حيث يشير التقرير إلى أن عدد حالات الزواج تراجمت في كل دول أوروبا الـ٤٦، عدا فرنسا وألمانيا وأيسلندا والبرتغال؛ حيث سجلت زيادات طفيفة - ربّما يعود إلى ارتفاع نسبة المهاجرين في بعض هذه الدول -، وأن نصف النساء أجريّن عقوداً رسمية مقابل نسبة كانت تصل إلى ٩٠٪ سابقاً.. وكذلك تزداد نسبة الولادات خارج إطار الزوجية، حيث تصل إلى نسبة الثلثين في أيسلندا، و٥٠٪ في الدانمارك، و٤٠٪ في فرنسا.. كما أن نسبة الخصوبة أيضاً قليلة، حيث تبلغ ١,٢ طفل للمرأة في كل أوروبا.

وبسبب هذه الأوضاع، فقد أثارت مؤشرات النمو السكاني في ألمانيا (عام ١٩٩٩م)، إلى المزيد من دواعي القلق من مغبة انقراض الأمة الألمانية في غضون عقود من الزمن؛ حيث زاد عدد الوفيات عن الولادات بمقدار ٧٦٠٠٠ حالة وفاة، مما يندر - حسب قول الخبراء - بأن هذا المعدل كفيلاً بأن تخسر ألمانيا ما يعادل سدس سكانها حتى عام ٢٠٣٠م.

### المصادر:

المرأة في ظل الحضارة الغربية.. الحضور والتجليات، موقع مسلم أون لاين، ١٥ أبريل ٢٠٠٩م، انظر الرابط:

<http://moslimonline.net/index.php?page=artical&id=537>

من يرفع الظلم عن المرأة الغربية ٥، د. محمد بن عبدالله الهيدان، ٢١ صفر ١٤٢٩ هـ انظر الرابط:

<http://akhawat.islamway.com/modules.php?name=News&file=article&sid=836>.

مستقبل الأسرة في العالم، د. إحسان الأمين، موقع [www.balagh.com](http://www.balagh.com)



# القيم الغربية وأثرها على كيان الأسرة المسلمة



د. نهى قاطرجي

أستاذ بجامعة الإمام الأوزاعي - بيروت

## ملخص الدراسة

تعارفت المجتمعات الإنسانية منذ ظهور الرسائل السماوية والفلسفات الأرضية، على أن الأسرة تخضع في تأسيسها ووظائفها إلى القيم والتشريعات الدينية. إلا أن هذا المفهوم بدأ يتغير تدريجياً منذ مطلع القرن الماضي بعد التحولات العلمية والفكرية التي طرأت على هذه المجتمعات. وقد أدت تلك التحولات إلى تغيير كبير في تكوين وخصائص وقيم الأسرة في الغرب. تجلّى ذلك في عزوف الشباب عن الزواج، وفي زواج الشاذين جنسياً، وفي تغيير مفهوم الزنا، وفي إنجاب الأطفال خارج إطار الزواج.

لقد كان من نتائج هذا الواقع أن بدأت المجتمعات الغربية تشهد تراجعاً في القيم الأخلاقية، لصالح قيم جديدة على رأسها: الفردية، والمنافسة، ومبدأ المنفعة، وحب المادة، وإهمال الجانب الروحي والمعنوي للعلاقة بين أفراد الأسرة. وهو ما أدى إلى تفكك الأسر داخل هذه المجتمعات، وانتشار الأمراض الجنسية، وتعاطي المخدرات، وارتكاب الجرائم.

لقد كان من نتائج الانفتاح الإعلامي، وانتشار بعض المفاهيم الخاطئة حول الأسرة لدى بعض المسلمين، وضعف الرقابة الذاتية والعامّة، أن بدأت القيم الغربية تنتقل تدريجياً إلى المجتمعات الإسلامية. فضعت العلاقات الأسرية، وازداد عزوف الشباب عن الزواج، وتراجعت علاقة المودة والتراحم والاحترام المتبادل داخل هذه الأسرة.

ومن أهم العوامل الخارجية التي كان لها دور في بروز هذا الواقع الجديد، نظام العولمة الذي استخدم وسائل الإعلام من أجل نقل ثقافة المادة والعنف والإثارة الرخيصة.

أما العوامل الداخلية فتكمن في سوء فهم الدين الإسلامي ومقاصده الشرعية عند بعض أبناء المسلمين. إضافة إلى بعض الممارسات القضائية المنحازة في كثير من الأحيان لصالح الرجل، وإلى انتشار بعض الأعراف الموروثة الخاطئة والبعيدة عن ثوابت الشرع الحنيف.

أخيراً، فإن إصلاح أي خلل قد يطرأ على الأسرة المسلمة ينبغي أن يتم في إطار مرجعيتها الأولى: كتاب الله وسنة نبيه، وبالتعاون بين الأفراد والدول وأجهزة التعليم، وأجهزة الإعلام، ومؤسسات المجتمع بأنواعها كافة. وعلى عاتق هذه المرجعيات تقع مهمة التثقيف وتبوير الرأي العام الداخلي والخارجي لمواجهة الأعداء وفضح أهدافهم.

# القيم الغربية وأثرها على كيان الأسرة المسلمة



د. نهى قاطرجي

أستاذ بجامعة الإمام الأوزاعي - بيروت

تعد الأسرة المسلمة بخصوصيتها الثقافية القيمة وباعتبارها لبنة المجتمع المسلم وركيزته الرئيسة، تعد في صدارة مشهد الحروب القيمة التي تستهدف ثوابت الأمة وبنيتها الأساسية. ولم ترد لفظة الأسرة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بل استُخدمت ألفاظ أخرى للتعبير عنها، منها لفظ الأهل، كما في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَبِي مِّنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥]. ووردت أيضاً بلفظ العشيرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. كذلك ركز على معاني الزواج والتزويج للإشارة والدلالة إلى معنى الأسرة والعائلة.

أما في اللغة فقد ورد تعريف الأسرة بأنها الدرُّعُ الحصينة، والعشيرة، ومن الرجل الرهط الأدنون<sup>(١)</sup>؛ لأنه يتقوى بهم.

تتأسس الأسرة في الإسلام إثر عقد شرعي يوقِّع بين رجل وامرأة، ويترتب عليه وظيفتهما الأساسية وهي إنجاب الأطفال. وتتحدّد بنتيجته مسؤوليتهما في تربية الأبناء، وتنشئتهم على قواعد الإيمان وفضائل الأخلاق.

هذا المفهوم للأسرة لا يقتصر على الإسلام، بل إنه مفهوم تعارفت عليه المجتمعات منذ بدء التاريخ؛ حيث اتفقت الرسائل الثلاث الكبرى على أن الأسرة مؤسسة تخضع في تأسيسها ووظائفها ومسئولياتها إلى التشريع الديني.

وهذا التعريف لا يتعلق بالدين واللغة فقط، بل إن علماء الاجتماع عرّفوا الأسرة بأنها «جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية، تتكون من رجل وامرأة، تقوم بينهما رابطة زوجية مقررّة. ومن أهم الوظائف التي تقوم بها هذه الجماعة: إشباع الحاجات العاطفية، والقيام بالأدوار التربوية، وتهيئة المناخ الاجتماعي الثقافي الملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء»<sup>(٢)</sup>.

لقد اختلف مفهوم الأسرة المعاصر عما اتفقت عليه الرسائل والشرائع والعلماء عبر التاريخ؛ حيث صار يلحظ ابتداء من مطلع التسعينيات من القرن الماضي بعض التعريفات المختلفة للأسرة التي بدأت تأخذ بالاعتبار التحولات العالمية التي طرأت على نظام الأسرة في العالم. فجاء في موسوعة «لاروس الكبرى» الطبعة الجديدة التعريف التالي: «الأسرة مجموعة شخصين أو أكثر بينهما علاقة قرابة، سواء ضاقت أو اتسعت». وهذا التعريف اهتم بإدماج أنواع الأسر، كما راعى وجود أنواع أخرى في المدى المنظور. وهو تعريف محايد لا يهتم بتحديد

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م ج٢، ص ٦.

(٢) إكرام بنت كمال بن معوض المصري، عولة المرأة المسلمة.. الآليات وطرق المواجهة، مركز باحثات لدراسة المرأة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ٣٤٩.

مسئوليات الأسرة ووظائفها، ولا بالأخلاقيات التي تقوم عليها الأسرة التقليدية<sup>(١)</sup>.

وهذا التعريف يتفق مع الدعوات الدولية إلى تغيير أشكال الأسرة ووظائفها. فقد دعت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة إلى التغيير «في الدور التقليدي للرجل ودور المرأة والأسرة والمجتمع».

بينما أكدت وثيقة مؤتمر بكين على «أن للأسرة أنواعاً وأنماطاً تختلف حسب المجتمع»<sup>(٢)</sup>.

من هنا تأتي أهمية هذا البحث والذي هو تحت عنوان «القيم الغربية وأثرها على كيان الأسرة المسلمة» في هذا الوقت

بالبذات بعد أن بدأت تظهر على الأسرة المسلمة بعض التغيرات والتأثيرات الغربية على تكوينها ووظائفها ومسئوليات أفرادها.

### تمهيد:

لم يُعرف عن أحد من العلماء العرب استعماله لكلمة «القيم» بالمعنى الذي يُستعمل اليوم، والمترجمة حرفياً من كلمة Value الإنجليزية<sup>(٣)</sup>. أما الكلمة التي تقابل لفظة القيم في اللغة العربية؛ فهي ما يُعرف بالأخلاق. وهي تسمية تكررت عند الحديث عن الجانب الفلسفي وتداخلت مع لفظتي «القيم» و«المثل العليا»<sup>(٤)</sup>.

وتعتبر دراسة القيم باباً من أبواب علم الفلسفة، أو ما يُعرف بـ «علم القيم» axiology، وأول من تحدث عن هذا العلم هو «الفيلسوف الألماني نيتشه،

(١) عبد الهادي بو طالب، مفهوم الأسرة ومسئوليتها في الديانات والإعلانات العالمية ومواثيق الأمم المتحدة، من كتاب أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ٢٠٠١م، ص ١٥٩.

(٢) إكرام بنت كمال بن معوض المصري، عولمة المرأة المسلمة، ص ٣٥٠.

(٣) ناصر الدين الأسد، نظرات في لغة المصطلح وفي مضمونه، من كتاب أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، ص ٤٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٣.

والبرجماتيون؛ حسب ما أجمع عليه أغلب مؤرخي الفلسفة»<sup>(٥)</sup>.

ويعتبر الفلاسفة أن القيم ثلاثة هي: الجمال والخير والحق. والبعض الآخر أضاف إليها قيمة رابعة أسموها القيمة الدينية. إلا أنهم لم يعطوا للدين دوراً سوى حماية القيم الثلاث الأولى.

ويختلف دور القيم في الإسلام عنه عند فلاسفة الغرب في أمور عدة منها :

١- مصدر القيم في الإسلام هو الوحي الإلهي، بينما مصدر الشرائع الوضعية هو البشر، ولهذا فالقيمة هنا نسبية.<sup>(٦)</sup>

٢- للقيمة في الإسلام خصائص ومميزات عامة، فهي مطلقة؛ لأنها من عند الله عز وجل، وهي معايير مسلمة بين جميع أفراد المجتمع أو غالبيتهم، لا تتغير بتغير الزمان والمكان. وهي تجمع بين حق الفرد وحق الجماعة، وبين السعادة الدنيوية والسعادة في الآخرة.

٣- دور المجتمع المسلم في حماية قيمه. وعليه أن «يتخذ في سبيل حمايتها عدداً من الإجراءات التي قد يكون منها معاقبة المخالف عقاباً بدنياً أو عقاباً معنوياً كالإهمال والاحتقار»<sup>(٧)</sup>.

### أولاً: القيم الغربية وأثرها على الأسرة الغربية:

تعتبر الأسرة في الغرب من أهم المؤسسات التي تضررت بعد الثورة الصناعية في مطلع القرن الماضي. ومن المعروف أن هذه الثورة كان لها السبق في إخراج المرأة من بيتها وأسرتها، وإقناعها بأهمية

(٥) ثريا التركي، تغير القيم في العائلة العربية، الأسكوا، ١٩٩٥م، ص ١٦.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٨.

(٧) عبد الله بن ناصر الصبيح، التغيير الاجتماعي وصراع القيم، ملحق

مجلة البيان، عدد ٢٧١، ربيع الأول ١٤٣١هـ، ص ١٩.

جميع الأشياء .

٣- مبدأ الدنيوية الذي يدعو إلى التمتع بالدنيا دون التفكير بالآخرة، على اعتبار أن الحياة الدنيا هي مستقر الإنسان ومآله<sup>(٢)</sup>.

وقد كان لهذه المبادئ الأثر الكبير على نظرة المجتمع الغربي إلى الحياة الإنسانية والعلاقات الاجتماعية، وخاصة على مفهوم الأسرة في الغرب .

#### ب- واقع الأسرة الغربية المعاصرة:

يشهد العالم الغربي اليوم تغييرًا كبيرًا في تكوين وخصائص وقيم الأسرة التي تشكل الخلية الأولى للمجتمعات الإنسانية، وأبرز مظاهر هذا التغيير يمكن لمسه فيما يلي:

##### ١- العزوف عن الزواج:

نتيجة سيطرة الرغبة الجامحة بالإشباع المادي لدى الإنسان الغربي، وقوانين الطلاق المحففة بحق الرجل، وخروج المرأة إلى العمل، والدعوات المتطرفة إلى الحرية الفردية والإباحية الجنسية؛ فقد ازداد عزوف الشبان والشابات عن الزواج، هربًا من مسئولية الحياة الزوجية. وقد نشرت في هذا المجال صحيفة «بردويل» النمساوية تقريرًا يظهر فيه أن الشعب النمساوي تحول إلى شعب من العازبين. فالإحصاءات التي نشرت في شهر أبريل (نيسان) من عام ٢٠٠٠م أشارت إلى أن في النمسا اليوم حوالي ٩٧٦ ألف عازب (من مجموع السكان البالغ ٧,٩ مليون)، وأن عددهم سيرتفع عام ٢٠٣٠ إلى ١,٢٧ مليون عازب.

وهذه الأرقام الخاصة بالنمسا لا تختلف كثيرًا عن باقي الدول الغربية، فقد أشارت دراسات حديثة قامت بها الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي إلى أنه من الآن وحتى عام ٢٠٥٠ سينقص عدد السكان في إيطاليا ١٦

دورها الإنتاجي في المجتمع. كان ذلك بسبب التوسع الاستعماري، وحاجة المصانع إلى الكثير من الأيدي العاملة، وذهاب الرجال إلى الحروب وموتهم فيها بأعداد كبيرة، وخاصة أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م). كذلك فإن إشراك النساء بالعمل هدف إلى تخفيض راتب الرجل وإجباره على الخضوع لشروط أصحاب المصانع.

#### أ- مصادر القيم الغربية:

بعد انتصار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وبداية ظهور الاكتشافات العلمية وما تلاها من بوادر الثورة الصناعية، دعا الفكر الفلسفي الغربي إلى تقديس العقل البشري تقديسًا مطلقًا، وإلى فصل الدين عن الدولة.

وظهرت؛ نتيجة لهذا الواقع الجديد، بعض الدعوات الفلسفية المناهضة للدين، مثل المذهب النسبي القائم على الشك في الحقائق المطلقة، والنزعة البرجماتية أي النفعية. كما كثرت الدعوات «إلى تحرير الأخلاق من سلطة المعتقدات الدينية، حتى لا تقوم على الخوف من عذاب جهنم، ولا على الطمع في نعيم الجنة، فضلًا عن تحريرها من سلطة رجال الكنيسة»<sup>(١)</sup>.

#### لقد تجلت مساعي أهل الحداثة الغربيين عند دعوتهم إلى فصل الأخلاق عن الدين في اعتماد ثلاثة مبادئ هي:

١- مبدأ الإنسانية الذي يقضي بأن الإنسان قادر على أن يأخذ زمامه بيده، ويحدد مصيره بنفسه من دون حاجة إلى الاستعانة بقوة غيبية أو التوكل على موجود متعال.

٢- مبدأ العقلانية الذي يعتبر أن العقل هو السلطان الداخلي الذي يستطيع لوحده أن يصدر أحكامه على

(٢) سعيد بن سعيد العلوي، الأسرة والقيم في عالم اليوم، من كتاب أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، مرجع سابق، ص ٣١٦.

(١) طه عبد الرحمن، ما بعد الأسرة وما بعد الأخلاق، انقلاب قيم الحداثة، من كتاب أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، مرجع سابق، ص ٣١٥.



جنسيًا في ستة بلدان في العالم، هي: النرويج، هولندا، بلجيكا، إسبانيا، كندا، وولاية ماساتشوستس الأمريكية.<sup>(٣)</sup>

#### ٢- الإنجاب خارج إطار الزواج :

وفي هذا الإطار نشرت صحيفة U.S.A. TO DAY الأمريكية في عددها الصادر في ٢٨ يناير عام ١٩٩٧م، تقريرًا حول تضاعف عدت الأمهات من دون زواج في الفترة الممتدة ما بين ١٩٦٠-١٩٩٢م، ويذكر بأن الولايات المتحدة الأمريكية تأتي في المرتبة السادسة في قائمة البلدان في هذا المجال.<sup>(٤)</sup>

وفي دراسة عن أوروبا نشرت مجلة NEWSWEEK الأمريكية في عددها الصادر في ٢٠ يناير ١٩٩٧م<sup>(٥)</sup> نتائج أحد التقارير الرسمية الصادرة في عام ١٩٩٤م

مليونًا، وفي كل من ألمانيا وإسبانيا ٩ ملايين، وروسيا ٢٦ مليونًا، واليابان ٢٢ مليونًا، وكذلك سيحدث تناقص في أمريكا وبريطانيا وكوريا الجنوبية.<sup>(١)</sup>

ويأتي العزوف عن الزواج نتيجة انتشار ما يُعرف في تلك المجتمعات بالمساكنة، فقد وصف تقرير للمعهد القومي للدراسات الديموجرافية في فرنسا الزواج بأنه «عادة روتينية أقلع عنها الكثيرون، وأنه في عام ١٩٩٧م على سبيل المثال، فإن ٣٠٪ من علاقات التعايش بين رجل وامرأة تتم بدون زواج».<sup>(٢)</sup>

#### ٢- التغير في أشكال الأسرة :

حيث بدأت تظهر أشكال جديدة للأسرة لم تكن معروفة من قبل، على رأسها الأسر المكونة من زوجين متماثلين في الجنس؛ حيث تم إقرار زواج الشواذ

(٣) النرويج تسمح بزواج الشاذين جنسيًا، صحيفة الوثام الإلكترونية.  
(٤) أحمد منصور، سقوط الحضارة الغربية، رؤية من الداخل، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص ٦٤.  
(٥) المرجع السابق، ص ٤٦.

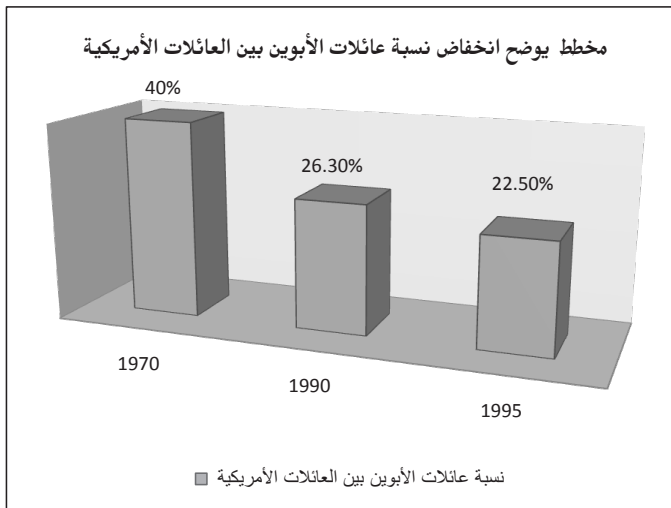
(١) جاسم محمد المطوع، التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة، مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات، أغسطس ٢٠٠٢م، ص ٢٢٣.  
(٢) مازن بن صالح مطبقاني، الغرب من الداخل، الأسرة في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة، ص ١١.

نسبة العائلات الأمريكية في عام ١٩٧٠م، وبحلول عام ١٩٩٠م انخفضت هذه النسبة إلى ٢٦,٣٪، ووصلت في عام ١٩٩٥م إلى ٢٢,٥٪<sup>(٤)</sup>.

وقد عمد هؤلاء من أجل إيجاد حل لمشكلاتهم، إلى اتخاذ خطوات عدة، منها:

أ- فتح باب الهجرة للشباب من أجل العلم والعمل، وفي هذا المجال يشير التقرير المذكور أعلاه إلى أن الأسر البريطانية من أصل هندي أو باكستاني أكبر حجماً من الأسرة البريطانية الأصلية<sup>(٥)</sup>.

أدى هذا التزايد في عدد المهاجرين إلى ارتفاع الأصوات المنددة بهذا التزايد، خاصة تجاه الهجرة الإسلامية التي يعتبرونها تشكل خطراً على وجود وكيان وسياسة هذه الدول. وهذا الأمر هو الذي دفع بالسياسي «جان ماري لوبان»<sup>(٦)</sup> في إطار حملاته للانتخابات الفرنسية إلى القول: «قريباً سيغلب على مارسيليا سكانها المسلمون، فهذه الهجرة هي أشبه بحركة استعمارية»<sup>(٧)</sup>.



(٤) المرجع السابق، ص ١٠.

(٥) المرجع السابق، ص ٩.

(٦) سياسي فرنسي، رئيس ومؤسس حزب الجبهة الوطنية المنتمي إلى أقصى اليمين.

(٧) عفاف عنيبة، الأسرة الغربية بين الثابت والمتغير في القوانين الوضعية، ص ٦-٧.

حول نسبة الولادة لأطفال خارج إطار الزواج، وجاءت النتائج على الشكل التالي: السويد ٥٠٪، الدانمارك ٤٦,٨٪، النرويج ٤٥,٩٪، فرنسا ٣٤,٩٪، المملكة المتحدة ٣٢٪، فنلندا ٣١,٣٪، هولندا ٣١,١٪، النمسا ٢٦٪، أيرلندا ١٩,٧٪، البرتغال ١٧٪، ألمانيا ١٥,٤٪، لوكسمبورج ١٢,٩٪، بلجيكا ١٢,٦٪، إيطاليا ٧,٣٪، اليونان ٢,٩٪<sup>(١)</sup>.

علمًا بأن هذه الأرقام في ارتفاع متزايد. ففي فرنسا تشير الإحصاءات الصادرة عام ٢٠٠٨ إلى أن نسبة الولادات غير الشرعية فاقت تلك الشرعية<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- تراجع معدلات الإنجاب:

وتشكل هذه القضية أبرز تحدّ يواجهه الأسرة الغربية اليوم مما دفع ببعض المسؤولين إلى دق ناقوس الخطر، خوفًا على دولهم من التلاشي؛ نتيجة تراجع عدد المواليد وزيادة نسبة الشيوخ.

وتؤكد الإحصائيات الرسمية هذه القضية؛ حيث ذكر التقرير السنوي للحكومة البريطانية عام ١٩٩٣م أن حجم الأسرة البريطانية انخفض من ٢,٩ فرد عام ١٩٧١م إلى ٢,٤ فرد عام ١٩٩٣م<sup>(٣)</sup>.

وينطبق الأمر نفسه على الأسرة الأمريكية؛ حيث نشرت صحيفة أمريكية أن نسبة العائلات المكونة من أبوين في الولايات المتحدة قد انخفض انخفاضًا ملحوظًا بحيث أصبحت عائلة واحدة فقط من بين كل أربع عائلات أمريكية يعيش بينهما الأب والأم في منزل واحد. وتقول الإحصائيات: إن نسبة عائلات الأبوين كانت تشكل ٤٠٪ من

(١) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٢) عفاف عنيبة، الأسرة الغربية بين الثابت والمتغير في القوانين الوضعية، ص ٣.

(٣) مازن بن صالح مطبقاني، الغرب من الداخل، الأسرة في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة، ص ٩.

التزاماتهم الأسرية وبين حاجاتهم إلى تحقيق النجاح المنشود في مجال عملهم، الأمر الذي يلقي بظلاله على علاقة هؤلاء بأطفالهم». وأشار التقرير إلى أن «ظاهرة ذهاب الأمهات إلى العمل، وبقاء الآباء في المنزل تشكل تهديدًا خطيرًا على حياة الأسر الأمريكية»<sup>(٥)</sup>.

وكان من نتائج هذه الفردية أن بدأت الدول تتدخل في عملية تربية الأولاد، والاهتمام بهم وتعليمهم ما تراه مناسبًا لسياساتها واتجاهاتها، حتى ولو كانت هذه السياسات لا تتناسب مع عقيدة الأب ورغبته في تعليم أولاده. علمًا بأن هذا التدخل من قِبَل الدول

لا يقتصر على النظام التعليمي خارج المنزل، بل يطال أيضًا تربية الأولاد داخل المنزل؛ حيث كان لالتزام الدول بالاتفاقيات الدولية أثره في فرض القوانين التي تمنع الأب من استخدام الوسائل التربوية التي تنتقص من حقوق الطفل. ففي إنجلترا مثلًا يتعرض الأب للمحاكمة

بتهمة القسوة فيما لو عامل أطفاله عين المعاملة التي كان الأب منذ مائة سنة فقط خليفًا أن يراها كفيلة لحسن تشبثهم.

ومن نماذج هذا التدخل نشر التعليم الجنسي داخل المدارس، ومنع الأهل من التدخل في خصوصية أبنائهم المتعلقة بأمورهم الجنسية والتاسلية. ليس ذلك فحسب، بل إن بعض الدول تؤمن للفتاة القاصر الحامل المسكن لها ولطفلها.

٢- انشغال الأهل عن وظيفتهم التربوية التي كُلفوا بها، فباتت كثرة أعمال الآباء لا تسمح لهم برؤية أبنائهم وقتًا كافيًا. أما الأمهات اللاتي يشكّلن مع أبنائهن النسبة الكبيرة من عائلات

ب- تشجيع النساء على الإنجاب بدون زواج. فبعد أن شهدت أوروبا انخفاضًا حادًا في معدلات الولادة، بدأت الحكومات الأوروبية تشجع على الإنجاب، وتدفع الأموال للنساء مقابل ذلك؛ حيث تتقاضى الأمهات غير المتزوجات شهريًا إعانات اجتماعية بمبلغ يتراوح ما بين ٤٠٠-٥٠٠ دولار أمريكي عن الطفل الواحد.<sup>(١)</sup>

ج- بزوغ دعوات إلى التمسك بالقيم العائلية، كما هو الحال في بريطانيا؛ حيث خطف حزب العمال بزعامه توني بلير هذه الفكرة من حزب المحافظين.<sup>(٢)</sup>

### ج- أهم القيم التي تبنى عليها العلاقات في الأسرة الغربية:

إن القوانين الوضعية الغربية التي تمنح المرأة المساعدات الاجتماعية، تشترط ألا يكون في بيتها رجل.<sup>(٣)</sup> وكان من نتائج هذا الواقع أن بدأت المجتمعات الغربية تشهد تراجعًا في القيم الأخلاقية، على حساب قيم جديدة، من بينها:

١- الفردية التي تحكم العلاقات الأسرية؛ حيث أخذ «التنافس بين الأفراد يتنامى على حساب الترابط الأسري، وأصبح وجود (خيارات) هو ديدن الجميع، وليس بقاء (الأواصر) الأسرية. وحسب المنطق الرأسمالي فإن الأولاد لم يعودوا يمثلون (محور الربح) بل أصبحوا (محور التكاليف)».<sup>(٤)</sup>

وفي هذا المجال أكدت صحيفة (كريستيان ساينس مونيتور) الأمريكية في تقرير نشرته في شهر ديسمبر ١٩٩٦م، أن «أرباب الأسر الأمريكية من العاملين في مختلف المهن يعانون من عدم تمكنهم من التوفيق بين

(١) أحمد منصور، سقوط الحضارة الغربية، مرجع سابق، ص ٦٩-٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٩-٧٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٦.

(٥) المرجع السابق، ص ٥٨.

وكان من بين القيم الأسرية التي أوجدها الإسلام قيم التعاون والعمل بروح الجماعة، والتضامن والتكافل، والعطف على الصغير واليتيم، واحترام الكبير وطاعة الأبوين، والدفاع عن الحرمات، والعفة وغض البصر، والنظافة والطهارة.. إلى غير ذلك من القيم التي توارثها أبناء الأمة الإسلامية من جيل إلى جيل، واحتكموا إليها في سلوكياتهم وتصرفاتهم.

إن تحلي أبناء الإسلام بهذه القيم هي التي حفظتهم حتى اليوم من التفكك والتشرد الذي أصاب غيرهم من الأمم. وهذه الخصوصية وهذا التميز على سائر الأمم، هو الذي دفع بأعدائهم أن يعملوا بجهد وكد لتفكيك الأسرة الإسلامية، مستخدمين لذلك وسائلهم الاقتصادية والثقافية والإعلامية من أجل ضمان نجاحهم في مهمتهم.

## ٢- أهم المتغيرات التي طرأت على الأسرة المسلمة:

إن من أول الآثار التي بدأت تظهر على الأسرة المسلمة نتيجة تأثرها بالغرب، هو التغير في شكل الأسرة، ففيما كانت الأسرة الممتدة التي تضم الأجداد والزوجين والأبناء وزوجاتهم، والأحفاد والأصهار والأعمام، ترتبط فيما بينها برباط أبدي، قائم على التعاون والتآزر من أجل توفير العمل والمسكن والزواج والحماية لكل أفرادها منذ الميلاد وحتى الممات، تحول شكل هذه الأسرة إلى الأسرة النووية المؤلفة من الزوج والزوجة وأولادهما، لتضعف بذلك صلة الرحم التي دعا الإسلام إلى المحافظة عليها، ولتقضي على «الجماعية التي كانت سمة قيمية مميزة للعائلة الممتدة»<sup>(١)</sup>.

هذا ولا يقتصر التغيير على الشكل فقط، وإنما طال أيضًا الوظائف والمسؤوليات.

## ومن المتغيرات التي يمكن ملاحظتها:

١- تأخر سن الزواج، بل والعزوف عنه نهائيًا في بعض الحالات. وذلك نتيجة للضائقة الاقتصادية والبطالة

«الوالد المنفرد»؛ فإنهن بدورهن يتن يركضن من أجل تأمين متطلبات معيشة الأسرة المتزايدة والتي من بينها كلفة حاضنة الأولاد.

٢- فقدان قيمة الترابط بين أفراد العائلة؛ نتيجة تطبيق مفهوم الحرية الشخصية، فكان لانفصال الولد عن أهله عندما يبلغ سن النضوج، وخروجه من دائرة الأسرة للعيش وفق مفهومه للتححر والاعتماد على الذات، أثره في إضعاف مكانة العائلة والعلاقة بين الآباء والأبناء «الذين وجدوا أنفسهم ضمن نسق حضاري مادي لا يولي أي اهتمام لقيم التكافل والتراحم والتعاضد. فعوامل التقدم الاقتصادي وسيطرة الفلسفة المادية التي تؤمن فقط بالأثر المادي للجهد الإنساني، وتحقر من شأن الروح وتعادي دور الدين كان لها تأثير كبير وكبير جدًا على البنية الاجتماعية في الغرب»<sup>(١)</sup>.

## ثانيًا: القيم الغربية وأثرها على الأسرة المسلمة:

تتمتع الأسرة في الإسلام بالقدسية، وقد أوضح القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وكتب الفقه الإسلامي الأحكام الخاصة بالأسرة، وكيفية المحافظة عليها، والمسؤولية الملقاة على عاتق كل من الرجل والمرأة في هذا المجال.

## ١- مصادر القيم الإسلامية التي تحكم الأسرة:

لا يعد الإسلام المصدر الوحيد للقيم التي تحكم المجتمعات الإسلامية؛ فإن كثيرًا من هذه القيم وُجدت في العصر الجاهلي، ولما جاء الإسلام أقر بعضها وثبتتها، ومنها: قيم الجود والكرم والشجاعة والنخوة، وإغاثة الملهوف، وحماية الجار... إلخ. وقد أضاف الإسلام إليها قيمًا جديدة أصيلة تتناول كل نواحي الحياة الفردية، والأسرية والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية.

(١) عفاف عنبية، الأسرة الغربية بين الثابت والمتغير في القوانين الوضعية، مرجع سابق، ص ٥.

(٢) تغير القيم في العائلة العربية، ص ٢٦.



رأسها ضعف قوامه الرجل على بيته؛ حيث كان لخروج المرأة إلى العمل، واستقلالها الاقتصادي عن الرجل أثره في نشوء نوع من الاستقلالية لديها جعلها تتعالى على الرجل. ومما زكى هذا الأمر تكاسل بعض الرجال وتخليهم عن مسؤولياتهم التي فرضها الله عز وجل عليهم.

وقد كان من نتائج غياب أو ضعف القوامة أيضاً أن بدأت تظهر بعض عوامل التمرد على مبدأ الطاعة المرتبط بالقوامة. وفي ذلك تشير دراسة أنثروبولوجية لمجتمع النخبة في مدينة جدة إلى أن مفهوم الطاعة عند المرأة قد بدأ في التغير، «فالزوجة الآن تخرج من البيت للزيارات والتسوق بدون أن ترجع في ذلك إلى زوجها، كما كانت تفعل أمها. ومع ذلك فإن استقلاليتها في الحركة خارج المنزل تظل في التحليل الأخير مقيدة من جانب زوجها»<sup>(٥)</sup>.

٢- سوء تربية الأطفال، وخاصة من الناحية الصحية والنفسية. وذلك بسبب غلبة النظرة المادية الاستهلاكية؛ حيث لا يقوم أحد بعمل إلا بأجر، وخاصة النساء، اللاتي تأثرن بالنظرة الغربية التي تطالب باعتبار وظيفة المرأة وظيفة اجتماعية تستحق الأجر المادي عليها، مما حول العلاقة بين الزوجين كما وصفها الدكتور عبد الوهاب المسيري إلى «علاقة تعاقدية مادية، وليست علاقة تراحمية تعاطفية»<sup>(٦)</sup>.

لقد أذنت كل هذه التغيرات ببدية تحول من القيم الجماعية إلى القيم الفردية. فغاب مفهوم التضامن الذي كان موجوداً داخل الأسرة الكبيرة، وتخلّى كثير من الأبناء عن القيام بواجباتهم الأساسية في رعاية ذويهم عند الكبر أو العجز أو المرض. ولعل «الزيادة في عدد الدور التي ترعى الآن كبار السن بعد أن كان مكانهم ضمن العائلة الممتدة من المؤشرات المهمة جداً

وغلاء المهور، مما تسبب في وجود كثير من المشكلات الاجتماعية، أولها عنوسة الشبان والشابات. ففي مصر مثلاً، ذكرت إحدى الدراسات، الصادرة عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية مؤخراً أن نسبة غير المتزوجين من الشبان والشابات بلغت بشكل عام حوالي ٣٠٪، وبالتحديد ٢٩,٧٪ للذكور و ٢٨,٤٪. وكذلك فإن هذه العنوسة تسببت وفق دراسة أجراها المركز القومي للسموم في القاهرة بانتحار ٢٧٠٠ فتاة خلال عام واحد<sup>(١)</sup>.

وقد عمد بعض الشباب من أجل إشباع غريزتهم الجنسية إلى طرق عديدة، منها ما يُعرف بالزواج العرفي، أو زواج المسيار، ومنها ما يُعرف بالمساكنة التي بدأت تأخذ طريقها إلى بعض المجتمعات العربية المنفتحة نوعاً ما، مثل لبنان وتونس وسوريا وغيرها. ففي سوريا مثلاً يعزو بعض الخبراء الاجتماعيين بروز هذه الظاهرة المحدودة إلى انتشار البطالة بين الشباب وعدم قدرتهم على تحمل مسؤوليات الزواج<sup>(٢)</sup>.

أما في لبنان فقد ذكر الدكتور أسامة طيارة أستاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية أن «التماهي بالغرب والتقليد الأعمى لنمط وأسلوب الحياة الغربية هو أحد الأسباب الرئيسة في تمسك هؤلاء بالمساكنة»<sup>(٣)</sup>.

٢- تحول العلاقات بين المرأة والرجل من علاقات سكن ومودة ورحمة، وتضحية وتوازن في العلاقات والحقوق والواجبات، «النابعة من التمسك بشرع الله العظيم، إلى نوع من الثنائية المتناقضة التي تؤذن بالصراع بين شقي النفس الواحدة، وبين الأبناء والبنات، والصغار والكبار»<sup>(٤)</sup>.

وقد نتج عن هذه التحولات أمور خطيرة، على

(١) العربية. نت.

(٢) ثنائي يرفض اعتبارها مرحلة ما قبل الارتباط الدائم، العربية. نت، ٧ يونيو ٢٠٠٦م.

(٣) المساكنة، انتصار الرغبة على التقاليد ٢٣ آذار ٢٠١٠م، موقع لبنان الآن.

(٤) إكرام بنت كمال بن معوض المصري، عولمة المرأة المسلمة، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

(٥) ثريا التركي، تغير القيم في العائلة العربية، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٦) جاسم محمد المطوع، التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة، مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

الأمريكية إلى السيطرة على العالم، دفع بكثير من المفكرين إلى عدم التمييز بين العولمة والأمركة.

وتشكل العولمة الثقافية إحدى الوسائل المهمة في اختراق ثقافات الشعوب واستعمار عقولهم وأفكارهم وتوجهاتهم، وبالتالي إلغاء تأثير الدين على حياتهم، واستبداله بالفكر العلماني الغربي الذي يدعو إلى الفصل بين الدين والحياة، كما يدعو إلى التمتع بمباهج الحياة وفق ثقافة استهلاكية تبحث عن الرفاهيات المادية والمعنوية، وتقديم المصالح الفردية والمنافع الشخصية على المصالح الجماعية.

وللعولمة الثقافية أدوات عديدة تستخدمها في سبيل إحكام سيطرتها على الشعوب وضمان نجاح مهمتها، ومن بين هذه الأدوات:

#### منظمة الأمم المتحدة وأدواتها:

تسعى الأمم المتحدة من خلال منظماتها ومؤتمراتها<sup>(٤)</sup>، إلى تعميم النظرة الغربية لقضايا المرأة والأسرة، والضغط على الحكومات العربية والإسلامية من أجل تطبيق توصياتها المخالفة في كثير من بنودها للشريعة الإسلامية. ومن الأمور التي تسعى إلى فرضها أو تعديلها فيما يتعلق بالأسرة: «السماح بزواج المسلمة بغير المسلم، إلغاء المهر، وإلغاء ولاية الأب على البنت البكر، وكذلك إلغاء طاعة الزوجة للزوج، وتجريم وطء الزوجة بغير كامل رضاها، واستحداث جريمة اسمها (الاغتصاب الزوجي) لتحطيم العلاقة بين الزوجين، وتجريم تأديب الأبناء، وبالتالي رفع ولاية الأب عن الأبناء»<sup>(٥)</sup>.

(٤) أبرز هذه المؤتمرات الخاصة بالمرأة، مؤتمر المكسيك ١٩٧٥م، ومؤتمر كونهاجن ١٩٨٠م، ومؤتمر نيروبي ١٩٨٥م، ومؤتمر بكين ١٩٩٥م وتوابعه ٢٠٠٠، ٢٠٠٥ و ٢٠١٠م.

(٥) عضاف عنيبة، الأسرة الغربية بين الثابت والمتغير في القوانين الوضعية، مرجع سابق.

على تغير العلاقة بين الكبار والصغار»<sup>(١)</sup>.

٤- تعديل كثير من القوانين العربية حتى تتناسب مع الدعوات الغربية، ومن هذه القوانين، قوانين الأحوال الشخصية، المتعلقة بالزواج والطلاق، والإرث والحضانة، ورفع سن الزواج وغير ذلك من القضايا التي تحتكم إلى الشريعة الإسلامية. هذا إضافة إلى الدعوات لإقرار قانون الزواج المدني الذي ينزع عن الزواج صفته الشرعية الدينية ليجعله بيد الدولة تحت حجة رفع التمييز عن المرأة ومساواتها بالرجل.

ومن هذه القوانين التي يطالب بتعديلها قوانين العقوبات التي تتعلق بجرائم الزنا، وخاصة زنا الزوجة، والإجهاض، والتحرش الجنسي. إضافة إلى القوانين التي تجرم العنف الأسري. وقد أقر مجلس الوزراء اللبناني في جلسته المنعقدة في ٦ أبريل ٢٠١٠م قانوناً للعنف الأسري، ومن بين بنوده معاقبة «كل من أكره زوجته بالعنف والتهديد على الجماع بالحبس من ستة أشهر إلى سنتين»<sup>(٢)</sup>.

العوامل التي ساهمت في تغيير واقع الأسرة المسلمة:

#### أولاً: العوامل الخارجية:

تعرفّ العولمة Globalization بأنها القوة بمفهومها الشامل الاقتصادي والسياسي والعسكري والإعلامي والثقافي، وهي نتاج داخلي محض للرأسمالية المعاصرة يتجسد في الشركات المتعددة الجنسية التي كان للولايات المتحدة الأمريكية حصة الأسد فيها<sup>(٣)</sup>.

هذا التعريف الذي يظهر فيه سعي الولايات المتحدة

(١) ثريا التركي، تغير القيم في العائلة العربية، مرجع سابق، ص ٢١.

(٢) النجار يحيل مشروع قانون حماية النساء من العنف الأسري، إلى مجلس الوزراء، موقع بوابة لبنان للتمية والمعرفة.

(٣) إكرام بنت كمال بن معوض المصري، عولمة المرأة المسلمة، مرجع سابق، ص ٢٨.

الأسرة إلى البحث عن مصادر جديدة للمال، وإلى زيادة ساعات العمل، مما أدى إلى التخفيف من قدرة الوالدين والأم خصوصاً على التوجيه والإعداد. كما أنه يقلل فرص اللقاء بين أفراد الأسرة، وينتج عن ذلك ضعف الروابط والأواصر بين أفراد الأسرة»<sup>(٣)</sup>.

### تعميم قيم العولمة عبر وسائل الإعلام:

يتيح الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة (الحاسوب، ألعاب الفيديو، الإنترنت، الهاتف النقال) لأفراد الأسرة العربية فرصاً عديدة للتعرف على العالم الخارجي، والتعلم، واكتساب خبرات جديدة، وحتى الدعوة إلى الله عز وجل. إلا أن هناك في المقابل عدداً من المخاطر والتحديات التي تفوق في خطورتها الإيجابيات المذكورة، ومن بينها :

أ- نقل ثقافة العنف والإثارة والجريمة عبر هذه الوسائل. فقد لخصت منظمة اليونسكو نتائج الأبحاث التي تتعلق بأثر وسائل الإعلام على الشباب، ومدى أثر أفلام العصابات على المراهقين، وخطرها الدائم على نفوس الشباب واليافعين، بالعبارة التالية: (إن أفلام العصابات هي السبب في العقد النفسية الخطيرة. ولا يرجع ذلك إلى أنها تحبذ الجرائم فحسب، وإنما إلى ما تورثه من اضطرابات أخلاقية تكمن وراء الجرائم المختلفة).

ب- نشر القيم الغربية عبر البرامج الإعلامية المستوردة. ومن هذه القيم المتعلقة بالأسرة قيم الفردية والاستهلاكية. وهذا الأمر لا يقتصر على البرامج المخصصة للكبار، بل إن بعض البرامج الكرتونية الموجهة للأطفال تعرض في منتجاتها بعض هذه القيم. وعلى سبيل المثال؛ فإن أبطال برامج «والت

كان من نتائج تحول العالم إلى سوق استهلاكية كبيرة لتصريف المنتجات الغربية. أثره على الأسرة العربية والمسلمة التي كان لتأثرها بهذه الفلسفة دوره في بروز قيم جديدة، وعلى رأسها قيمتان: «قيمة الرغبة الجامحة في الاستكثار من المال، وتقييم كل شيء على أساس (قيمه) المادية، وهي رغبة لا سقف لها، ولا حدّ يحدّها».

إضافة إلى ذلك استعانت هذه المنظمة، من أجل ضمان نجاح مهمتها، بالحركات النسائية المحلية الداعية إلى تحرير المرأة، والتي كان لها دور في تحويل العلاقة بين الرجل والمرأة إلى علاقة تصادمية، وذلك عبر تسليط الأضواء على قضية المرأة بشكل منفصل عن قضايا الأسرة، وعبر الدعوة إلى «التخلص من أعباء الأسرة، بدعوى أن النظام الأسري ضد طباع البشر، وأن القيود الاجتماعية هي التي فرضته في إطار الضغوط المستمرة من جانب الرجل لاستعباد المرأة والسيطرة عليها، وتكبيها بأعباء رعاية الأطفال والواجبات المنزلية»<sup>(١)</sup>.

### نشر القيم المادية الاستهلاكية:

لقد كان من نتائج تحول العالم إلى سوق استهلاكية كبيرة لتصريف المنتجات الغربية، أثره على الأسرة العربية والمسلمة التي كان لتأثرها بهذه الفلسفة دوره في بروز قيم جديدة، وعلى رأسها قيمتان: «قيمة الرغبة الجامحة في الاستكثار من المال، وتقييم كل شيء على أساس (قيمه) المادية، وهي رغبة لا سقف لها، ولا حدّ يحدّها. والقيمة الثانية هي قيمة المنافسة التي تتحول إلى صراع، واستعداد عقلي ونفسي لاستبعاد الآخر وتصفية وجوده»<sup>(٢)</sup>.

وكان من أبرز نتائج انتشار هذه القيم، غلبة الاعتبارات المادية عند الإقدام على الزواج، وأثناء اختيار الزوج أو الزوجة. إضافة إلى انتشار ظاهرة العزوف عن الزواج، هرباً من التزامات ومسئوليات الزواج. وكذلك كان من بين هذه النتائج «سعي أفراد

(١) مازن بن صالح مطبقاني، الغرب من الداخل، الأسرة في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة، مرجع سابق، ص ١٢.

(٢) أسعد السحمراني، الأسرة العربية والتحديات الفكرية، مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٩.

الغربية في التغلغل إلى مجتمعاتنا الإسلامية هو جهل كثير من أبناء الإسلام بالأحكام الشرعية، وخاصة تلك التي تتعلق بالأسرة وبالعلاقات الزوجية، مما سهّل الطريق أمام الغربيين وأتباعهم من الداخل في بث دعواهم الهدامة، ومن بين هذه الأمور التي **تحدث ما يلي:**

١- سوء فهم الدين ومقاصده الشرعية فيما يتعلق بالعلاقة الزوجية، واستغلال هذا الدين من أجل تحقيق بعض المآرب الشخصية. ومنها حرمان المرأة من حقوقها التي ضمنها لها الإسلام، وبخاصة فيما يتعلق بموافقته على العريس، وبالطلاق والخلع، والتفريق، والإرث، وممارسة سلطة القوامة التي كثيراً ما تُستخدم كوسيلة للاستبداد وممارسة العنف والظلم تجاه المرأة خاصة والأسرة عامة.

٢- جمود قوانين الأسرة عن فهم متطلبات التطور الاجتماعي، إضافة إلى أن بعض الممارسات القضائية السيئة والمنحازة في كثير من الأحيان لصالح الرجل؛ جعلت دعاة تحرير المرأة من الداخل والخارج يستغلون هذا الواقع من أجل شن هجماتهم ضد الأسرة في المجتمعات الإسلامية متهمين «الإسلام بإذلال المرأة، وإنكار حقوقها الإنسانية في الزواج والإرث والشهادة، مما يشعر المرأة بالظلم والقهر والكبت والاضطهاد».<sup>(٤)</sup>

٣- انتشار بعض الأعراف الموروثة الخاطئة البعيدة عن ثوابت الشرع، منها التمييز بين الذكر والأنثى، وحرمان النساء من الإرث، وحبس المرأة عن الزواج إلا من أحد أقاربها، وحرمان المرأة من الزواج من غير طبقتها، والنظرة الدونية إلى المرأة المطلقة وإلى المرأة بشكل عام باعتبارها «ناقصة عقل ودين، ومن ثم فلا يمكن الاعتماد عليها فيما يحتاج إلى أعمال العقل والفكر».<sup>(٥)</sup>

(٤) محمد فاروق النبهان، أثر القيم الدينية في استقرار الأسرة، من كتاب أزمنة القيم ودور الأسرة ص ٢١١-٢١٢.

(٥) أمة السلام أحمد رجاء، المرأة بين ثوابت الإسلام وأعراف المجتمعات، من كتاب مؤتمر المرأة العربية في مواجهة التحديات، ص ٤٢-٤٣.

ديزني» لا يتزوجون، ولكن يقومون بعلاقات حب حرة، فميكي ماوس يحب ميمي، ولكنه لا يتزوجها أبداً، وعم ذهب لا زوجة له، وعم بندق لا زوجة له، وكذلك عبقرينو وبطوط، ففكرة الأسرة غير موجودة في كل هذا الفيض من الإنتاج الذي يغزو العالم بأسره».<sup>(١)</sup>

ج- إضعاف التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة، وميل أفرادها، وخاصة الأطفال والمراهقين إلى العزلة عن بقية أفراد الأسرة. لقد أدت هذه الوسائل «بالإنسان لأن يتواجد جسدياً في مكان وفكرياً وعاطفياً واجتماعياً في مكان آخر. لقد فصلت الحيز المادي للإنسان عن الحيز الخاص بالمشاعر».<sup>(٢)</sup>

د- نقل المشكلات الأسرية المنتشرة في الغرب عبر الأقمار الاصطناعية والقنوات الفضائية، الأمر الذي يؤثر على نظرة الطفل لمعنى الأسرة، ولمفهومها الحقيقي في كيان المجتمع والأمة، وكذلك يشوش ذهنه بالصور الزائفة لتلك المجتمعات المتحررة: من اختلاط دون ضوابط شرعية، ومعايشة محرمة، وشذوذ جنسي، وعادات غريبة دخيلة، ومفاهيم معكوسة مغالط فيها.<sup>(٣)</sup>

هـ- نسخ كثير من البرامج الغربية إلى العربية، مع ما فيها من مساوئ. ومن هذه البرامج ما يعرف ببرامج تلفزيون الواقع، مثل برنامج ستار أكاديمي الذي يجمع بين الشباب والشابات في منزل واحد لمدة تزيد عن أربعة أشهر، مع ما يحدث في داخل هذا المنزل من اختلاط وإباحية، وما إلى ذلك من تصرفات تنقل مباشرة على الهواء.

## ثانياً: العوامل الداخلية:

إن من بين العوامل التي ساهمت في نجاح القوى

(١) نجلاء القليوبي، الإعلام والأسرة، دراسة قدمت في الملتقى الدوري الثاني للمفكرات المسلمات في طهران، موقع الاتحاد النسائي الإسلامي العالمي، ص ٨.

(٢) نايف كريم، متغيرات التكنولوجيا ووسائل الاتصال، مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات، ص ١٥٦.

(٣) منير سعد الدين، التناقض في تربية الطفل بين الأسرة ووسائل الإعلام، مؤتمر الأسرة العربية.. ص ١٨٤.

### ثالثًا : الوسائل الكفيلة بتحسين الأسرة المسلمة:

إن ما ورد سابقاً من مخاطر تهدد قيم الأسرة المسلمة؛ نتيجة تداخلات العوامل الخارجية والداخلية؛ لا يعني بحال من الأحوال استيراد الحلول البعيدة عن قيم وتقاليد المجتمع، بل إن إصلاح أوضاع الأسرة المسلمة يكون من خلال الشريعة الإسلامية التي سمحت لهذه الأسرة بالوجود، فالدين هو الذي يحدد لأفراد الأسرة حقوقهم وواجباتهم والأدوار المنوطة بهم.

من هنا فإن أي إصلاح لأي خلل يطرأ على هذه الأسرة؛ ينبغي أن يتم في إطار مرجعيتها الأولى أي الإسلام، وبالتعاون بين الأفراد المكونين للأسرة، وبين مؤسسات المجتمع كلها. فلهذا المجتمع بأجهزته المتعددة أدوار عديدة في نجاح الأسرة، لا تقل أهمية عن دور الأسرة نفسها. بل ربما تتجاوزها أحياناً؛ نظراً لتعدد الإمكانيات التي يمتلكها المجتمع، وقد لا تملكها الأسرة. وكون الفرد لا يعيش وحيداً، بل هو ابن مجتمعه وابن بيئته، مما يجعل التأثير عبر المحاكاة والتقليد أمراً كثير الفائدة.

#### ١- دور الأفراد في التمسك بالقيم الإسلامية:

يتحدد دور الإنسان في الحفاظ على كيان الأسرة بدءاً بمسئوليته الفردية التي حددها له الإسلام من ناحية تقويم نفسه وحفظ جوارحه من ارتكاب السيئات والمعاصي، وهذه المسؤولية حددها الله عز وجل بقوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقد بيّنها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»<sup>(١)</sup>. ووصولاً لمسئوليته تجاه أهله، فهو المكلف بالإنفاق عليهم والعطف عليهم ورعاية شؤونهم، وهو

يُحاسب على إهماله لهذه المسؤولية، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»<sup>(٢)</sup>.

وهذه المسؤولية تستوجب أن يراعي كل من الرجل والمرأة حقوق الله في التعامل مع بعضهم، ومع باقي أفراد الأسرة، وأن يقوموا بواجباتهم في تربية أبنائهم التربية الإيمانية التي تقيهم، وتحصنهم داخلياً من أية مغريات خارجية يمكن أن يتعرضوا لها.

ولا يجب أن تقتصر التربية الإيمانية على جانب العبادات وتأدية الشعائر فقط، بل يدخل في هذه التربية زرع القيم والأخلاق والفضائل، وعلى رأسها قيم التكافل والتعاون والعدالة، وما إلى ذلك من قيم أسرية.

وتأتي أهمية التركيز على دور الأفراد في التمسك بالقيم الأسرية، نتيجة للدور الذي يوليه نظام العلمنة الغربي لهؤلاء الأفراد؛ حيث إنه لا ينظر إلى الأسرة على أنها كيان خاص له واجبات على الأفراد المنتمين له، بل إنه يتجاهل دور الأسرة وحقوقها ليركز على أدوار الأفراد وحقوقهم، ويتم تحديد حقوق كل طرف من قبل القانون، الذي يصبح هو الحامي لحقوق كل طرف، ولينتهي بذلك الدور الجماعي للأسرة، ولتنتهي الشخصية الاجتماعية الاعتبارية للأسرة.<sup>(٣)</sup>

#### ٢- دور الأسرة في التحسين الداخلي:

تقوم الأسرة المسلمة بدور كبير في الحفاظ على الهوية الإسلامية، وحماية أبنائها من الاغتراب الثقافي والاجتماعي الذي بدأ يتسلل إليها بقصد أحياناً، وبغير قصد أحياناً أخرى.

ومن الأمور الإيجابية المهمة التي يمكن أن يكون للأسرة دور كبير فيها، هو تنشئة الأبناء على القيم الإسلامية، وتعزيز انتمائهم للغتهم ودينهم وثقافتهم وتاريخهم؛ ليأخذوا من هذا الانتماء منطلقاً لتقييم

(٢) رواه أبو داود ١٦٩٢ وحسنه الألباني.

(٣) رفيق حبيب، الأسرة المستهدفة الأول للعلمنة، موقع إخوان أون لاين.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم ٢٤١٧.

تظهر في كثير من الدول العربية التي أخذت تعدل من قوانينها الداخلية، تماشياً مع الاتفاقيات الدولية التي وقّعت عليها.

٢- أجهزة التعليم بمراحلها كافة؛ حيث ينبغي أن تشمل المناهج المقترحة على تبيان لقيمة الأسرة، «ومكانة المرأة في الإسلام، والمفهوم الشرعي للعلاقة بين الرجل والمرأة، والحقوق الزوجية، والوسائل الفاعلة في تربية الأولاد، وبيان الأفكار المتضاربة مع الفطرة. ويشمل هذا المنهج أيضاً: عرضاً تاريخياً للجهود الدولية في إفساد المرأة والأسرة المسلمة، وعولمة الحياة الاجتماعية عموماً، عن طريق المؤتمرات العالمية، وبيان أهدافها الخبيثة الحالية والمستقبلية»<sup>(١)</sup>.

٣- أجهزة الإعلام التي حلت مكان الأم والأب في التربية، وبات لها تأثير كبير على الأطفال، خاصة مع سرعة الاكتشافات العلمية التي ساهمت في وجود هوة علمية وثقافية بين الأبناء والآباء في هذه المجالات، حتى

أصبح الولد هو الذي يعلم أهله بدل أن يكون العكس، وكذلك ساهمت هذه الأدوات المستحدثة من تلفزيون وفيديو، وألعاب حاسوب، وإنترنت، في زيادة الهوة الاجتماعية بين الطرفين، حتى إن الدكتور أحمد عكاشة رئيس جمعية الصحة النفسية العالمية نقل واقع الأطفال اليوم مع هذه التكنولوجيات الحديثة، فقال: «أتحدى أن يمضي أيّ منا أكثر من نصف ساعة مع ابنه أو ابنته في الحديث بعيداً عن وسائل الاتصال والترفيه الحديثة وأهمها التلفزيون»<sup>(٢)</sup>.

وإذا أخذ بعين الاعتبار المواد الفاسدة والهابطة التي

كل ما هو وافد من الغرب، وعلى رأسه ما يعرض في وسائل الاتصال من قيم تشجّع على الاستهلاك والعنف والفردية.

وكذلك فإن للأسرة دور مهم في تنمية مشاعر أفرادها في إطار من التوافق والانسجام، وعدم تحويل العلاقة بينهم إلى صراع وصدام، بل إلى تكافل وتراحم وتكامل في إطار المرجعية الإسلامية التي حفظت لكل منهم حقوقه وحددت واجباته.

### ٣- دور الدول ومؤسسات المجتمع في كبح جماح التغريب:

يحتاج أمر المحافظة على قيم الأسرة المسلمة إلى تضافر جهود قوى المجتمع المتعددة من أجل وضع

الخطط والاستراتيجيات البعيدة الأمد التي تضمن حماية مؤسسة الأسرة من الاختراق، ومن هذه المؤسسات التي لها دور فعال ما يلي:

١- الدولة ومؤسساتها الحكومية التي لها دور كبير في حماية الأسرة المسلمة. وذلك عبر عدم سن القوانين المخالفة لطبيعتها وأصل وجودها، وعلى رأس هذه القوانين تلك التي تدعو إليها المؤتمرات الدولية، مثل إباحة الإجهاض، ومنع الزواج المبكر، ورفع سن الزواج، وما إلى ذلك من مطالب تجاهر بها الحركات النسائية ومن وراءها من جهات دولية.

وتأتي أهمية الانتباه لخطورة هذا الأمر مع استخدام الجهات الدولية للترغيب والترهيب، من أجل إرغام حكومات هذه الدول على التوقيع على اتفاقياتها، وتعديل قوانينها الداخلية حتى تتناسب مع التوجهات الدولية، حتى ولو كانت هذه التوجهات تتعارض مع الشرائع والأعراف والتقاليد والمبادئ الأخلاقية التي تؤمن بها هذه الدول. علماً بأن بذور هذا التغيير بدأت

(١) إكرام بنت كمال بن معوض المصري، عولمة المرأة المسلمة، مرجع سابق، ص ٣٨٥.

(٢) نجلاء القليوبي، الإعلام والأسرة، مرجع سابق، ص ٩.

## الخاتمة:

إن التغيير في وظيفة الأسرة ومسئولياتها ومكوناتها التي ظهرت آثاره واضحة على الأسرة الغربية، بدأت للأسف تظهر على الأسرة المسلمة. ومن نماذجها: تخلي المرأة عن وظيفتها الأساسية وهي الأمومة، وتأخر سن الزواج، وغياب بعض المبادئ والقيم الأخلاقية التي كانت تحتكم إليها الأسرة المسلمة مثل قيم التعاون والرحمة والتعاقد والتعاون. وما إلى ذلك من قيم ساهمت في حفظ الأسرة المسلمة طوال القرون الماضية، في وجه التحديات الخارجية والداخلية التي كانت تواجهها.

إن موجة العولمة التي اكتسحت العالم بشكل كبير، وما تركته من أثر على القيم الأخلاقية والأسرية، يمكن ملاحظته عند الاطلاع على الجهود الضخمة التي تبذلها الولايات المتحدة من أجل خوض «حرب القيم». فقد خصصت هذه الدولة مبلغ ٢١ مليار دولار في عام ٢٠٠٥م، لوسائل الإعلام العربية ومؤسسات البحث؛ بهدف ضمان نجاح تبني المسلمين لقيم الغرب، «وقد أطلقوا على تلك المنظومة القيمية الجديدة اسم «الإسلام المعتدل»، وإنصافاً لهذه التسمية يمكن إطلاق «الإسلام المعتدل» عليها»<sup>(٢)</sup>.

إن واقع انهيار الأسرة الغربية أمر اعترف به عقلاء الغرب، فقال ألكسيس كاريل في مؤلفه الشهير «الإنسان ذلك المجهول»: «أصبح الرجل والمرأة على السواء، ومن الصعب أن نحدد جنسهما: لتداخل وظائفهما، وبسبب مساواة لم تحترم الاختلاف الجوهرية الذي أقره الرب في خلقه لكليهما»<sup>(٤)</sup>.

كما أن هذا الواقع هو الذي دفع بآخرين إلى تحذير باقي المجتمعات من أن يصيبها ما أصاب المجتمعات الغربية. وفي هذا المجال حذرت الأمريكية «دالي

تُبث عبر هذه الوسائل، والتي يتلقاها الأطفال عادة بالقبول؛ لعدم وجود ملكة النقد والتحليل لديهم، يمكن عندئذ إدراك الدور الكبير المنوط بالإعلام الإسلامي من أجل العمل على إنتاج الأفلام والمسلسلات والبرامج السينمائية والإذاعية والتلفزيونية الهادفة التي تتسجم ومبادئ ديننا الحنيف من جهة، وكذلك العمل على كشف زيف الغرب وأنظمتها الإعلامية المعادية والمُضلة أمام الشعوب الإسلامية المستضعفة من جهة أخرى.<sup>(١)</sup>

٤- مؤسسات المجتمع بأنواعها كافة: الدعوية والاجتماعية والثقافية، التي يقع على عاتقها، وغياب الدور الفاعل للدول والحكومات في بعض الأحيان، مهمة الحفاظ على الأسرة وقيمها. ومن بين النشاطات التي يمكن أن تقوم بها هذه المؤسسات: «التشجيع على الزواج وتيسيره، التوعية بالأحكام الشرعية المتعلقة بالأسرة وبالدراسات الاجتماعية والنفسية المتعلقة بها، رعاية الأمومة والطفولة والمسنين والزوجات في الخلافات الزوجية، ومشكلات الشباب مع الآباء والأمهات، إقامة مجالس الصلح بين أفراد الأسرة، العناية بدور الحضانة والمدارس ووسائل الإعلام والمساجد التي تمثل التربية الخارجية التي تشكل أفراد الأسرة من داخل نفوسهم»<sup>(٣)</sup>.

كما أن لهذه المؤسسات دوراً كبيراً في التعريف والتصدي ومواجهة وبيان الأهداف الحقيقية غير المعلنة التي ترمي إليها بعض المؤتمرات الدولية، والتعاون معاً من أجل فضح تلك الأهداف، وبيان شناعة وخبث تلك المقررات، والوقوف في وجه أي تغيير أو تعديل في القوانين المحلية وقوانين الأحوال الشخصية، لا يتناسب مع توجهات الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بأحكام الأسرة والمرأة والطفل.

(٢) الد زروان، قيم الغرب كخيار في مواجهة أفكار الإسلام، ص ٣.  
(٤) عفاف عنبية، الأسرة الغربية بين الثابت والمتغير في القوانين الوضعية، مرجع سابق، ص ٧.

(١) فائزة النوري، مخاطر إعلامية تواجه الناشئة المسلمة، ص ٣.  
(٢) عبد الله بن وكيل الشيخ، الأسرة المسلمة وصيانتها من أخطار العولمة، ملحق مجلة البيان عدد ٢٧١، ص ٣١.

أدلياري»، رئيسة جمعية الأمهات الصغيرات، المسلمين من الانزلاق وراء الدعوات الهدامة التي تروج لها منظمة الأمم المتحدة قائلة: «لقد دمروا المجتمع الأمريكي، وجاءوا الآن بأفكارهم للمجتمعات الإسلامية حتى يدمروها ويدمروا المرأة ودورها فيها».<sup>(١)</sup>

(١) احمد منصور، سقوط الحضارة الغربية، مرجع سابق، ص ٦٢.



## معلومات إضافية

## الأمم المتحدة والمؤتمرات الخاصة بالمرأة:

عقدت الأمم المتحدة أول مؤتمر عالمي خاص بالمرأة وهو: (مؤتمر مكسيكو لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلام)، وذلك في عام ١٩٧٥م في المكسيك؛ حيث حضرته ١٢٣ دولة، واعتمد فيه أول خطة عالمية متعلقة بوضع المرأة على المستوى الحكومي وغير الحكومي في المجالات السياسية والاجتماعية والتدريب والعمل على حماية الأسرة.

كما اعتمدت خطة العمل العالمية لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلام، للأعوام (١٩٧٦ - ١٩٨٥م).

في عام ١٩٧٩م عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة مؤتمراً تحت شعار: (القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة)، وخرج المؤتمر باتفاقية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة.

وجاءت هذه الاتفاقية لأول مرة بصيغة ملزمة قانونياً للدول التي توافق عليها، إما بتصديقها أو بالانضمام إليها. وقد بلغ عدد الدول التي انضمت إلى هذه الاتفاقية مائة وثلاث وثلاثون دولة، إلى ما قبل مؤتمر بكين عام ١٩٩٥م.

في عام ١٩٨٠م عقدت الأمم المتحدة (المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلام) في (كوبنهاجن) بالدانمارك وهو المؤتمر الثاني الخاص بالمرأة؛ وذلك لاستعراض وتقييم التقدم المحرز في تنفيذ توصيات المؤتمر العالمي الأول للسنة الدولية للمرأة، ولتعديل البرامج المتعلقة بالنصف الثاني من العقد الأممي للمرأة.

في عام ١٩٨٥م عقد (المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلام) في (نيروبي) وهو المؤتمر الثالث الخاص بالمرأة والذي عرف باسم: (استراتيجيات نيروبي المرتقبة للنهوض بالمرأة)، وذلك من عام ١٩٨٦م حتى عام ٢٠٠٠م، وقد شارك فيه سبع وخمسون ومائة دولة.

في عام ١٩٩٥م عقدت الأمم المتحدة (المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة) في (بكين)، وقد دعت فيه إلى مضاعفة الجهود والإجراءات الرامية إلى تحقيق أهداف استراتيجيات نيروبي التطلعية للنهوض بالمرأة بنهاية القرن الحالي.

ويعتبر هذا المؤتمر متميزاً عن المؤتمرات الأخرى التي تبنتها الأمم المتحدة؛ حيث دعت فيه بصراحة وبوضوح إلى العديد من الأمور التي فيها مخالفة للشريعة الإسلامية، بل فيها مخالفة للفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، مثل:

الدعوة إلى الحرية والمساواة - بمفهومها المخالف للإسلام- والقضاء التام على أي فوارق بين الرجل والمرأة، دون النظر فيما قررت الشرائع السماوية، واقتضته الفطرة، وحتمته طبيعة المرأة وتكوينها.

الدعوة إلى فتح باب العلاقات الجنسية المحرمة شرعاً؛ ومن ذلك:

السماح بحرية الجنس، والتفجير من الزواج المبكر، والعمل على نشر وسائل منع الحمل، والحد من خصوبة الرجال، وتحديد النسل، والسماح بالإجهاض المأمون، والتركيز على التعليم المختلط بين الجنسين وتطويره، وكذلك التركيز على تقديم الثقافة الجنسية للجنسين في مبكرة، وتسخير الإعلام لتحقيق هذه الأهداف. كما أن في هذا المؤتمر إعلاناً للإباحية، وسلباً لقوامة الإسلام على العباد، وسلباً لولاية الآباء على الأبناء، وقوامة الرجال على النساء.

### مؤتمرات الأمم المتحدة الخاصة بالسكان والتي ناقشت قضايا متعلقة بالمرأة:

بالإضافة إلى هذه المؤتمرات الخاصة بالمرأة فهناك مؤتمرات أقامتها الأمم المتحدة خاصة بالسكان، إلا أنها ناقشت في وثائقها قضايا متعلقة بالمرأة وبالعقد الأممي الخاص بالمرأة، وهي:

١- (المؤتمر العالمي الأول للسكان) في رومانيا عام ١٩٧٤م.

٢- (المؤتمر الدولي المعني بالسكان) في المكسيك عام ١٩٨٤م.

٣- (المؤتمر الدولي للسكان والتنمية) في القاهرة عام ١٩٩٤م، وقد نوقشت في هذا المؤتمر قضايا شبيهة تماماً بالقضايا التي سبق ذكرها في المؤتمر الرابع للمرأة ببيكين، ويعد هذا المؤتمر من المؤتمرات التي أثارته وثيقته ضجة واسعة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي؛ بسبب مخالفتها للشرائع السماوية وللفضيلة السليمة.

### مؤتمرات أخرى للأمم المتحدة نوقشت فيها بعض قضايا المرأة:

١- (المؤتمر العالمي لتوفير التعليم للجميع) المنعقد في (جومتان - تايلاند) عام ١٩٩٠م.

٢- (مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل) المنعقد في (نيويورك) عام ١٩٩٠م الذي أكد فيه ما ورد في اتفاقية حقوق الطفل التي اعتمدها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٨٩م، ومن ذلك: حق الطفل في حرية الفكر والوجدان والدين، والدعوة إلى سلب ولاية الآباء على الأبناء.

٣- (المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية) المنعقد في (ريودي جانيرو البرازيل) عام ١٩٩٢م الذي أشير فيه إلى حقوق النساء في التحكم في قدرتهن على الإنجاب، والدعوة إلى إنشاء مرافق صحية وقائية وعلاجية للرعاية الصحية التناسلية تكون مأمونة وفعالة، وكذلك الدعوة إلى تحديد النسل.

٤- (المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان) في النمسا، عام ١٩٩٣م، وطالب هذا المؤتمر بالتصديق العالمي من قبل جميع الدول على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة بحلول عام ٢٠٠٠م.

٥- (إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن القضاء على العنف ضد النساء)، وذلك في عام ١٩٩٣م.

٦- (مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية) الذي أقيم في كوبنهاجن عام ١٩٩٥م الذي تم فيه الإقرار بأشكال الأسرة المختلفة، والدعوة إلى المساواة بين المرأة والرجل، ومن ذلك إسقاط قوامة الرجل على المرأة داخل الأسرة، ودعوة الرجل لتحمل الأعباء المنزلية، ودعوة المرأة للخروج للمساهمة في سوق العمل، وكذلك إزالة

القيود المفروضة على المرأة في وراثة الممتلكات.

٧- مؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية) (الموئل الثاني) الذي انعقد في (تركيا) عام ١٩٩٦م.

٨- مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة عام ٢٠٠٠م المساواة والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين) الذي انعقد في (نيويورك)، وقد تضمنت وثيقة هذا المؤتمر التحضيرية ما يلي:

- الدعوة إلى الحرية الجنسية والإباحية للمراهقين والمراهقات والتبكير بها مع تأخير سن الزواج، وتشجيع جميع أنواع العلاقات الجنسية خارج إطار الأسرة الشرعية (رجل وامرأة) ، وتهميش دور الزواج في بناء الأسرة.

- إباحة الإجهاض.

- تكريس المفهوم الغربي للأسرة، وأنها تتكون من شخصين يمكن أن يكونا من نوع واحد (رجل + رجل، أو امرأة + امرأة) .

- تشجيع المرأة على رفض الأعمال المنزلية، بحجة أنها أعمال ليست ذات أجر.

- المطالبة بإنشاء محاكم أسرية من أجل محاكمة الزوج بتهمة اغتصاب زوجته.

- إباحة الشذوذ الجنسي (الواط والسحاق)، والدعوة إلى مراجعة ونقض القوانين التي تعتبر الشذوذ الجنسي جريمة.

- فرض مفهوم المساواة الشكلي المطلق، والتماثل التام بين الرجل والمرأة في كل شيء بما في ذلك الواجبات: كالعمل، وحضانة الأطفال، والأعمال المنزلية، وفي الحقوق: كالميراث.

- المطالبة بإلغاء التحفظات التي أبدتها بعض الدول الإسلامية على وثيقة مؤتمر بكين ١٩٩٥م.

**المصدر:**

العولة الاجتماعية للمرأة والأسرة، د. فؤاد بن عبدالكريم، موقع لها أون لاين:

<http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&task=view&id=6063>

# النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية.. قراءة في المنطلقات الفكرية



أحمد عمرو

مدير وحدة الحركات الإسلامية بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

## ملخص الدراسة

شكلت قضية المرأة -وما زالت- وسيلة من وسائل الحرب على الإسلام، تلونت فيها تلك القضية بموجات الاستعمار التي اجتاحت العالم الإسلامي والعربي، فبعد الاستقلال من نير الاحتلال الغربي العسكري وظهور الموجة الثانية من الاستعمار، وهو ما اصطلح على تسميته بالغزو الفكري أو الثقافي تعبيراً عن تلك الحالة من التبعية الفكرية والثقافية للغرب؛ ظهرت الحركة النسوية بمفهومها التحرري من كل قيم والمفاهيم الإسلامية كأنموذج صارخ لعملية الغزو الفكري؛ حيث انصب اهتمام النسوية حول قضايا المساواة الاجتماعية والقانونية في التعليم والتوظيف وقوانين الزواج.

كان الفكر النسوي وقتها صدى لما توارثته الذاكرة الجمعية والفردية في أوروبا من أفكار سلبية عن المرأة من خلال صورتها في التراث اليهودي والمسيحي- المرأة أصل الخطيئة-، وصورة المرأة في أعمال ومواقف العديد من المفكرين والفلاسفة الغربيين تجاه المرأة من (أفلاطون) و(ديكارت) و(كانط) وغيرهم.

أعقب ذلك موجة جديدة من الحرب على الإسلام، وهي حرب تستهدف تطويع الإسلام وقيمه ومفاهيمه بحيث يتلاءم ومفاهيم وقيم الحضارة الغربية، بدأت هذه الموجة بشكل جلي بعد وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م؛ حيث أدارت النخبة السياسية ووسائل الإعلام الغربية بعدها حرباً على الإسلام انصبت على محاولة التدخل في البنى العقديّة والفكرية والقيمية، من أجل تغييرها وتطويعها للمفاهيم والأهداف الغربية؛ فظهر في الغرب ما يعرف بالنسوية الإسلامية، والتي ترى أن الرسالة الروحية للإسلام قد طُعنّت. فبدلاً من المساواة التي كان الدين ينادي بها، حوّل النظام الذكوري، الأبوي، هذه الرسالة إلى أداة لاضطهاد النساء. وبينما دعا الإسلام إلى تحرر النساء قامت «التقاليد الأبوية التمييزية» بمصادرتة. ودعت إلى قراءة جديدة للفقهاء من منظور نسوي وتفسير جديد للقرآن أيضاً من وجهة نظر نسوية.

وتحاول الدراسة تسليط الضوء على الموجات المختلفة من النسوية في محاولة لتحذير المسلمين من سمومها، والتي تحاول أن تدخل على خط تغيير القيم الإسلامية حتى لو من تحت عباءة الإسلام نفسه.

ففكرة قراءة الإسلام من وجهة نظر عرقية أو إثنية أو نوعية؛ تتناقض مع نظرة الإسلام الكلية. فالرؤية الإسلامية تراعي الطبيعة التي فطر الله خلقه عليها، أيّاً كان خلقه سبحانه مع اختلاف أجناسهم وعرقياتهم وألوانهم سواء كانوا رجالاً أم نساءً.

# النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية.. قراءة في المنطلقات الفكرية



أحمد عمرو

مدير وحدة الحركات الإسلامية بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

لقد مرت معظم بلداننا الإسلامية بفترة ليست بالقصيرة من العهود الاستعمارية الغربية، كانت لها تأثيراتها ليس على صعيد العسكري أو المادي فقط، بل تجاوزت تلك التأثيرات إلى مجالات القيم والهوية الثقافية بتفرضاتها التاريخية واللغوية، ومجالات الاقتصاد والاجتماع. ثم بعد الاستقلال من نير الاحتلال الغربي العسكري ظهرت الموجة الثانية من الاستعمار، وهو ما اصطلح على تسميته بالغزو الفكري أو الثقافي؛ تعبيراً عن تلك الحالة من التبعية الفكرية والثقافية للغرب، رغم التخلص الظاهر من الوجود العسكري.

أعقب ذلك موجة ثالثة من الحرب على الإسلام، وهي حرب تستهدف تطويع الإسلام وقيمه ومفاهيمه بحيث يتلاءم ومفاهيم وقيم الحضارة الغربية، بدأت هذه الموجة بشكل جلي بعد وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م؛ حيث أدارت النخبة السياسية ووسائل الإعلام الغربية بعدها حرباً متعددة المستويات والأهداف والوسائل.

وإذا كان هدف هذه الحرب المعلن هو القضاء على «الإرهاب»، إلا أنها ومن الناحية الواقعية كانت حرباً مباشرة على الإسلام انصبت على محاولة التدخل في البنى العقديّة والفكرية والقيمية، من أجل تغييرها وتطويعها للمفاهيم والقيم والأهداف الغربية.

## الصورة تكرر الفكرة:

«أنا أصوم طبعاً، وهذا جزء من ديانتي؛ لأنني أريد أن أكون محترمة». كانت هذه هي إجابة سؤال وُجّه لريما الفقيه، طرحه عليها الصحفي نيراج واريكو، من موقع «فري برس» الأمريكي الإخباري، عبر الهاتف.

ريما فقيه، اللبنانية الأصل التي فازت بلقب ملكة جمال الولايات المتحدة وصف شقيقتها «ربيع» صيامها بأنه من باب الواجب الديني، ولا يتناقض مع مشاركتها بالمسابقة، «كما أن الصيام يُضفي على الإنسان جمالاً روحياً»<sup>(١)</sup>.

تلك المسابقة التي تتطلب أن تتعري المتسابقات فيها أمام فريق التحكيم بشكل شبه كامل.

(١) خبر على العربية نت بعنوان «اللبنانية الأصل ريما فقيه: أريد أن أكون محترمة».

الفرد المستقل عن أي مجموع أو كيان جماعي، «فالمواصفة الأساسية المطلوبة من الخطاب الإسلامي المعتمد غربياً، هو أن يجعل الإسلام ديناً فردياً، ليس له علاقة بالمجال العام، أو النظام العام، أو الدولة أو الدستور أو القانون. وبهذا يصبح الخطاب الإسلامي الجديد قابلاً للتعايش مع الهيمنة الغربية»<sup>(١)</sup>

إذا كانت هذه هي الوصفة الغربية الجديدة في حربه على الإسلام، فالسؤال الذي يطرح نفسه هو إلى أي مدى تلعب الحركة النسوية وتفرعاتها الفكرية والثقافية، دورها في تغيير القيم الإسلامية؟

وسنحاول الإجابة عن هذا السؤال من خلال عرض وصفي للمنطلقات الفكرية للحركة النسوية، من خلال موجات النسوية المختلفة، منتهين بالمحاولة الغربية بطرح ما يُعرف بنسوية منسوبة للإسلام، في محاولتهم لخلخلة القيم الإسلامية.

### النسوية.. موجات وتيارات:

يُعرف بعضهم النسوية بأنها «منظومة فكرية أو مسلكية مدافعة عن مصالح النساء، وداعية إلى توسيع حقوقهن» أما معجم ويبستر فيعرّفها على أنها «النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وتسعى كحركة سياسية إلى تحقيق حقوق المرأة واهتماماتها، وإلى إزالة التمييز الجنسي الذي تعاني منه المرأة، وتعرّف الكندية «لويز تزيان» النسوية بأنها «انتزاع وعي فردي في البداية، ومن ثم وعي جمعي تتبعه ثورة ضد موازين القوى الجنسية والتهميش الكامل للنساء في لحظات تاريخية معينة»<sup>(٢)</sup>

(١) دكتور رفيق حبيب: الإسلام الجزئي.. شعار إسلامي ومضمون علماني، موقع «إسلام أون لاين» ٠٨-٠٧-٢٠١٠ م:

[http://mdarik.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1277898721272&pagename=Zone-Arabic-MDarik/MDALayout](http://mdarik.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1277898721272&pagename=Zone-Arabic-MDarik/MDALayout)

(٢) نادية ليلي عيساوي، تيارات الحركة النسوية ومذاهبها، الحوار المتمدد - العدد: ٨٥ - ٣ / ٩ / ٢٠٠٢ م:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=1065>

هذا المشهد شديد الرمزية؛ حيث يجمع بين المتناقضات، يشير بدلالة مركزة إلى نموذج المسلم المتعايش مع الحضارة الغربية - بالمفهوم الغربي- بكل قيمها ومفاهيمها .

فعندما تقول ربما فقيه: إنها متمسكة بدينها، وتقوم بواجب الصوم الذي يزيد بها بهاءً وجمالاً، فمن الواجب أن نصدقها؛ لأننا في نهاية المطاف أمام مجرد صورة. وليس مطلوباً منا سبر أعماق تلك الصورة أو الكشف عن نواياها. وربما فقيه ليست بعيدة في قناعتها عن أفكار أمينة داوود ذات الأصول الإفريقية، والتي أصبحت الآن أمريكية، تلك السيدة التي دعت لإمامة المرأة للصلاة في المساجد، وأتمت فعلاً الصلاة منذ بضع سنوات في كنيسة سان جونز في واشنطن.

إذن فريما الفقيه تمثل الطبعة الجديدة من الإسلام الذي تريده أمريكا، الإسلام الجديد الذي تستطيع من خلاله المسلمة أن توائم في ضميرها، بين إسلامها وشبه عُريها أمام المصورين.

مثلها مثل أمينة داود والكثير من المحجبات اللاتي يتبرجن ويلبسن البنطلون الضيق. أو محجبات أخريات يخضن معارك رجالية في العمل أو السياسة.

والقضية هنا ليست قضية انحراف سلوكي يقع فيه بعض المسلمين، لكن القضية الأهم هو أن يدعى أن هذا الانحراف السلوكي لا يتناقض مع الإسلام، وأن بوسع المسلم أن يتماهى مع المجتمع الغربي ومفاهيمه، والتي تحترم الشذوذ، وتقّدر العري دون أن يفقد إسلامه أو حتى يشعر بتأنيب الضمير.

وليس المستهدف بالإسلام الجديد عقول المسلمين العاديين فقط، بل أيضاً هناك محاولة لاختراق الخطاب الدعوي الإسلامي نفسه، فالمتابع لواقع المواقف والأطروحات الغربية في تعاملها مع الإسلاميين يستطيع أن يرصد سعيها نحو تطوير خطاب إسلامي يكون مطابقاً للمواصفات الغربية، بأن يؤيد الديمقراطية الليبرالية بوصفها معياراً أعلى، ويؤيد قيم الحرية الفردية، وحقوق الإنسان

التي تقوم على العقل والمادة: فيربط العقل بالذكر ويربط المادة بالمرأة، مروراً بـ(كانط) الذي يصف المرأة بأنها ضعيفة في تكوينها ككل، وبخاصة في قدراتها العقلية، وفيلسوف الثورة الفرنسية (جان جاك روسو) الذي يقول: إن المرأة وُجدت من أجل الجنس، ومن أجل الإنجاب فقط. و(فرويد) رائد مدرسة التحليل النفسي، الذي يُرجع كل مشاكل المرأة إلى معاناتها من عقدة النقص تجاه العضو المذكور.<sup>(٢)</sup>

### الموجة النسوية الثانية:

ارتبط ظهور الموجة الثانية من النسوية بصدور كتاب كيت ميليت عن السياسات الجنسية (Kate Millett, Sexual Politics, 1970)؛ إلا أن العديد من الأفكار التي أُنشئت على الموجة الثانية من الحركة النسوية، وكذلك العديد من الأفكار التي سعت بعض النسويات لمواجهتها وتحديها، يمكن تتبع أصولها إلى:

- كتاب «أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» لفريدريك أنجلز<sup>(٣)</sup>، وكذلك دراساته هو

وماركس في هذا الإطار، التي تبرز بشكل واضح أن النظام الأبوي البطريركي الذي قام على سيطرة وتفوق واضطهاد الرجل للمرأة ليس من الصفات المميزة للطبيعة البشرية، وليست السمعة الوحيدة التي وسّمت المجتمعات منذ بدء الخليقة، بل إن البشرية عاشت العصر الأمومي، الذي كانت فيه القرابة تُحسب وفقاً لخط الأم، وكانت فيه الملكية جماعية،

(٢) د. مية الرحب، الموجات النسوية في الفكر النسوي الغربي، موقع مجلة الثرى الإلكترونية:

<http://www.thara-sy.com/thara/modules/news/article.php?storyid=1517>.

(٣) فريدريك أنجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، النص مترجم على موقع الحوار المتمدن - العدد: ٢٩٢٨ - ٢ / ٨ / ٢٠١٠م، الرابط التالي:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=197088>

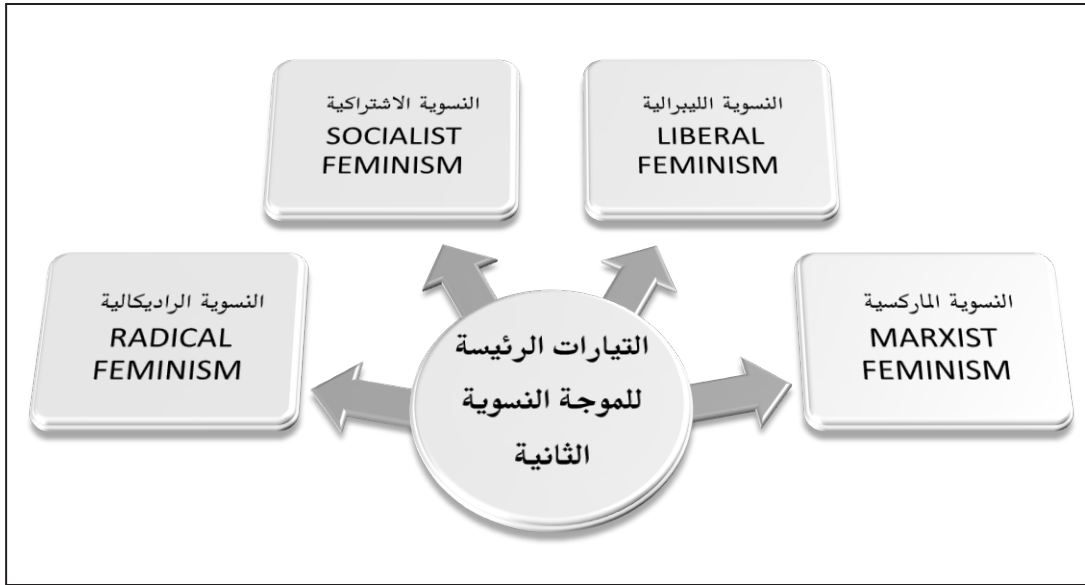
أما سارة جامبل فقد أوردت تعريفاً أكثر شمولية: حيث ترى أن النسوية مصطلح يشير إلى كل من يعتقد أن المرأة تأخذ مكانة أدنى من الرجل في المجتمعات التي تضع الرجال والنساء في تصانيف اقتصادية أو ثقافية مختلفة، وتصر النسوية على أن هذا الظلم ليس ثابتاً أو محتوماً، وأن المرأة تستطيع أن تغير النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي عن طريق العمل الجماعي.<sup>(١)</sup>

### الموجة النسوية الأولى:

انشغلت الموجة النسوية الأولى والتي ظهرت من أجل معالجة عدم المساواة الاجتماعية والقانونية التي كانت تعاني منها المرأة في القرن ١٩ في أوروبا، بقضايا التعليم والتوظيف وقوانين الزواج، ولم تكن الداعيات إليها يعتبرن أنفسهن نسويات أو يسمين أنفسهن بهذا الاسم؛ حيث انصبت مطالبهن على زيادة فرص الالتحاق بالوظائف العليا في المجتمع، وإقرار حق المرأة في الملكية الخاصة إلى جانب بعض التعديلات القانونية الأخرى التي أدخلت على حقوق حضانة الأطفال وحق الاقتراع.

تصدت مفكرات النسوية الأولى إلى ما توارثته الذاكرة الجمعية والفردية من أفكار سلبية عن المرأة من خلال صورة المرأة في التراث اليهودي والمسيحي- المرأة أصل الخطيئة-، وصورة المرأة في أعمال ومواقف العديد من المفكرين والفلاسفة الغربيين تجاه المرأة من (أفلاطون) الذي يصنّف المرأة في درجة دنيا مع العبيد والأشرار والمرضى، إلى الفلاسفة المتأخرين مثل (ديكارت) من خلال فلسفته الثنائية

(١) سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، المجلس الأعلى للثقافة، ص ٣٢٧.



انطلقت جميع الدراسات النسوية اللاحقة من هذه النقطة؛ لأن جميع الدراسات اللاحقة اعتبرت العصر الأمومي، الذي تلاه العصر البطريركي الأبوي هو من المسلمات التي لا تحتاج إلى نقاش.<sup>(1)</sup>

ثم انقسمت الحركة النسوية في هذه الموجة إلى تيارات ومناهج عدة، تشير أغلب الأبحاث إلى أربعة رئيسة منها هي:

#### 1- النسوية الماركسية MARXIST FEMINISM:

يعتبر نسويو هذا التيار أن قمع المرأة وقهرها بدأ مع ظهور الملكية الخاصة. فنقل الملكية بالإرث سبب مأسسة للعلاقات غير المتوازنة وتوزيعاً للمهام والأعمال على أساس من التمييز الجنسي. وقد شيدت الرأسمالية نظاماً للعمل يميز ما بين المجالين الخاص والعام: فللرجل العمل المنتج والمدفوع، وللمرأة الأعمال المنزلية المجانية غير المصنفة ضمن الإنتاج. واستندوا إلى اعتبار إنجلز أن قيام الرأسمالية والملكية الخاصة أكبر هزيمة للجنس النسائي.<sup>(2)</sup>

والمقولة الماركسية الشهيرة التي تتحدث عن هذا

فكل ما تملكه القبيلة مَلِك لجميع أفرادها، قبل أن يتم الانقلاب الكبير الذي سيطر فيه المجتمع الأبوي البطريركي على مقاليد الأمور بظهور الملكية الخاصة، وتم إسقاط الحق الأمومي، وتلك كانت الهزيمة التاريخية العالمية لجنس النساء؛ إذ ظهر شكل العائلة البطريركية، بشكل الزواج الأحادي، والذي كما يقول إنجلز كان أحاديًا للمرأة فقط، التي فرضت عليها قيود العفة، وفرضت عليها رقابة صارمة بلغت حدود حبسها في البيت، أو مراقبتها بشكل دائم كي يضمن الرجل أن من تلدهم هم أولاده، وأن ملكيته ستتقل لمن هم بالتأكيد من صلبه، وتدرجيًا تدنت قيمة المرأة داخل الأسرة لتتحول إلى وعاء لتأمين متعة الرجل ووسيلة لإنجاب الأولاد، ومن ثم عبدة للرجل، «وعليه لا يدخل الزواج الأحادي إطلاقاً في التاريخ بوصفه اتحادًا اختياريًا بين المرأة والرجل، ولا بوصفه الشكل الأعلى لهذا الاتحاد، بل بالعكس، فهو يظهر كاستعباد جنس من قبل جنس آخر». كما رأت النسويات أن عصر اضطهاد المرأة بدأ مترافقًا مع كافة أشكال قهر الإنسان لأخيه الإنسان، فالسيطرة الذكورية ارتبطت بسيطرة القوة، واستغلال الأقوى للأضعف، ذلك الاستغلال الذي تحول إلى سياسة ثابتة حكمت جميع المجتمعات البشرية، ولا زالت تحكمها حتى اليوم. وقد

(1) د. مية الرحبي، الموجات النسوية في الفكر النسوي الغربي، مصدر سابق.

(2) د. نادية ليلي عيسوي، تيارات الحركة النسوية ومذاهبها، مصدر سابق.



الملكيات الخاصة في التاريخ مع قمع المرأة، فتورث الملكييات الخاصة عمل على زج العلاقات الإنسانية ضمن مؤسسات اجتماعية، وعلى توزيع المهام اعتماداً على أساس التمييز الجنسي. فأضحى الرجل مالكا والمرأة تابعة مملوكة. ويرى هذا التيار أن نظام العمل الرأسمالي يعتمد على ثنائية الرجل العامل: المنتج، والمرأة: الأعمال المنزلية المجانية التي لا تعتبر من ضمن الإنتاج؛ حيث اعتمد ذلك التيار على مقولة «إنجلز» بأن قيام الرأسمالية والملكية الخاصة أكبر هزيمة للجنس النسائي<sup>(٣)</sup>.

تعتمد هذه النظرية على مبدأ أن المجتمع يتضمن بنيتين مسيطرتين، هما: النظام الرأسمالي والنظام الأبوي، وكلا النظامين يستغل النساء ويضطهدهن، وطالبت هذه النظرية بحرية الإنجاب، والمسئولية الوالدية المشتركة، وتطوير مختلف أشكال المشاركة بالإنتاج الاجتماعي، وتقويم العمل المنزلي اقتصادياً، والانتباه إلى الخصوصية المعرفية النسائية، وإعادة كتابة التاريخ وتقييم مساهمة النساء في صنع الحضارة، وربط الخاص بالعام<sup>(٤)</sup>.

#### ٤- النسوية الراديكالية: FEMINISM RADICAL

من الموضوعات التي كثيراً ما يهتم بها هذا الفرع من النسوية: تأثير النظام الأبوي على القمع الذي تتعرض له المرأة، فعلى العكس من حركة تحرير المرأة، تؤمن النسوية الراديكالية بأن السلطة الذكورية هي أصل البناء الاجتماعي لفكرة النوع (رجلاً أو امرأة)، وترى أن هذا النظام لا يمكن إصلاحه، ولذلك يجب القضاء عليه -لا على المستوى السياسي والقانوني وحسب- ولكن على المستوى الاجتماعي والثقافي أيضاً.

الوضع هي مقولة إنجلز في كتابه «أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة» عام ١٨٤٥م؛ حيث يرى إنجلز أن الأسرة البورجوازية تقوم على ركيزة مادية هي عدم المساواة بين الزوج والزوجة، وأن الزوجة في إطار الأسرة هي كالعاهرة التي لا تتقاضى أجراً، وأنها تتجرب الورثة الذين ستتول إليهم الملكية، ولا تحصل على شيء في مقابل ذلك سوى على المأكل والمشرب والمأوى، وانطلاقاً من هذا الموقف جاءت دعوة المانيفستو الشيوعي ١٨٤٨م إلى إلغاء الأسرة البورجوازية.

#### ٢- النسوية الليبرالية FEMINISM LIBERAL :

ينتسب هذا التيار إلى خط الثورة الفرنسية وامتداداته الفكرية، ويستند إلى مبادئ المساواة والحرية للمطالبة بحقوق للمرأة مساوية لحقوق الرجل في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية. ويتميز هذا التيار بإيمانه بقدرة النظام الرأسمالي على ملامسة الكمال والتكيف مع المتغيرات. ويعمل المنتمون إليه من أجل أن يوفر النظام القائم نفس الفرص والحقوق للنساء والرجال، من خلال التركيز على التربية وتغيير القوانين المميزة بين الجنسين وتكوين لوبيات الضغط وتغيير الذهنيات على المدى البعيد<sup>(١)</sup>.

وقد انتقدت النسوية الليبرالية انتقاداً شديداً من جانب من يعتقدون أنها لا تركز إلا على الجوانب السطحية للتحيز للرجل، وأنها لا تفعل شيئاً لتفكيك التراكيب الأيديولوجية العميقة التي تخضع النساء للرجال، كما هوجمت بسبب انحيازها لنساء الطبقة الوسطى البيضاء، وتجاهلها الاحتياجات الخاصة بالأقليات<sup>(٢)</sup>.

#### ٣- النسوية الاشتراكية FEMINISM SOCIALIST :

أما تيار النسوية الاشتراكية فيعتقد بارتباط ظهور

(١) المصدر السابق.

(٢) سارة جاميل النسوية وما بعد النسوية، مرجع سابق، ص ٣٩٤.

(٣) روزا ياسين حسن، الفكر النسوي ورؤاه المتباينة في محاولة تغيير العالم، موقع جريدة الثورة السياسية اليومية، ٢٩/٩/٢٠٠٩م:

http://thawra.alwehda.gov.sy/\_print\_veiw.asp?FileName=20345626720090929104138

(٤) د. مية الرحبي، الموجات النسوية في الفكر النسوي الغربي، مصدر سابق.

### الموجة النسوية الثالثة:

مصطلح يصف تجدد الاهتمام بالدعوة النسوية من جانب الجيل الشاب من النساء اللاتي لا يردن أن يوصفن بتسمية ما بعد النسوية، وتتميز الموجة النسوية الثالثة بالرغبة في معالجة صور الخلل الاقتصادي والعنصري إلى جانب «قضايا المرأة»، لم تحقق الموجة النسوية الثالثة الشهرة الواسعة، ولم تتجح حتى الآن في كسب التأييد الحماسي الذي تحقق للموجة النسوية الثانية في أوجها.

### قراءة في النظريات النسوية الجديدة:

تقول ساندر هاردنج في كتابها «سؤال العلم في النسوية»: «إن استبعاد المركزية الذكورية من العلم هو استبعاد للعنصرية والاستعمارية والرأسمالية، وإذا كان الكفاح ضد هذا بدا للكثيرين والكثيرات أهم من الكفاح النسوي ضد السيطرة الذكورية»، وتعلق الدكتور يمنى طريف الخولي أستاذة فلسفة العلوم ومناهج البحث في كلية الآداب جامعة القاهرة على عبارة هاردنج الأنفة قائلة: «يمكن اعتبار كاتبة هذه

السطور أول هؤلاء الكثيرين -أو بالأحرى الكثيرات- كنت أرى صراعنا مع الصهيونية والإمبريالية يجعل الانشغال بأي صراع آخر لغوًا، وبالتالي لم تكن الصراعات النسوية لتستوقفني ألبتة، حتى ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٦م، ووجدت الاهتمام المستجد بفلسفة علم النسوية، بدأت أتعرف عليها وأدرسها لأنبهر وأنا أرى نسويات الغرب يواجهن الاستعمارية الغربية بهذه البسالة الفلسفية. بدأ اشتباكي الحميم بفلسفة علم النسوية التي تضطلع دونًا عن كل فلسفات العلم بمواجهة الإمبريالية»<sup>(٢)</sup>

(٢) د. يمنى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم، موقع معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، ١٥ / ١٠ / ٢٠٠٨ م:

<http://www.alhadhariya.net/dataarch/dr-falsafiyah/index32.htm>

وترى بعض النسويات مثل تاي جريس أتكينسون في كتابها «أوديسة الأمازون» أن النسوية الليبرالية ليست عديمة الفائدة فحسب، ولكنها أسوأ من ذلك، وأن المواجهة من خلال إعلان الحرب ضد الرجال والمجتمع هي الطريق الوحيد لإحراز المكاسب في هذا الصدد. واستعاد هذا المذهب قول المفكرة والنسوية الفرنسية سيمون دو بوفوار: «لا تولد المرأة امرأة، ولكن المجتمع هو الذي يعلمها أن تكون امرأة» جاعلاً منه أبرز شعاراته.

وفي فترة السبعينيات رأى التيار النسوي أن التمييز بين الرجل والمرأة يتبلور بشكل أساسي في العلاقات الجنسية بينهما، ولمحاربة هذا التمييز ينبغي اجتثاث الجذر، وهو العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، وخلق علاقات مثلية يكون الطرفان فيها متساويين.

تقول: شولاميث فايرستون في كتابها جدلية الجنس: إن القضاء على الأدوار المرتبطة بالجنسين لن يتحقق إلا بالقضاء على الأدوار الثابتة التي يقوم بها الرجل والمرأة في عملية الإنجاب. ومن هنا فإن منع الحمل والتعقيم

والإجهاض، ثم التلقيح الصناعي منذ ذلك الحين كلها وسائل تساعد على تقليل التمييز البيولوجي، ومن ثم الحد من التمييز بين الجنسين في مجال السلطة.<sup>(١)</sup>

هكذا ركزت الموجة النسوية الثانية على الأطر الفلسفية، وهب وإن لاقت انتشارًا داخل المجتمعات الغربية إلا أنها لم تخطر بنفس القدر من القبول داخل المجتمعات الإسلامية إلا من بعض المظاهر السلوكية وهو الأمر الذي دفع بتلك الحركات النسوية للاندماج مع بعض التيارات الفكرية الأقوى من أجل إيجاد أرضية جديدة تستطيع من خلالها التغلغل داخل المجتمعات الإسلامية.

(١) سارة جاميل، النسوية وما بعد النسوية، مرجع سابق ص ٤٥٨.

(l'écologie) غايتها الدفاع عن البيئة ومقاومة التلوث. ونشأت هذه الحركات الإيكولوجية نتيجة الوعي بالمخاطر التي تعرّضت إليها البيئة في الحضارات المصنّعة. ثم تحوّلت هذه الحركات إلى جمعيات وأحزاب سياسيّة في أوروبا في ثمانينيّات القرن الماضي<sup>(٢)</sup>، وانتقلت منها إلى كثير من دول وبلاد العالم.

أول من صكّ مصطلح «النسوية البيئية» هي فرانسواز دوبون في كتابها النسوية أو الموت في عام ١٩٧٤م، ويتفق أنصار هذا التيار على وجود روابط مهمة بين السيطرة على النساء والسيطرة على الطبيعة، وعلى أن فهم هذه الروابط ضروري للمذهب النسوي، والغرض من وجود التيار النسوي المهتم بالبيئة هو إبراز وجود السيطرة المزدوجة على المرأة والطبيعة، وتوضيح طرق هذه السيطرة، وإجراء التحليلات والممارسات التصحيحية متى كان ذلك ضروريًا.<sup>(٣)</sup>

وقد بدأت الايكوفنزم كحركة اجتماعية معنية بقضايا اضطهاد المرأة والطبيعة في آن، لتتحول إثر ذلك الربط الموضوعي بين الحركتين إلى حركة تحررية كبرى، كما بات منظرها أميل إلى استدماج وسائط الجنسانية بالحاضن الطبيعي قيمة مهيمنة، بما في ذلك حقوق الحيوان، وهكذا دخل البيئيون النسويون في قضايا التمييز العنصري والاجتماعي، حتى صارت الحركة تعني مناهضة كل ما يشي بالتفرقة أو الاضطهاد العرقي أو الطبقي أو البيئي، وعليه تم تأوين ذلك المنطلق الحقوقي من التفكير المغرق في النسوية، وترحيله إلى آفاق الثقافة والفن واللغة والعلوم والدين.<sup>(٤)</sup>

(٢) مصطفى القلمي، البيئة والأيدولوجيا، موقع الأوان، ٢٠ / ١١ / ٢٠٠٩  
http://www.alawan.org/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A6%D8%A9.html

(٣) سارة جاميل، النسوية وما بعد النسوية، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

(٤) مصطلحات نسوية: الإيكولوجيا النسائية.. (المرأة أرض. الأرض امرأة)، شبكة النبا المعلوماتية، ٢٨/٦/٢٠٠٧م:

http://www.annabaa.org/nbanews/64/185.htm

وترى النسوية الجديدة أن هناك ثلاث مقهورات «المرأة والطبيعة وشعوب العالم الثالث»، وربطت النسوية بين تلك الثلاث بسلطة الرجل الأبيض المركزية، وترى أنه لا بد من ظهور فلسفة جديدة تنقض تلك المركزية الجائرة، وتقر بقيمة تلك الأطراف وحقوقها؛ بالتالي تصون الحقوق التي أهدرت للمرأة وللطبيعة ولشعوب العالم الثالث.

فإن كان من الممكن فهم تلك المقهورات الثلاث من وجهة نظر المرأة في الدول التي استعمرت من قبل، لكن كيف يتم فهم تلك النظرية من قبل المرأة الغربية التي لم تخضع للاستعمار؟ ترى بريندا ميهتا: أن النسوية الغربية قد التقت مع المجتمعات التي تحررت من الاستعمار في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، التقت في الخلاص من قهر الرجل الأبيض، كلاهما كان آخر بالنسبة إليها.<sup>(١)</sup>

تلك الأطروحات التي أصّلتها النسوية الجديدة تحتاج إلى محاولة تفكيكية حتى نقف على المضمون الحقيقي للترويج لتلك الأفكار.

#### النسوية البيئية Ecofeminism:

ارتبط مفهوم الأيكولوجيا في بداية نشأته بعلم البيولوجيا. وسرعان ما نما هذا العلم وتطوّر ليكتسح مجالات وحقولاً جديدة، وينفتح على اختصاصات علمية وطبيعية كثيرة. فمجال هذا العلم واسع جداً. وهو يشمل اختصاصات متنوعة مثل علم المناخ وعلم المياه، وعلم المحيطات والكيمياء والجيولوجيا أو علم الأرض والبيدولوجيا، أو علم التربة، إضافة إلى الرياضيات والفيزيولوجيا (علم يدرس عوامل تكاثر الكائنات أو انقراضها أو تزاوجها)، وعلم الوراثة والإيتولوجيا (علم يدرس سلوك الحيوانات).

وقد ظهرت في العالم حركات يسمّي الناشطون فيها أنفسهم أصدقاء الإيكولوجيا (les partisans de

(١) د. يمني طريف الخولي، المصدر السابق.

### المنطلقات الفكرية للنسوية البيئية:

نستطيع أن نقول: إن النسوية البيئية أو (الايكوفمينزم) حركة لا تدعو إلى التماهي مع الطبيعة فقط، بل تذهب إلى أبعد من ذلك، ومن وجهة نظر حقوقية، إلى محاربة كل المؤشرات والمظاهر «الأبوية» التي تستهدف - في رأيهم- الطبيعة والنساء على حد سواء، من خلال ربط «الجندر» بكافة أشكال الاضطهاد، فالمشكلة بتصور الإيكولوجيين النسويين لا تكمن في عدوان البشر على الطبيعة، ولكن تكمن بشكل أساس في مركزية السلطة الذكورية، وعدم إقرارها بأهمية وجود المرأة.

شهدت بضعة العقود المنصرمة اهتماماً هائلاً بكل من حركة النساء والحركة البيئية. وقد حاجج كثير من مفكري النسوية بأن أهداف هاتين الحركتين مترابطة ومتبادلة التآزر. ففي المآل، كلاهما يتضمن تطوير نظرات إلى العالم وممارسات خالية من نماذج الهيمنة المنحازة ذكورياً.

وقد عبرت روزماري رادفورد رويثر عن ذلك في كتابها «امرأة جديدة.. أرض جديدة» الصادر عام 1975م قائلة: «ينبغي أن تدرك النساء أنه ليس بالمستطاع تحريرهن ولا حل الأزمة البيئية في سياق مجتمع ما يزال النموذج الأساسي لعلاقاته هو الهيمنة. فيجب عليهنّ توحيد مطالب حركة النساء مع مطالب الحركة البيئية بغية تصوّر إعادة تشكيل جذرية للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية الأساسية والقيم المبطنة في هذا المجتمع [الصناعي الحديث].<sup>(1)</sup>

ومنذ أوائل السبعينيات دافع الكثير من النسويين، وعلى الأخص النسويون الإيكولوجيون، عن الموقف الأساسي، ألا وهو أن (البيئة قضية نسوية).

وفي الثمانينيات، ومع تصاعد الكوارث البيئية، دخل

النسويون في الموضوع البيئي بقوة أكثر. وتصدرت النسوية الهندية فاندانا شيفا تياراً نسوياً بيئياً ارتفعت شعبيته في دول العالم الثالث، ومفاد مقولتها: أن المرأة تتعرض لنفس أنماط الاستغلال التي تتعرض لها الموارد الطبيعية على يد النظام الرأسمالي ورجاله. وبالتالي، لا يمكن لغير ثقافة سلمية، معادية للرأسمالية ومحترمة للشعوب والطبيعة أن تلغي الاستغلال والتمييز اللذين تتعرض لهما نساء الكون.<sup>(2)</sup>

وهذا الذي تبنته عالمة الفيزياء الهندية فاندانا شيفا ساهم في صياغة النسوية البيئية؛ حيث رأت أن العلم الغربي والتطور الرأسمالي، كلاهما يشتركان في الاستغلال، العلم يستغل الطبيعة ويحيلها إلى طرف سلبي، والرأسمالية تستغل المرأة وتحيلها إلى طرف سلبي.

وترى فاندانا أن المجتمع الأمومي كان موجوداً في مواطن شتى من الثقافات البدائية، قبل أن يقضي عليه المد الاستعماري، واستبدل به المجتمع البطريركي؛ لأنه الشكل الذي اتخذته الحضارة الغربية الغازية، مثلما قضى على مساحات شاسعة من الغابات الإفريقية بزعم التحديث بالزراعة الميكنة، وفرض أشكالاً أخرى من تكنولوجيات غير ملائمة تتال من التوازن البيئي بغير داع. ومن أجل إنقاذ البيئة، دافعت عن أنطولوجيا نسوية يترايط فيها المجتمع بالطبيعة، كمقابلة للأنطولوجيا الذكورية الغربية القائمة على الانفصال عن الطبيعة كآخر، فكان ما كان من كوارث استعمارية وبيئية.<sup>(3)</sup>

إذن مريط الفرس هنا هو الربط بين السيطرة على النساء من قبل الرجال، والسيطرة الذكورية على الطبيعة الذي أدى إلى مشكلة البيئة، بحيث إن اقتلاع هذا الجذر -أي اقتلاع مركزية العقل الذكوري- هو

(2) نادية عيساوي، التيارات الرئيسية في الحركة النسوية: موقع الرأي:

<http://www.araee.com/modules.php?name=News&file=print&sid=31299>

(3) د. د. يمنى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم. مصدر سابق.

(1) كارين ج. وارين، مدخل إلى النسوية الإيكولوجية، موقع معابر:

[http://www.maaber.org/issue\\_november09/deep\\_ecology1.htm](http://www.maaber.org/issue_november09/deep_ecology1.htm)

ووسّع مباحثه. لاسيما في كتابه (الاستشراق) والذي شفّعه بكتاب آخر هو (الثقافة والإمبريالية)، ولعله هو المؤسس الحقيقي لهذا الموضوع، وهو من لفت النظر إلى هذا المصطلح.

إن ولادة مصطلح (ما بعد الاستعمارية) يشير إلى ولادة مصطلح جيد ينطلق من فرضية نهاية الاستعمار التقليدي، وإيجاد مرحلة جديدة من الهيمنة تمثلت بـ(الإمبريالية)، و(الاستعمارية Colonialism)، وتوجه نقداً متصلاً للتحيزات الكامنة في المركزية الغربية، لذلك نهض خطاب ما بعد الاستعمارية ضد مفاهيم (العالمية Universality)، التي حاولت المركزية الغربية تعميمها على جميع المحطات في العالم، بوصفها -أي المفاهيم- مظاهر كونية تمتلك رؤى إجمالية للمحافظة على هذا الكون.

ويرى إدوارد سعيد بأن مبادئ الغرب، التي تبدو كونية، هي في الحقيقة بُنى أيديولوجية، وإن حضارة واحدة -والمقصود بها الحضارة الغربية- لا يمكن أن تدين حضارة أخرى، ولا بد من قدر كبير من النسبية.

ومصطلح ما بعد الكولونيالية مصطلح جديد دخل في الثقافة المعاصرة، فالشمولية التي تحتوي المصطلح تكمن في أسلوب الطرح والتعامل مع قضايا متفرعة ومتنوعة لا تقف عند حد معين، ومن ضمنها الصراع الحضاري والتعالي في استخدام مصطلح الشمال في مواجهة الجنوب، والنظرة الفوقية والمركزية الأوروبية أو الغربية.

كل تلك المجالات أنتجت أدب ما بعد الكولونيالية، وهي مجالات يشترك فيها التاريخ بكل صوره، وبكل ما يحمل من طرفي الصراع والوجود والجانب السياسي والاقتصادي، والذي هو من الركائز الحيوية والمهمة في عملية بدء الصراع والاحتلال لمنابع الثروات، بما

تحرير المرأة من حيث هو الحفاظ على البيئة.<sup>(١)</sup>

نسوية ما بعد الاستعمارية أو (ما بعد الكولونيالية post colonialism) :

الكولونيالية أو الاستعمارية تعني احتلال دولة لدولة أخرى خارج حدودها سياسياً واقتصادياً، بالاعتماد على القوة العسكرية، وهي أقرب إلى مفهوم الاستعمار المتداول في كتب التاريخ.

أما مصطلح (ما بعد الكولونيالية) أو (ما بعد الاستعمار) فهو من المصطلحات الشائعة في الساحة الثقافية، وإن كان فيه من الشمولية والاتساع ما يجعله يُستخدم في أكثر من مجال.

ويقصد به إجمالاً ما بعد الموجة الاستعمارية أو الاحتلال العسكرية للبلدان أو الشعوب التي استُعمرت وسُلبت ثرواتها، ونُهبت خيراتها من لدن الدول الكبرى.

ويُعرّف الباحث كريس دوهمان في قاموسه (أفكار ومفكرون) نظرية ما بعد الكولونيالية بأنها: (حركة في النقد الاجتماعي والأدبي ترد على آثار الإمبريالية الأوروبية على الشعوب المستعمرة)، ويضيف: (إن دلالة مصطلح ما بعد الكولونيالية لا تتضمن فقط بعد المرحلة الاستعمارية، بل إنها مقاربة نقدية أيضاً، والتي تبرز من الاستعمار لتصارع أسسه).<sup>(٢)</sup>

ومن أشهر من تحدث عن مصطلح ما بعد الاستعمارية من الكتاب الغربيين: (لبيل اشكرونت، وآلان لوسون، وجاريت جريفيت، وهيلين تيفين، وباتريك ويليامز، ولاورا كريسمان)، فضلاً عن الكاتب الأمريكي من أصل فلسطيني (إدوارد سعيد)، الذي طوّر هذا المصطلح

(١) المصدر السابق.

(٢) أزراج عمر، نظرية ما بعد الكولونيالية : المقاومات والنقد، موقع البلاغ: <http://www.balagh.com/malafat/y11chzmr.htm>

في ذلك الصراع المزعوم بين الرجل والمرأة.

### المنطلقات الفكرية لنسوية «ما بعد الكولونيالية»:

ترى النسوية (Feminism) أن نظرية ما بعد الكولونيالية (Post-colonialism) تمثل الإطار النظري في نضالها، فهي ترى أولاً: أن كلا الخطابين (النسوية وما بعد الكولونيالية) يهتمان بالصراع ضد القمع والظلم، إضافة إلى أن كليهما يرفض النظام المؤسساتي البطريركي (الأبوي) الذي تغلب عليه السيطرة الذكورية البيضاء، ويرفض بصورة شديدة التفوق المفترض للقوة الذكورية وسلطتها. وترى النسوية أن الإمبريالية، مثل البطريركية، هي رغم كل شيء أيديولوجية تستعبد موضوعها وتهيمن عليه.

وبهذا المعنى تكون المرأة التي تتعرض للقمع مماثلة للموضوع المستعمر بفتح الميم.

وتربط النسوية بين النساء و«السكان الأصليين» باعتبارهم

جماعات أقلية محددة بشكل جائر بوساطة كل من البطريركية والكولونيالية. وتستجيب دراسات ما بعد الكولونيالية حالياً لوجهة النظر هذه، وبالتالي تنخرط بنفسها في قضية الجنوسة (الجندر Gender).

ويؤكد هذا الاتجاه أنه بينما كانت الممارسة التقليدية للسلطة الأبوية موجودة ومحصورة في أيدي رجال محددين (الأب، والزوج، ورجال الأسرة الآخرين)، فإن انتقال السلطة للمجال الاجتماعي، وخاصة عندما تدعم الدولة القوى المحافظة والدينية، قد حولت الحق في السيطرة إلى كل الرجال.

وهناك عدد مهم من النصوص الأدبية التي كتبت من وجهة نظر نسوية وما بعد كولونيالية، وغالباً ما تتقاسم هذه النصوص الآراء حول الفردية والتفاوت للموضوع، إضافة إلى القبول باستراتيجيات مشتركة

للمقاومة ضد القوى الخارجية المستبدة، والتي هي عند النسوية سلطة الأب أو الزوج أو المجتمع الذي يحد من حريتها المطلقة.

فعلى سبيل المثال تشبه الكاتبة «بيل آشكروفت»، في مفاهيمها الرئيسية في دراسات ما بعد الكولونيالية «دراسات الجسد» في نسوية «ما بعد الكولونيالية». وهذا يوحي بأن الفضاء المستعمر في خطاب النسوية هو جسد الأنثى الضعيف.

وتعتبر النسوية البارزة روبين مورغان Robin Mo-gan عما تراه من قهر عالمي للنساء بوصفها النساء

بأنهن شعب خاضع للاستعمار،

وقد تم استعمار أرضهن النفسية

-أي أجسادهن- من قبل المجتمع

البطريركي. أما الأمر الأكثر

أهمية فهو أن تلك الأرض بما فيها

من موارد يتم استغلالها: حيث يتم

إجبار النساء على الإنجاب دون

أي ضمانات من قبل الرجال تؤكد

التزامهم بدعم أو رعاية أو تحمل

أي مسئولية على الإطلاق تجاه الطفل. كما أن النساء

قد استوعبن تماماً الأفكار المعادية للنساء عن أجساد

النساء باعتبارها «نجسة»، وهي دائماً موضوعة في

الخدمة لتحقيق الرغبات الإنجابية للرجال»<sup>(1)</sup>

بعد أن وقفنا على المنطلقات الفكرية والمفاهيمية

للمقهورات الثلاث: المرأة، والبيئة وشعوب العالم

الثالث. بقي الحديث عن النسوية الإسلامية، وإن كان

لا يمكن عدها من صور النسوية الجديدة، كما هي في

الغرب، إلا أنها تمثل أحد مشاريع اختراق الخطاب

الدعوي الإسلامي، فالنسوية الإسلامية، وإن كانت

ليست ذات ثقل واضح في العالم العربي والإسلامي،

إلا أن بواكير ذلك المشروع بدأت تطل برأسها على

استحياء في العالم الإسلامي، وبشكل أكبر لدى

(1) د. مية الرحبي، الموجات النسوية في الفكر الغربي. مصدر سابق.

ولا بد هنا من الإشارة إلى مقارنة ثالثة لحقوق المرأة في العالم الإسلامي، تختلف عن كل من مقارنة الغرب التقليدية، ومحاولة الإسلاميين إنشاء مفهوم مختلف لحقوق المرأة مشتق من المبادئ الإسلامية، وهي تكمن في محاولة بعض منظمات المسلمات إظهار مواءمة المفهوم الغربي لحقوق المرأة مع الإسلام، علماً بأن العديد من هذه المنظمات نشأت في الغرب وتلقى تمويلًا منه، وهي غالباً ما توجه نقدًا لاذعًا للتاريخ الإسلامي وتفسيره السائد.. كما تعتبر هذه المجموعات التوفيق بين المفهوم الغربي لحقوق المرأة وبين الإسلام مهمًا لأسباب عملية «فأي نسوية لا تبرر نفسها ضمن الإسلام محكومة بأن يرفضها باقي المجتمع، وهي بالتالي تهزم نفسها بنفسها»<sup>(١)</sup>.

في هذا السياق ظهر في بداية التسعينيات ما اصطلح على تسميته بالنسوية الإسلامية. كبديل عن النموذج الغربي، يصبغ نفسه بالصبغة الإسلامية، بدعوى (ذاتية مشكلات العالم الإسلامي والجدور الثقافية التي تتبثق عنها، بالإضافة إلى غلبة الاتجاهات النسوية الراديكالية على مجمل الحركة النسوية)<sup>(٢)</sup>.

ولا يُعرف على وجه التحديد متى نشأ مصطلح «النسوية الإسلامية» لكن هناك إشارات إلى أنه ظهر في بداية التسعينيات في تركيا، مع كتاب نوليفير غول «الحدثة الممنوعة» عام ١٩٩١م.<sup>(٣)</sup>

فمع بداية ظهور مصطلح تحرير المرأة الذي هيمن عليه في البداية قضايا: مثل الحجاب، وتعدد الزوجات، والعمل خارج المنزل، وما أعقبه من تطورات داخل الحركة النسوية من تبنيها لأيديولوجيات ذات مرجعية

(٢) المصدر السابق، ص ١١.

(٣) د.أماني صالح، نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية، ضمن كتاب المرأة والحضارة، ط ١، ٢٠٠٠م. على الرابط:

<http://www.aswic.org/Content/Periodicals/DR.AMANI-3.pdf>

(٤) دلال البزري، النسوية الإسلامية، موقع «مركز دراسات الظاهرة الإسلامية»: <http://islamismscope.org/index.php?art/id:285>

المسلمين في الغرب، لذا فتناولها في الدراسة يوضّح بشكل جلي أن ثغرة جديدة فُتحت على مصراعها أمام الهجمة الغربية على الإسلام.

## نسوية (المقاربة الثالثة) أو نسوية الحدثة الإسلامية:

تنظر الحركات الإسلامية والناشطات والداعيات الإسلاميات بوجه عام إلى مفهوم النسوية نظرة استهجان وازدراء؛ لأنهم ينظرون إلى النسويين كعلمانيين، بينما يعتقدون في المقابل بضرورة متابعة قضية حقوق المرأة عبر تطبيق الشرع الإسلامي بشكل كامل وشامل لكافة قضايا المجتمع، بما فيها قضية المرأة.

ففي دراسة أجراها مركز كارنيجي حول المرأة في الحركات الإسلامية، تبين أن الناشطات في التيارات الإسلامية يتبنين رأياً يؤكد على تكامل الأدوار بين الرجل والمرأة، ويرفضن رفضاً تاماً فكرة اعتبارهن رأس الحربة في حركة نسوية تُوصف بالإسلامية، ويرين أن «الإسلام والنسوية مصطلحان متناقضان»، وكشفت تلك المقابلات عن رفض وازدراء لمفهوم النسوية الغربية التي يفسرنها كحركة لتحرير النساء من كل القيود الاجتماعية، والواجبات تجاه الأسرة والمجتمع؛ ما يؤدي إلى الفردية المفرطة والخروج عن تعاليم الإسلام.

تقول الباحثتان أميمة عبد اللطيف ومارينا أوتاوي: «والجدير بالذكر أن كل النساء اللاتي أجرينا معهن المقابلات هن ناشطات اكتسبن مراكز وشرعية واحتراماً ضمن الحركات التي ينتمين إليها، ومن هنا شعورهن بالقوة والثقة، بيد أنهن رفضن رفضاً تاماً فكرة اعتبارهن رأس الحربة في حركة نسوية إسلامية»<sup>(١)</sup>.

(١) أميمة عبد اللطيف، ومارينا أوتاوي، المرأة في الحركات الإسلامية: نحو نموذج إسلامي لنشاط المرأة، سلسلة الشرق الأوسط، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، رقم ٢، يونيو ٢٠٠٧م، ص ٩.

### المنطلقات الفكرية لنسوية الحداثة الإسلامية:

ترى النسوية الإسلامية أن الرسالة الروحية للإسلام قد طُغنت. فبدلاً من المساواة التي كان الدين يناهز بها، حوّل النظام الذكوري، الأبوي، هذه الرسالة إلى أداة لاضطهاد النساء. وبينما دعا الإسلام إلى تحرر النساء قامت «التقاليد الأبوية التمييزية» بمصادرته. والنسوية الإسلامية ترى أن «الخطاب النظري» الإسلامي الذي يرى أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها ورفع قدرها هو خطاب «ضعيف في حجته argumentation»؛ فقد قصر رسالة الإسلام على مسألة «الهندام»، و«أخطار الفتنة النسائية»، ومفاصل ووظائف وتواءمات الجسد النسائي.

وترى النسويات الإسلاميات أن القراءة الأبوية، التي سمحت بالعنف والتمييز ضدهن وليس الإسلام، بل القراءة الذكورية للإسلام هي التي تضطهدهن».

تقول زينب أنور المديرية التنفيذية لجماعة أخوات في الإسلام، وهي منظمة مائززية تعمل من أجل حقوق المرأة في إطار العمل الإسلامي: «في مجتمعاتنا الرجال يمتلكون السلطة، وهم يقررون ما ينبغي أن يعنيه الإسلام، وكيف يمكننا أن نطبع هذا المفهوم المعين في الإسلام». وقالت: «لا أستطيع أن أعيش مع إله ظالم. القانون نفسه تقدّم لي لكن أولئك الرجال الذين يسيطرون عليه ليسوا كذلك».<sup>(٤)</sup>

بل إن البعض طالب في ورشة عمل «النساء العربيات بين الإيمان الديني والعدالة الاجتماعية»، التي انعقدت في القاهرة في عام ٢٠٠٥م، بضرورة بلورة خطاب نسوي ديني يسعى إلى «أسلمة التمكين»

= أون لاين ٣/٧/٢٠٠٥م:

[http://www.islamonline.net/Servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1173694771369&pagename=Zone-Arabic-AdamEve%2FAEALayout](http://www.islamonline.net/Servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173694771369&pagename=Zone-Arabic-AdamEve%2FAEALayout)

(٤) خبر على العربية نت بعنوان: قلن: إنهن «يرفضن العيش مع إله ظالم»:

[www.alarabiya.net/articles/2006/11/20/29233.html](http://www.alarabiya.net/articles/2006/11/20/29233.html)

فلسفية تفرعت منه قضايا عديدة مثل الجندرة، والتمكين، والجنوسة وغيرها من المصطلحات، إضافة إلى ارتباط الحركة النسوية في العالم الإسلامي بمبادئ ورؤى النسوية الغربية. جعلها في مرمى نيران الوصف بالتبعية الاجتماعية والفكرية للغرب، أو أنها مشروع «كولونيالي» تجب «مقاومته».

تقول زهراء علي<sup>(١)</sup>: «أعتقد أن النسوية هي تطبيق للمساواة بين الأجناس، وأداة لمفهوم يهدف إلى تفسير وملائمة الجنسية والظلم ضد المرأة، وهي ارتباط وعمل سياسي. وككل الحقائق السياسية عندما تُفهم بطريقة جازمة أو دوغمائية، تملك النزعة لتصبح أداة أيديولوجية. عرفناها هكذا خلال الفترة الاستعمارية عندما كانت النسوية تُستخدم لتساعد الهدف الاستعماري والسيطرة الغربية على الأراضي الإسلامية».<sup>(٢)</sup>

وهذا الاتجاه يرى الإسلاميون خطورته في كونه «ليس مجرد فكرة حول الحقوق الاجتماعية للمرأة بقدر ما أنه يدور حول فكرة الهوية نفسها». بمعنى أن «الهوية الإسلامية مهددة هنا». وبالمقابل يقلق النسويات العربيات؛ إذ يعني تراجع العلمانية والليبرالية واليسار أمام الإحيائيين ليصبح الإسلام هو الخطاب السائد.. تقول «لدال البزري»: «ورثت النسوية الإسلامية كل مفاعيل اندفاع النسوية الغربية لكنها تنكرت لها، وقالت: إنه الإسلام».<sup>(٣)</sup>

(١) تدير زهراء علي الفرنسية من أصل عراقي جمعية الهدى، وهي جمعية للنساء المسلمات في فرنسا، تسعى من خلالها إلى إثبات أن تعاليم الدين الإسلامي لم تتعارض يوماً مع العقل والعلم، وإنما التفسيرات المتطرفة هي التي دفعت به نحو هذه الحدود الضيقة، وطبعته بطابع الجمود والانحلال وعدم القابلية للتطور ومجازاة العصر. لها العديد من الدراسات والمقالات المهمة حول الإسلام والمرأة، أرادت من خلالها إظهار الوجه الحقيقي للإسلام وموقفه من المرأة على حد زعمها.

(٢) مجلة الثرى- العدد ٢٤١ تاريخ ١٠-٧-٢٠١٠م السنة السادسة. الإسلام النسوي (تطبيق في الحاضر)، حوار مع زهراء علي.

<http://www.thara-sy.com/thara/modules/news/article.php?storyid=1658>

(٣) معتر الخطيب، النسوية الإسلامية والتحديات الذكورية، موقع إسلام=



تقل سابرا عن تلك المجموعة أنها تقوم بواسطة عدد من النساء، وكذلك الرجال المهتمين، بفحص القرآن الكريم؛ بحثاً عن احتمالات المساواة فيه، تأسيساً على أن التعاليم الإسلامية تتعاطف مع المرأة إلى حدود أبعد بكثير مما يُعترف به بشكل عام.

وتضم المجموعة كذلك الحقوقية رشيدة آية حميش،

وهي عضوة في حزب يساري علماني، وهي علمانية ومسلمة، وهو أمر لا يشكل تناقضاً بالنسبة لآية حميش، وتقول: إنها تستطيع تحقيق النواحي المختلفة لهويتها في المجموعة.

تستطيع أن تكون المرأة مسلمة، وأن تشعر بالحرية في الوقت

نفسه. تستطيع اعتناق القيم الإنسانية العالمية التي أنزلها الإسلام ورؤيتها كحالة من حالات إعادة قراءة القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>.

ووفقاً لمنظور النسوية الإسلامية؛ فإن المرأة تعاني من وضع قائم في كل الدول الإسلامية والعربية، وإن هناك حاجة لمزيد من التقدير للمرأة في الإسلام. وهذا يعني إعادة قراءة النصوص وتحديد تفسيرات سابقة على حقيقتها بعيداً عن الذكورية والمجتمع الأبوي.

وترى أماني صالح<sup>(٤)</sup> أن إنصاف المرأة يتمحور حول تفكيك التاريخ البشري عن النصوص الإسلامية التأسيسية<sup>(٥)</sup>.

أما مؤسسات «المبادرة النسائية الإسلامية للروحانية والمساواة» المعروفة اختصاراً بـ«وايز» فقد دفعتهم تلك الفكرة إلى الدعوة لإنشاء مجلس نسائي لتفسير القرآن

و«أسلمة الجندر» وغيرها من مصطلحات الحركات النسائية التي تستخدمها للتعبير عن حقوق المرأة<sup>(١)</sup>. ولتأكيد فكرتهن حول المساواة المطلقة بين الجنسين ترجع النسويات الإسلاميات إلى مفهومي «العدالة» و«الخلافة» في القرآن، والمطلوبين من الجنسين.

تذكر الكاتبة «مارتينا سابرا»<sup>(٢)</sup>

في مقال لها بعنوان «مطلوب قراءة معاصرة للإسلام تقر بكيونونة المرأة»: «أن الطيبية والكاتبة المغربية أسماء المرابط قامت في عام ٢٠٠٤م بتأسيس مجموعة عمل لقضايا المرأة والحوار عبر الثقافات في الرباط، وقد أصبحت المبادرة الآن معروفة عبر العالم، إضافة إلى بعض الدول الغربية».

(١) أقامت مؤسسة المرأة والذاكرة الورشة بالتعاون مع مؤسسة هاينرخ بول Heinrich Böll Foundation الألمانية على مدى يومين بمشاركة ناشطات وباحثات من داخل وخارج مصر، في محاولة لتحديد خطاب= ديني نسائي للراغبات في التعبير عن هوية دينية، والالتزام بمرجعية قيمية دينية، وبالتالي توحيد النساء العربيات (المسيحيات والمسلمات) في مواجهة إشكاليات متشابهة. وقد أقيمت الورشة بفندق بيريمازا في القاهرة في ١٦ - ١٧ مايو ٢٠٠٥م.

وفي هذا السياق تم تحديد أهداف مثل صياغة منظور ديني يناه عن التعصب ضد المرأة، وإنتاج خطاب تحرري يعتمد على المساواة، ورفع الوعي بقضايا الخطاب الديني التي تخص المرأة، والنظر إلى الاستراتيجيات المستقبلية للتواصل مع المؤسسات الدينية الرسمية ورجال الدين، وإقناعهم بالمشاكل التي تعانيها المرأة والتعامل معها بشكل عملي.

شارك في الورشة: عدد كبير من المثقفين منهم: أ. زينب عفيفي (مصر) رئيس مجلس إدارة جمعية الخدمات الاجتماعية العامة، د. ماري أسعد (مصر) أستاذة الأنثروبولوجي بالجامعة الأمريكية سابقاً، د. آمنة نصير (مصر) أستاذة العقيدة والفلسفة الإسلامية بجامعة الأزهر.

<http://www.wmf.org.eg/ar/node/566>

(٢) مارتينا سابرا مراسلة في موقع www.qantara.de. موقع قنطرة دي، هو مشروع يقوم على شراكة كل من المركز الاتحادي للتعليم السياسي، وإذاعة صوت ألمانيا، ومعهد غوتسه، ومعهد العلاقات الخارجية. كما تقوم وزارة الخارجية الألمانية الاتحادية بدعمه.

(3) [http://ar.qantara.de/webcom/show\\_article.php/\\_c-471/\\_nr-622/i.html](http://ar.qantara.de/webcom/show_article.php/_c-471/_nr-622/i.html)

(٤) دكتوراه في العلوم السياسية، نائبة رئيس جمعية دراسات المرأة والحضارة.

(٥) أماني صالح، نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية، مصدر سابق.

شبهه كامل مع الرؤية الإسلامية. فالنظرة الدونية للمرأة كانت هي المسيطرة على الغرب؛ نظرًا لتأثرها بالمسيحية واليهودية، فضلاً عن انسحاب تلك النظرة إلى الفلسفات القديمة والمعاصرة، وكان لاحتضان تلك الفلسفات الغربية للفكر النسوي مردوده السلبي؛ حيث لم تجد التربة الخصبة في المجتمعات الإسلامية.

ثالثاً: يمكن أن نعد الموجة النسوية الثانية، وتوابعها في العالم الإسلامي، من أهم وسائل الهجمة الاستعمارية الثانية، والتي عُرفت بالغزو الفكري الذي اجتاحت العالم الإسلامي في أواخر القرن العشرين.

رابعاً: الملاحظة الجديرة هنا أيضاً: أن هناك تطابقاً شبه كامل مع قرارات المؤتمرات والاتفاقيات الدولية -مثل مؤتمرات بكين واتفاقية السيداو- مع الأطروحات النسوية، خاصة فيما يتعلق بحرية المرأة في جسدها، وشكل الأسرة التي لم تعد تتكون من رجل وامرأة فقط، وحرية الإجهاض، وبمراجعة بسيطة بين ما ذكرناه من أطروحات الحركات النسوية وقرارات المؤتمرات الدولية سنجد تطابقاً عجباً.

خامساً: سعت النسوية الغربية للاندماج مع بعض التيارات الفكرية مثل: ما بعد الكولونيالية، والإيكولوجيا، لكي تصبح في النهاية ذات دلالة تؤشر إلى تحرير المرأة من سلطة المجتمع الأبوي المستبد الظالم، الذي احتل جسدها وعقلها، وأصبحت تتاضل من أجل الاستقلال عنه، هكذا تم التلاعب بالمصطلحات ومدلولاتها الفكرية، لتعطي في نهاية نتائج توافقية مع ما يريده الغرب من مضامين وثقافة يريد زرعها في عقولنا.

من هنا يحذر الأستاذ (محمد بن شاكر الشريف) في مقال له في مجلة البيان من خطر المصطلحات الوافدة يقول: «وعلى ذلك؛ فإن التحذير من ضرر استخدام المصطلحات الغربية على شريعتنا وثقافتنا لا يمثل موقفاً انعزالياً أو تقوقعاً وانكفاءً على الذات، وبعيداً عن التفاعل مع العالم من حولنا، وإنما يمثل

الكريم، معتبرات أن هذا التفسير النسوي خطوة على طريق تحسين صورة الإسلام في الغرب! حيث يرين أن «أحكام الشريعة الصارمة ليست سماوية؛ لأن الرجال هم الذين صاغوها، وينبغي تغييرها لكي تشمل حقوق المرأة».<sup>(1)</sup>

وترى النسويات الإسلاميات أن الدين، أي دين، ليس كما هو شائع، مصدر اضطهاد للنساء، ودليلهن على ذلك استمرار اضطهاد المرأة الغربية. فمع أن المرأة الغربية تحلت من النظم الدينية المسيحية، مصدر الاضطهاد، أو أرادت لنفسها أن تتحرر ومع ذلك ما يزال هناك اضطهاد للنساء في الغرب، وإلى الآن لم تحل مسألة المساواة بين الجنسين. ولم تبلغ المرأة الغربية بعدُ تحررها النموذجي الذي انصبت عليه وانتظرت.

فالمشكلة تكمن في سيطرة السلطة الذكورية على فهم النصوص الدينية وتطبيقها في الواقع، واستمداد السلطة في السيطرة على المرأة وهضم حقوقها من الرؤية الذكورية للدين، وليس من الدين نفسه.

#### خاتمة:

**هذا السرد التاريخي للمحتوى الفكري واستمداداته الفلسفية للحركات النسوية الغربية، يؤشر لعدد من النقاط المهمة:**

أولاً: إن الفكرة المركزية التي انطلقت منها جميع المذاهب النسوية هي الحد من/ أو القضاء على السيطرة الذكورية بجميع تجلياتها، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية.. وتم تفسير التاريخ البشري كله على أنه صراع بين الذكر والأنثى، أو بين العصر الأمومي والعصر الأبوي.

ثانياً: الحركات النسوية بجميع أشكالها هي فرز طبيعي للفلسفات والرؤى الغربية والتي تتناقض بشكل

(1) خبر على العربية نت (مدافعات مسلمات عن حقوق المرأة يردن تشكيل مجلس لتفسير القرآن)

www.alarabiya.net/articles/2006/11/20/29233.html

موقفًا محافظًا على مقومات الأمة وخصائصها ألا تذوب في غيرها؛ فإن تلك المصطلحات محمّلة بدلالاتها الخاصة بها التي تكونت عبر أجيال عدة، وخبرات متطاولة في بيئة غير إسلامية، وهي بالطبع بيئة مناقضة لبيئتنا.. وهي تمثل اعترافًا بعجز ثقافتنا أن يكون لديها المصطلحات الخاصة بها التي تدل على المضمون الذي نريده، ثم إن هذا التصرف سينتهي - ولا بد- إلى قبول المصطلح بكل شروحه وحواشيه...»<sup>(١)</sup>

وهذا ما حدث تمامًا مع مصطلح ما بعد الكولونيالية أو الإيكولوجيا؛ فدلالتهما الأولية لا تشي بتأثيرات سلبية، إلا أن الشروح والحواشي قادتنا إلى النسوية، والحديث عن المفاهيم الغربية عن الحرية المزعومة للمرأة.

سادسًا: شكلت نسوية الحداثة الإسلامية رأس الحرية في الحرب الغربية على المفاهيم الإسلامية وهي تمثل تجليًا شديد الوضوح للهدف من تلك الحرب.

إذ نسعى نسوية الحداثة الإسلامية في الأخير إلى التماهي مع مسلمات الحضارة الغربية من خلال ما يُدعى أنه تفسير نسوي جديد للإسلام.

سابعًا: هناك تناقض أيديولوجي بين مطلق فكرة النسوية، والإسلام، فمصطلح «النسوية» يحمل مضامين أيديولوجية مركزية، أبرزها المساواة التامة التي تقود إلى فضح التحيزات الذكورية الكامنة في الخطاب والوعي، ومن ثم يفترض أن هناك صراعًا أو نزاعًا.

إن الإسلام لا يعرف الصراع بين الرجل والمرأة، فالإسلام كعقيدة وشرعية، لا يميّز نوعًا على نوع ولا عرقًا على عرق، ولا شعبًا على شعب، ففكرة قراءة الإسلام من وجهة نظر عرقية أو إثنية أو نوعية تتناقض مع نظرة الإسلام الكلية. فالإسلام يعبر عن رؤية شاملة لكل مجتمعات المسلمين عبر كل الأزمنة والأمكنة؛ رؤية تراعي الطبيعة التي فطر الله خلقه عليها، أيًا كان خلقه سبحانه من حيوانات أعاجم أو من البشر مع اختلاف أجناسهم وعرقياتهم وألوانهم، سواء كانوا رجالاً أم نساء.

(١) محمد بن شاكر الشريف، دعوة إلى تأصيل المصطلحات السياسية، مجلة البيان، السنة العشرون، العدد ٢١٢، جمادى الأولى ١٤٢٦هـ. يونيو/ يوليو ٢٠٠٥م، ص ٢٢.

## معلومات إضافية

## مصطلحات نسوية:

فيما يلي بعض المصطلحات شائعة الاستخدام لدى الحركات النسوية ومدلولات هذه المصطلحات وفقاً للتعريفات التي تقدمها وتعتنقها الحركات النسوية:

## تحرير المرأة Women's Liberation:

استخدم هذا المصطلح على ما يبدو لأول مرة عام ١٩٦٩م على الرغم من أن هذه الفكرة كانت موجودة ضمناً في ما قالته ماري أستيل من أن النساء مثلهن مثل العبيد. وبعدها تحدثت سوجورنر تروث عن عدم المساواة بين الرجل الأسود والمرأة السوداء على الرغم من تحرير العبيد في عام ١٨٦٧م، وبعد مرور قرن من الزمان كانت المرأة السوداء والبيضاء لا تزال تعتبر تابعة في سياق الحركات السياسية الراديكالية المناهضة لحرب فيتنام والداعية لتحرير السود.

وأصبح من الواضح أن المرأة ستضطر لتحرير نفسها، ففي عام ١٩٦٩م أعلنت مجموعة من الراديكاليات النسويات في نيويورك المواجهة المستمرة مع الرجال لإدراكهن أن «تحرير المرأة» لن يلقى الترحاب بدون نضال. وفي نفس العام أعدت جماعة «الجوارب الحمراء» بنيويورك أول مانيفستو لتحرير المرأة، وتم إنشاء منظمة تحرير المرأة في بريستول بالمملكة المتحدة.

وقبل هذا التاريخ بثلاثة أعوام كانت جوليت ميتشيل قد كتبت عن الحاجة إلى التحرر، وسار على نهجها عدد من الشخصيات ذات الأصوات المؤثرة مثل شيلا روبرتس.

وفي عام ١٩٧٠م انعقد أول مؤتمر وطني حول تحرير المرأة في كلية راسكن بأكسفورد. وبعد ذلك اختصر المصطلح إلى الصيغة Women's Lib في وسائل الإعلام التي يهيمن عليها الرجل بقصد السخرية والتهوين من شأن الحركة. وما زالت الصيغة المختصرة تستعمل حتى اليوم في سياق الاستهانة بالحركة.

## الأسرة Family:

تمثل الأسرة محور البحث والمناظرات الحامية في الحركات النسوية واحدة بعد أخرى، وتوصف بأنها موطن قمع المرأة وموضع الحياة الشخصية ذات القيمة، كما أنها مصدر سلطة الرجل وأداة إدخال الأطفال في العلاقات الاجتماعية.

وتعتبر الأسرة في المجتمعات التي تجاوزت مرحلة الصناعية هي الوحدة الأساسية للمجتمع، ولكن محاولات الدفاع عن الأسرة النووية (أي الأب والأم المتزوجين اللذين يعيشان معاً ومع أطفالهما) باعتبارها بنية «طبيعية» وحتمة موجودة منذ بدء الخليقة تتعرض للتحدي بدعوى أنها زائفة.

والأسرة عند اشتراكيي القرن التاسع عشر اليوتوبيين (المثاليين) مثل أوين وفورييه وسان - سيمون (وكلهم رجال) هي معقل الفردية الأنانية التي لا تتوافق مع أسلوب الحياة التعاوني، لكن هذه النظرية لم تقترن بممارسات موازية لها في المجتمعات الاشتراكية التي قامت في الولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا.

## وثنية Paganism:

تروق الوثنية بصورة واضحة للحركة النسوية التي تعتقد في جوهرية الاختلاف بين الرجل والمرأة، والنسوية المهتمة بالبيئة؛ لأنها في هذه السياقات تمثل العودة إلى الاتحاد بالأرض الأم أو مبدأ الإلهة (Goddess) (تهدف ثقافة الرباط أو الآلهة المؤنثة عند النسوية إلى الاحتفاء بالقدرات الكامنة في نفس المرأة منذ قديم، وإبرازها في مقابل السلطان والقانون المتمركز حول الذكور)، والعودة إلى القيم الأمومية مثل احترام العالم الطبيعي والقيم «الأنثوية» مثل نزعة المسالمة ورعاية الصغار.

ومن الشخصيات البارزة في هذا المزيج من الوثنية والنسوية والاهتمامات البيئية الكاتبة الأمريكية ستارهوك التي تدعو إلى ديانة تتركز حول عبادة إلهة مؤنثة، وتجعل المقدس هو النفس والعالم الطبيعي، وذلك في عدد من مؤلفاتها، مثل «الرقصة الحلزونية: الميلاد الجديد لدين الإلهة الكبرى القديم» (١٩٧٩م).

## النظام الأمومي (النظام القائم على سلطة الأم) Matriarchy:

المجتمع الأموي هو المجتمع الذي تسوسه المرأة وينتقل نسبه من الأمهات إلى الجدات، لا من الآباء إلى الأجداد، وهناك عدد من عالمات الأنثروبولوجيا النسويات مثل هيلين داينر وإليزابيث جولد ديفيز وإيفيلين ريد يفترضن أن هناك عشائر أمومية كانت موجودة قبل نشأة النظام الأبوي.

ولا ترجع أهمية هذه البنية الاجتماعية عند من يقولون بالنظم الأمومية إلى أنها دفاع عن سلطان المرأة وحسب، ولكن إلى أنها تخلق أيضاً إطاراً اجتماعياً قائماً على الفضائل «النسائية» مثل رعاية الصغار والتعاون السلمي واحترام البيئة.

فتقول مارلين فرينش مثلاً في كتابها «الحرب ضد المرأة» (١٩٩٢م): إن التجمعات السكنية البشرية الأولى كانت «مجتمعات تعبد آلهة مؤنثة، وتعيش في تناغم قائم على التساوي وتنعم بالرخاء المادي»؛ حيث كانت المرأة تتمتع بمكانة أعلى من مكانة الرجل وباحترام أكثر منه، ثم جاء «النظام الأبوي» ليحل محل هذه المجتمعات وعلى رأسه «الملوك الكهنة» الذين خلقوا نظاماً طبقياً يُخضع المرأة.

## النظام الأبوي Patriarchy:

نظام يسوده الرجل وتفرض فيه السلطة من خلال المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية.

ويلاحظ ان كل النسويات يعارضن النظام الأبوي وإن اختلفن في تصوراتهن له، فالتيار النسوي الراديكالي يميل إلى اعتبار النظام الأبوي نظاماً متغلغلاً في كل شيء ولا علاقة له بالتاريخ، وهو الموقف الذي يتلخص في مقدمة مارلين فرينش لكتابها «الحرب ضد المرأة» (١٩٩٢م) الذي تستجلي فيه أول النظام الأبوي التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ، وترى أن النظام الأبوي يتميز في جوهره بالعدوانية وبالبنية الهرمية وبالوجود المستقل عن التغيرات الاجتماعية، فتقول مثلاً: إن التحول من الإقطاع إلى الرأسمالية لم يحدث اختلافاً يذكر في وضع المرأة الخاضع للرجل.

لكن هذه النظرة تتعرض للانتقاد من جانب التيار النسوي الماركسي والاشتراكي كما في كتابات كريستين دنفي وهايدي هارتمان اللتين تحاولان تحديد وضع النظام الأبوي في إطار العلاقات المادية.

فترى دلفي أن النظام الأبوي موجود جنباً إلى جنب مع الرأسمالية، وأنه ينبع من استغلال الرجل لدور المرأة في القيام بأعمال المنزل.

كما تعتبر هارتمان أيضاً أن النظام الأبوي ينبع على وجه التحديد من سيطرة الرجل على عمل المرأة.

وتستعين منظرات النسوية المنتميات لتتار ما بعد الحداثة بمفاهيم التحليل النفسي والتفكيك وما بعد البنيوية لإظهار أن النظام الأبوي أيديولوجية تتخلل كل جوانب الثقافة.

### النظام الأبوي الرأسمالي Capital Patriarchy:

يدور الجدل منذ وقت طويل بين النسوية الراديكالية والنسوية الماركسية حول ما إذا كان النظام الأبوي أو الرأسمالي هو السبب في قمع المرأة. فيذهب تيار النسوية الراديكالية إلى القول بأن الأيديولوجية الأبوية موجودة بصورة منفصلة عن الهياكل الرأسمالية، وبأن تقويض أركان هذه الهياكل لن يؤثر إلا تأثيراً محدوداً على الأيديولوجية الأبوية.

أما تيار النسوية الماركسية فيؤكد أن قمع المرأة له جذور ضاربة في النظام الطبقي، وأن المساواة الحقيقية لا يمكن تحقيقها في ظل النظام الرأسمالي، وهو الرأي الذي تلخصه ميشيل بارت في كتابها «قمع المرأة اليوم: بعض المشاكل في التحليل النسوي الماركسي» (١٩٨٠م) بقولها: «إن قمع المرأة مترسخ في البنية الرأسمالية».

ومن الأعلام في مجال تحليل العلاقة بين النظام الأبوي والرأسمالية الماركسية هايدي هارتمان النسوية الأمريكية، التي نشرت مقالاً بالغ التأثير بعنوان «الزواج التعس بين الماركسية والنسوية: نحو وحدة أكثر تقدمية» في عام ١٩٧٩، ذهبت فيه إلى القول بأن النظام الأبوي يقوم أساساً على سيطرة الرجل على قدرة المرأة على العمل، وتتأكد هذه السيطرة من خلال مجموعة من المؤسسات المختلفة مثل الميل للجنس الآخر، والزواج بزواج واحد، والحمل وتربية الأطفال، والأعباء المنزلية، وتدعو هارتمان إلى استراتيجية للمقاومة ذات طابع اشتراكي ونسوي «تنظم طبيعة الجهود التي تناضل ضد النظام الأبوي، وضد الرأسمالية في آن واحد».

### المصدر:

سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية (دراسات ومعجم نقدي)، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م